



قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ

لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ (٨٠) الإسراء: ٨٠

تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

تأليف الدكتورة

سلمى محمد بكر هوساوي

أستاذ مساعد بكلية الآداب - جامعة الملك سعود

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

دار جامعة
الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS



ح) دار جامعة الملك سعود للنشر، ١٤٣٨هـ (٢٠١٧م)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

هوساوي، سلمى محمد

تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم. / سلمى محمد هوساوي. - الرياض، ١٤٣٨هـ

٣٨٢ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨١٩٧-٦٧-٧

١- الجزيرة العربية - تاريخ قديم. أ. العنوان

١٤٣٨/٥٩٠١

ديوي ٩٣٩، ٤

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٥٩٠١

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨١٩٧-٦٧-٧

جميع حقوق الطبع محفوظة. لا يسمح بإعادة طبع أي جزء من الكتاب بأي شكل وبأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من دار جامعة الملك سعود للنشر.

دار جامعة
الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS



إهداء المؤلف

**لكل طالب علم ولكل أب و أم حفر الصخر
لتوفير الراحة والعلم لأبنائهم ،،،،،**

المحتويات

الإهداء.....	٥
المحتويات	٧
تقديم	١١
المقدمة	١٣
الفصل الأول: مدخل إلى تاريخ الجزيرة العربية القديم	١٧
أولاً: مصادر دراسة تاريخ الجزيرة العربية القديم	١٧
١- الآثار والنقوش	١٨
أ - الآثار Archaeology	١٨
ب - النقوش	٢٤
٢- المصادر الكلاسيكية	٢٨
٣- المصادر الدينية	٣٢
٤- المصادر العربية	٤٢
٥- الرحلات الاستكشافية في الجزيرة العربية	٤٣
ثانياً: جغرافية الجزيرة العربية	٥٠

المحتويات

١ - الموقع الجغرافي	٥١
٢ - أقسام شبه الجزيرة العربية	٥٧
٣ - المناخ	٦٢
ثالثاً: العرب وطبقاتهم	٦٤
١ - العرب	٦٤
٢ - طبقات العرب	٦٦
٣ - العرب البائدة	٧١
الفصل الثاني: دول جنوب شبه الجزيرة العربية	٨١
أولاً: دولة معين (١٣٠٠ ق.م - ٦٥٠ ق.م)	٨١
ثانياً: مملكة حضرموت (نحو ١٠٢٠ ق.م - ٢٨٠ م)	٨٥
ثالثاً: قتيبان (١٠٠٠ - ٢٥٠ ق.م)	٩٢
رابعاً: دولة سبأ (٨٠٠ ق.م - ١١٥ ق.م)	٩٦
خامساً: دولة حمير (١١٥ ق.م - ٥٢٥ م)	١٠٥
الفصل الثالث: دول شمال شبه الجزيرة العربية	١١٥
أولاً: مملكة دادان ولحيان	١١٥
ثانياً: مملكة دادان اللحيانية	١١٧
ثالثاً: مملكة الأنباط (٣١٢ ق.م - ١٠٦ م)	١٢٧
رابعاً: مملكة تدمر (٢٦٠ - ٢٧٣ م)	١٤١
خامساً: ممالك الأطراف (الغساسنة والمناذرة)	١٥٦
سادساً: مملكة كندة (وسط الجزيرة) (٤٨٠ - ٥٢٩ م)	١٩٧

المحتويات

الفصل الرابع: أوضاع شبه الجزيرة العربية قديماً	٢١١
أولاً: "الأوضاع السياسية في العصر الجاهلي أنظمة الحكم	
والحرب والسلام"	٢١١
ثانياً: الأوضاع الاقتصادية	٢٢٥
ثالثاً: الأوضاع الاجتماعية	٢٣٢
رابعاً: الأوضاع الدينية	٢٤٩
الفصل الخامس: حواضر شبه الجزيرة العربية قديماً	٢٨١
أولاً: مكة	٢٨١
ثانياً: مدينة يثرب	٣٠٥
ثالثاً: مدينة الطائف	٣٣٢
رابعاً: خيبر	٣٤٢
خامساً: تيماء	٣٤٥
سادساً: دومة الجندل	٣٤٨
قائمة المصادر والمراجع	٣٥٥

تقديم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على سنته واتبع هديه.

لقد سرفى وأسعدنى ما قدمته الدكتورـة/ سلمى بنت محمد بكر هوساوى فى كتابها الموسوم بتاريخ شبه الجزيرة العربية القديم ترخ ١٤١، وطلبت منى أن أقدم لهذا الكتاب- وقد تأثرت كثيراً لطلب هذه الأستاذة الفاضلة التى لا تزال تحتفظ لى بهذه المنزلة وهو الوفاء الذى أصبح نادراً فى هذا الزمن العجيب.

غير أن ما أعرفه عنها وأدين لله به هو جديتها فى العمل البحثى وطموحها العالى فى تحقيق أمالها فى المجال البحثى عموماً، و تاريخ الجزيرة العربية القديم على وجه الخصوص، لقد برز هذا الجانب العلمى لديها منذ كانت طالبة فى مرحلتى البكالوريوس والماجستير، و ما كانت تبديه من رغبة كبيرة فى الخوض فى تاريخ الجزيرة العربية القديم.

فكانت رسالتها للماجستير الموسومة بـ "علاقات مكة الخارجية فى العصر الجاهلى زمن قريش ٤٠٠-٦١٠م" الفائزة بمنحة جائزة الملك سلمان فى دورتها الثانية ٢٠٠٧م، ورسالتها فى الدكتوراة الموسومة بـ "التنظيمات العسكرية فى الولاية العربية الرومانية"، ثم توالى أبحاثها فيما بعد على سبيل المثال لا الحصر:

لغة ترفض الزوال "سيادة اللهجة القرشية على شبه الجزيرة العربية في العصر الجاهلي".

١ - دورة التجارة في تطور المعتقد الديني النبطي.

٢ - السقاية والرفادة وعلاقتها بمفهوم الطوافة.

٣ - تاريخ وجود اليهود في بلاد العرب.

٤ - المعبود كتيبي.

مما يعطي انطباعاً لأصحاب التخصص أن هناك شخصية تاريخية تريد أن تضع بصمتها في هذا المجال، والمؤلف الذي بين أيدينا جمع فأوعى بين دفتيه بمباحث وتفريعات تناولت مواضيع متنوعة في تاريخ الجزيرة العربية القديم قد لا تغطيها مجلدات، غير أن ما استودعته الباحثة في هذا المؤلف إنما هي مادة دسمة للراغبين في توسيع مداركهم، وتنوع ثقافتهم في هذا المجال.

وما أحوجنا والأمر كذلك أن يكون هذا المؤلف مادة معتمدة في جميع أقسام التاريخ بجامعاتنا لتضمن للطالب والطالبة ثقافة شاملة في تاريخ موطنه الجزيرة العربية، وما يميز هذا المؤلف أنه الأول من نوعه مما قرأت في هذا التخصص يعرض للمواضيع بطريقة علمية شاملة وبسيطة في نفس الوقت تمكن القارئ المبتدئ من استيعاب هذا الجانب التاريخي من بلاد العرب.

وختاماً أسأل الله عز وجل أن ينفع به فجزيل الأجر لصاحب القلم،،،

د. فواز بن علي جنيدب الدهاس

أ. مشارك تاريخ الجزيرة العربية

كلية الشريعة - والدراسات الإسلامية

جامعة أم القرى

المقدمة

الحمد لله الأول فلا شيء قبله ، والآخر فلا شيء بعده ، والظاهر فلا شيء فوقه ، والباطن فلا شيء دونه ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، أما بعد.

إن ماضي الشعوب حافل بثتى الصور السياسية والاقتصادية والاجتماعية، سواء كانت عهود المجد والقوة والرفاهية أم عهود الكوارث والآلام والمحن، والشعوب التي لا تعرف لها ماضياً محدداً مدروساً بقدر المستطاع، لا يعدون من شعوب الأرض المتحضرة .

والجزيرة العربية تمثل إحدى أهم إحدى مناطق الحضارات القديمة، وملتقى الطرق التجارية، ونقطة اتصال وتواصل مهمة مع الحضارات الأخرى، إضافة إلى ما برز في هذه المنطقة من أحداث دينية وسياسية كان لها أثر عظيم في شعوبها وصدى خارجي قوي لدى الدول الأخرى.

ويعد البحث في تاريخ الجزيرة العربية القديم له أهمية كبيرة في توثيق وتأريخ ماضي الأمة العربية والإسلامية، ويكشف عن عراقه ونبل المنبت والأصل، ويمنحنا التزود من أحداث الماضي ووقائعه بعبرات وعظات، ومن تجارب الأجداد بدروس قد تساعدنا في الوقت الحاضر على إدراك تراثنا ومجدنا القديم الحافل بالأعجاز

والبطولات كما يحدد لنا موقفنا من بعض القضايا والإشكاليات الحديثة والمعاصرة. والجدير بالذكر أنه لا يمكن تفسير كثير من الظواهر السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية في العصر الإسلامي إلا إذا بحثنا عن أصولها القديمة. والحقيقة أن تاريخ الجزيرة العربية القديم زاخر وعامر بالأحداث والتطورات نظراً لما حوته عصوره من فترات مجيدة تعبر عن عراقية هذه الأمة وتفوقها الحضاري لما تنفرد به حضارتها عن الحضارات الأخرى المعاصرة لها. وتاريخ الجزيرة العربية القديم اهتم به الباحثون العرب والغربيون لأهمية الجزيرة العربية في نشأة وتاريخ الإنسان و البشرية، إلى جانب عبور هجراتها البشرية إلى المناطق المجاورة لها منذ الأزمنة القديمة، والأهم من ذلك كونها مهد آخر رسالة سماوية بعثت للبشرية وهي "الإسلام"، ونتيجة لذلك فإن مصادره التاريخية ومآثرها الفكرية لا تنتهي، مما جعلها محط أنظار وأهداف المؤرخين العرب والمستشرقين. وعلى الرغم مما كتب عن تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم وحضارته إلا أن هذا التاريخ وتلك الحضارة معين لا ينضب ينهل منه كل باحث وكل متخصص ويدلو بدلو في تاريخنا العريق. والهدف من تأليف كتاب في مقرر "تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم" يعود إلى أن ما كتب عن الجزيرة العربية القديم كان الجيد منه في الثمانيات والتسعينات، ثم لحق به التكرار والجمع بين الغث والسمين، ولكن الآن نشطت المسوحات الأثرية والدراسات التاريخية التي أضاءت الكثير من جوانب تاريخ الجزيرة العربية القديم وسدت ثغرات في جدار المعرفة التاريخية، وإذا استعنا بالنتائج الحديثة التي تثري الكتاب ستحقق الهدف المرجو منه، فروافد العلم متجددة ومتغيرة لا تتوقف عند حال .

كما وأن على الرغم من وجود العديد من الكتب التي تتحدث عن تاريخ الجزيرة العربية القديم، ولكنها مطولة، ومعلوماتها مكررة، والبعض منها يتكون من أجزاء كبيرة لا يمكن للطالب في فصل دراسي واحد أن يدرس كل ما كتب، لذلك نرغب أن يكون الكتاب يجمع ما بين المعلومة والاختصار وأما بالنسبة للكتب الموجودة القديمة يمكن أن يعود لها الطالب من أجل البحث عن المعلومة عن طريق الواجبات الأسبوعية أو العروض أو البحث خلال الفصل الدراسي.

يتناول هذا الكتاب بالبحث والدراسة تاريخ الجزيرة العربية القديم. وحاولت قدر المستطاع توظيف المنهج العلمي في معالجة الموضوعات وتسلسلها فجاءت على النحو التالي: مصادر دراسة تاريخ الجزيرة العربية القديم - جغرافية بلاد العرب - العرب وطبقاتهم، وكذلك الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني في الجزيرة العربية قبل الإسلام؛ ثم تناولت علاقات دول الجزيرة العربية الخارجية. كما أشكر أعضاء مجلس القسم التاريخ الموقرين بجامعة الملك سعود على موافقتهم ومباركتهم خطوتي هذه لتأليف مقرر دراسي من نتاج أعضاء وطاقم تدريسه.

كما أشكر الأستاذة ندى أبو القاسم دراج لمراجعتها وتنسيقها للكتاب. ختاماً أرجو أن أكون قد حققت بهذا البحث المتواضع الغاية من إعدادهِ، والله ولي التوفيق.

الفصل الأول

مدخل إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

- أولاً: مصادر دراسة تاريخ الجزيرة العربية القديم.
- ثانياً: جغرافية الجزيرة العربية.
- ثالثاً: العرب وطبقاتهم.

أولاً: مصادر دراسة تاريخ الجزيرة العربية القديم

تعتبر دراسة مصادر تاريخ الجزيرة العربية القديم، بلا شك كنزاً ثميناً للباحثين، وتعطي إضاءات حول أهم المصادر التي لا غنى للباحث عنها. ومصادر دراسة تاريخ الجزيرة العربية القديم كثيرة ومتعددة، ويمكن حصرها فيما يلي: الآثار والنقوش - المصادر الكلاسيكية - المصادر الدينية - المصادر العربية - الرحلات الاستكشافية في الجزيرة. وسوف نتناول تلك المصادر فيما يلي:

١ - الآثار والنقوش.

أ - الآثار Archaeology:

تعد الآثار من أهم مصادر دراسة تاريخ شبه الجزيرة العربية وحضارته لأن دراسة الآثار تعد أصدق أنواع المصادر التاريخية، وتكون بمثابة شاهد نفي أو إثبات لكتابات المؤرخين، وهي الدليل المادي الذي يثبت مدى صدق الرواية التاريخية أو غيرها. كما أن أكثر ما وصل إلينا عن الحضارات القديمة من المصادر المكتوبة لا تكفي وحدها لهذا الغرض وذلك أما لندرتها أو لتناقض ما جاء فيها أو لاختلاط الحقائق التاريخية فيها بالقصص والأساطير.

ومن يعمل بمجال التاريخ لا يستطيع أن يكون باحثاً أو مؤرخاً موقفاً إلا إذا كان له دراية وإلمام كبير بالمصادر الأثرية على اختلافها، وأن يحسن استخدام النتائج التي يصل إليها العديد من العلماء والباحثين في الآثار.

وأهم ما يميز تلك الآثار عن غيرها أنها جزء من الأرض وجزء من الحدث التاريخي وتساهم في تشكيله. كما تعتبر الآثار مشاركة في الحدث نفسه، ولذا هي المصدر الأكثر صدقاً لكتابة التاريخ عامة، وتاريخ شبه الجزيرة العربية القديم بصفة خاصة.

و تنقسم الآثار إلى أنواع عديدة من بينها، في مجال العمارة، على سبيل المثال في حضرموت شرقي اليمن يوجد عدد من القرى على هضاب متوسطة الارتفاع، وفيها بقايا منازل كندة وملوكها وشاعرها الجاهلي امرئ القيس لتكون شاهدة على حقبة زاخرة بالحياة. وهناك أيضاً القصور والقلاع والحصون مثل قلعة تبوك الأثرية التي تقع شمال شرق مدينة تبوك بحوالي ٢٥٠ كم والتي يرجع تاريخها إلى حوالي ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد، وهناك قصور منطقة فدك وحصون خيبر، وهناك أيضاً قلعة ماردي

مدخل إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

دومة الجندل التي يعود تاريخها إلى القرن الأول الميلادي، وهناك العديد من المعابد والأضرحة مثل مقابر وادي رخية باليمن التي يعود تاريخها إلى الفترة بين الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، وهناك المقابر الركامية في شرق الجزيرة العربية^(١)، وكذلك قبور عين جاوان^(٢).



أبواب حصون خيبر

(١) عبد الحميد الحشاش وآخرون، "تقرير حفريات ثاج (تل الزاير) لموسم ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م"، مجلة أطلال، العدد السادس عشر، (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م)، ٣٧-٧٣.

(٢) ب فيدال، "العثور على ضريح من عهد الجاهلية في المنطقة الشرقية"، مجلة المنهل، العدد السابع عشر، (١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م)، ٥٤٦-٥٥٣.

تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم



قلعة ماردي دومة الجندل



أحد بقايا القصور في موقع فذك

وهناك بالطبع عددا كبيرا من بقايا السدود والبوابات والأسوار والمسلات وغيرها، ومن أهم السدود التي أقيمت قديماً: سد مأرب، وسد قصعان، وسد قتاب وسد شحران وطمحان، وسد عباد وسد لحج وسد عرايس وسد ساجر، إلخ.



بقايا سد مأرب

وفي مجال النحت، هناك النحت البارز الذي يتخذ شكل صور أو زخارف بارزة على واجهات أو جدران المباني أو المسلات. ومن أمثلة هذه الآثار في شبه الجزيرة العربية تمثال حجري عثر عليه قرب القلعة الموجودة في جزيرة تاروت التي تكاد تلاصق الشاطئ الغربي للخليج عند القطيف. والتمثال له دلالة حضارية كبيرة بالنسبة لتاريخ هذه المنطقة، فهو يشبه التماثيل السومرية التي وجدت في جنوبي العراق والتي يرجع تاريخها إلى نحو ثلاثة آلاف سنة ق. م. وهذا يدل على اتصال وثيق بين هذا القسم من شبه جزيرة العرب وبين حضارة وادي الرافدين في هذه الفترة المبكرة^(١). وهناك التماثيل بكافة أنواعها سواء أكانت كاملة أم نصفية أم دُمى صغيرة أم زخارف بالنحت البارز. وقد كانت الأصنام معروفة في شبه الجزيرة العربية، فقد كان الناس يحملون معهم حجارة مكة بعد انتهائهم من الحج إلى ديارهم، ويطوفون حولها، ومع مرور الوقت عبدت هذه الحجارة من دون الله، وتفننوا في صنعها على أشكال مختلفة، وقد كانت من الحجارة، ومن الذهب، ومن الفضة^(٢).

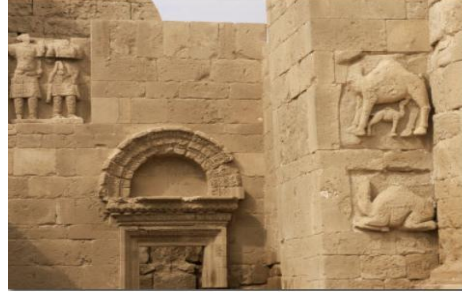
ومن أشهر تلك التماثيل كانت تماثيل الآلهة التي عبدها العرب قبل ظهور الإسلام مثل اللات وهبل ومناة والعزى وذو الشرى وود وسواع ونسر ويغوث الخ^(٣).

(١) لطفي عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م)، ١٣٦.

(٢) جواد علي، أصنام العرب، (بغداد: د.ن، ١٩٦٧م)، ص ١٩؛ أحمد الحوفي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، (بيروت: در القلم، د.ت)، ٣٨٣-٣٨٤.

(٣) Hammond, Ph.C : The Goddess of the «Temple of the Winged Lions». in: Zayadine, F: Petra and the Caravan Cities ,(Amman 1990),223-229.

تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم



Allat

Temple of Allat, Hatra, Unesco
World Heritage Site, Iraq,
Middle East



ثم هناك كذلك الرسوم التي تركها سكان بعض المناطق في شبه الجزيرة على شكل مخربشات على صخور الجبال^(١)؛ ففي جبل المليحية: يبعد عن حائل بمسافة ٤٠ كيلو متراً شرق حائل، توجد على واجهات صخوره نقوش ورسوم مهمة تشمل مناظر حية لأبقار وجمال برية ونعام وأسود^(٢).



رسوم صخرية لنخيل وحيوانات ورجل يمسك بيده قوساً مصوب نحو وعل في المليحية

(١) يحيى، العرب في العصور القديمة، ١٢٢.

(٢) موفق النويصر، حائل السعودية «بنت الجبال وأخت القصيد» تجمع التاريخ والطبيعة الخلافة، (جريدة الشرق الأوسط، الأحد ٢٦ رجب ١٤٢٢ هـ / ١٤ أكتوبر، ٢٠٠١ العدد ٨٣٥٦)، ١٢٢.

مدخل إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

وهناك الفخار الذي كان يشغل حيزا كبيرا في الحياة اليومية وبخاصة في مجتمعات الحضر في شبه الجزيرة "وفي الواقع في كل مجتمعات العصور القديمة" سواء اتخذ شكل أوعية أو أواني أو غير ذلك، والفخار في العصور القديمة كان السلعة أو الأداة التي تستخدم أكثر من أي شيء آخر في الحياة اليومية. فمذ كانت تصنع أواني الطعام، والأوعية اللازمة لحفظ أو تخزين بعض أنواع المؤن مثل الزيت والنبيد، كما كانت تصنع المزهريات وأوعية البخور التي تستخدم في الطقوس الدينية سواء في المعابد أو في أماكن الاجتماعات^(١).



فخار تيماء المطلي نقلاً عن محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره، ص ٣٢٧

وعلى هذا فوجود كميات من الفخار في أحد المواقع يشير إلى أن هذا الموقع كانت توجد فيه حياة مستقرة وأنه لم يكن مجرد معبر أو محط تجاري، وبخاصة إذا وجد في المنطقة بقايا أثرية أخرى تدل على وجود مستوطنات أو قرى أو مناطق سكنية على

(١) F. R. Matson, Technological Notes on the Ain Javan Pottery". In: R. LeB. Bowen, (1950), 57-63.

قدر ظاهر من الاتساع وإلى جانب ذلك هناك بطبيعة الحال أدوات العمل اليومي وأدوات الزينة. ثم المسكوكات أو العملة التي كان يتداولها هذا المجتمع في قضاء حاجاته ومعاملاته وبخاصة إذا أدخلنا في اعتبارنا أن التجارة بما فيها من معاملات نقدية كانت تشكل مورداً أساسياً من موارده الاقتصادية. ثم نصل في نهاية المطاف إلى النقوش التي تركها لنا سكان شبه الجزيرة في أكثر من منطقة على جدران المعابد أو الأضرحة أو صخور الجبال أو النصب أو الألواح التذكارية، التي أراد بعض الأفراد أو الحكام أن يخلدوا بها حدثاً أو موقفاً يرغبون في تخليده لسبب أو لآخر^(١).

ب- النقوش

تأتي النقوش الكتابية في مقدمة مصادر دراسة تاريخ الجزيرة العربية القديم. فهي التعبير المادي الملموس الذي تركه لنا مجتمع الجزيرة العربية أو من تعاملوا معه عن ممارساته في كل جوانب حياته^(٢). وهي عبارة عن نصوص تركها لنا مجتمع شبه الجزيرة في العصور السابقة للإسلام، إما محفورة بشكل سريع على واجهات الصخور، أو محفورة بشكل منظم على جدران المعابد أو المنازل أو على واجهات الأضرحة أو شواهد القبور، أو مختومة على ألواح أو رُقْم طينية تحرق بعد أن تسجل عليها هذه النصوص؛ كي تكتسب شيئاً من الصلابة التي تضمن لها البقاء فترات طويلة دون أن تتعرض للتفتت أو التآكل^(٣).

(١) F. E. Day , "Historical Notes on the Ain Jawan Pottery". In: R. Le B. Bowen, 1950, 63-67.

(٢) طيران، "أهمية النقوش الكتابية القديمة كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام"، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد العشرون، العدد الثاني (ب)، (الأردن: ٢٠٠٤م)، ١١٣٨.

(٣) يحيى، العرب في العصور القديمة، ص ١٢٤.

وتعد النقوش المصدر الرئيس لتصوير عادات أصحابها وعقائدهم . وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية . وعلاقاتهم الخارجية بالأمم المجاورة لهم . لذلك فالنقوش الكتابية القديمة تضع دلالات عدة أمام من يريد معرفة مجتمع شبه الجزيرة العربية في الفترة السابقة للإسلام^(١) . فانتشار نصوص بخط معين أو بلغة أو باللهجة معينة في مناطق عديدة مثلاً يدل على انتشار المجموعة أو الفئة التي تكتب بهذا الخط . وتتحدث هذه اللغة أو اللهجة في الأماكن التي وجدت فيها . أو يشير على الأقل إلى تواجدها بصفة أو بأخرى في تلك الأماكن . كما أن وجود نقوش بخطوط ولغات مختلفة في منطقة واحدة يشير عادة إلى أن هذه المنطقة كانت نقطة التقاء أو مرور للمجموعات التي تكتب وتتحدث بهذه الخطوط واللغات . وعندما يشير أحد النقوش إلى حدث معين مثل قيام حاكم أو ملك منطقة ما بغزوة إلى المنطقة التي عثر فيها على النقش . أو حصول حدث ديني مثل قيام شخص أو حاكم ما بتقديم نذور إلى معبود أو أكثر في المنطقة . نعرف من خلال ذلك اسم الحاكم أو الشخص . واسم الإله أو الألهة المعبودة في المنطقة^(٢) .

وتعتبر النقوش الأثرية من أهم مصادر التاريخ بوجه عام والتاريخ العربي القديم بوجه خاص ، لأن أكثر ما وصل إلينا عن العصور القديمة في المصادر العربية المدونة لا يعدو أن يكون روايات يغلب عليها الطابع الأسطوري ، وتختلط فيها الحقيقة بالخيال ، والنقوش هي التعبير المادي الملموس الذي تركه لنا مجتمع الجزيرة العربية أو من تعاملوا معه عن ممارساته في كل جوانب حياته^(٣) .

(١) طيران، أهميه النقوش الكتابية القديمة، ص ١١٣٨ .

(٢) (٦) F.V. Winnett. W . Reed. Ancient Records from North Arabia. (Near and Middle East Series. 6), (٢٠١٥)
(Toronto. 1970), 114 -115.

(٣) طيران، أهميه النقوش الكتابية القديمة ، ١١٣٨ .

تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم



نقوش ثمودية في جانين



نقوش ثمودية، نقلاً عن خالد أسكوبي: النقوش الثمودية بين الحجر وعقيلة أم
خناصر، ٣٢.

ولهذا السبب تطلع الباحثون الأوروبيون منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى
الاعتماد على دراسة النقوش العربية القديمة التي تم العثور عليها في بلاد العرب،
واستنباط مادة تاريخية من واقع ما ورد فيها من حقائق تتضمن أسماء الملوك وألقابهم
وأعمالهم وديانتهم^(١).

(١) يحيى نامي، "أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام"، مجلة كلية الآداب، جامعة
القاهرة، المجلد الثالث (١٩٣٥م) ج ١، ٤٢.

مدخل إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

ويمكن تصنيف النقوش التي تعتبر مصدراً لتاريخ الجزيرة العربية القديم إلى:
نقوش كتابية عربية قديمة من داخل الجزيرة العربية وخارجها مثل نقوش
الممالك العربية الجنوبية القديمة : أي ممالك سبأ . وقبتان . ومعين . وحضرموت .
وأوسان . التي كتبت نقوشها بقلم المسند المعروف في جنوب شبه الجزيرة العربية و
شرقها^(١). والنقوش الددانية والحيانة والثمودية وكذلك النقوش الصفوية،
والآرامية والنبطية^(٢).

وهناك النصوص العربية المبكرة مثل: نقش رقوش بمدائن صالح، نقش
النمارة، نقوش جبل رم، نقشاسكاكا الخ^(٣).

وتلك النقوش منها ما يحتوي على نصوص التشريعات والقوانين: وهي
نصوص تعني بتنظيم الحياة العامة، وتعالج قضايا متعلقة بحياة المجتمع، وتنقسم تبعاً
لذلك إلى نصوص تشريعات دينية ، واقتصادية، وجنائية، واجتماعية، ونصوص

(١) يوسف محمد عبد الله، "خط المسند والنقوش اليمنية القديمة. دراسة لكتابة يمنية قديمة منقوشة
على الخشب"، النقوش والكتابات القديمة في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة
والعلوم (تونس: ١٩٨٨م)، ٩١-٨٧.

(٢) A. Jamme. Sabaeen and Hasaeen Inscriptions from Saudi Arabia. (Saudi Semitics 23. Unversita di

D.H Potts. The Arabian Gulf in Antiquity. Vol. II.From Alexander theGreat ١٩٦٦. 65-82
to the Coming of Islam. (Oxford. 1990),69-85.

(٣) رمزي بعلكي، الكتابة العربية والسامية دراسات في التاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين،
(بيروت: دار العلم للملايين ، ١٩٨١) ١٤٣ ؛ مشلح بن كميخ المريخي " نقش رقوش بالحجر
(مدائن صالح) رؤية جديدة " ، سلسلة مداولات اللقاء العلمي السنوي لجمعية التاريخ
والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، (دبي : ذو الحجة ١٤١٩ هـ / إبريل
١٩٩٩م)، ٧١.

الوثائق القانونية^(١). ونقوش دينية تتعلق بالهبات والقرايين وشواهد القبور والنصب الخ.

وهناك نصوص متعلقة بالملكات وهي نصوص تكتب على جدران المنشآت الدينية أو المدنية، بمناسبة بنائها أو ترميمها أو توسيعها، وأحياناً تخلد أسماء المهندسين المعماريين، الذين أسهموا في بنائها. وتحدد النصوص حقوق الأشخاص فيها، وغالباً ما يتعلق الأمر بملكات قبيلة ما. هذه المنشآت قد تكون مساكن وملحقاتها، أو استحكامات دفاعية، أو أباراً، وسدوداً، وقنوات، أو إقامة أعمال زراعية^(٢).

وهناك نقوش قد تشير إلى حدث معين قد يكون غزوة قام بها حاكم منطقة بعيدة إلى المنطقة التي اكتشفت فيها النقش، وقد يكون ابتهاجاً من أحد حكام أو أفراد منطقة معينة إلى إله من آلهتها، فنعرف من ذلك اسم هذا الحاكم أو الشخص واسم الإله أو الآلهة التي كانت عبادتها تسود هذه المنطقة وهكذا^(٣).

٢- المصادر الكلاسيكية.

وتبدأ الكتابات الكلاسيكية عن أحوال شبه الجزيرة العربية بشكل أساسي في أواسط القرن الخامس ق. م. وإن كانت هناك إشارات عن العرب فيما تركه لنا اليونان الأوائل، على أن هذه الإشارات ضئيلة ولا تتعدى في الواقع خمس إشارات: اثنتان

(١) نورة بنت عبد الله النعيم، التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م)، ١٦٥.

(٢) عبد الله، أوراق في تاريخ اليمن، ٥٦.

(٣) bulletin of the faculty of arts, huzayyin: changement historique du climat et du paysage de l'Arabie du sud, 132, (1952), of arts

منها تردان في ملحمة الأوديسة المنسوبة إلى هوميروس Homeros الذي يعتمد في شعره على تراث يوناني ينتهي عند أواسط القرن التاسع ق. م. وواحدة في أشعار هزiodوس hesiodos ، وهي أشعار ترجع إلى ما بعد هذه الفترة بما يقرب من قرن، واثنتان في مسرحيتين للشاعر المسرحي إيسخيلوس aeschylos وترجعان إلى العقود الأولى من القرن الخامس ق. م^(١). ولكن هذه الإشارات جميعا، فوق أنها مبتورة تأتي كل منها في لفظة واحدة، فإن اثنتين من بينها دلالتها غير محددة، وواحدة غير ثابتة، ولكن مع ذلك، فإن هذه الضلالة في عدد الإشارات أو في نوعيتها لها دلالة تاريخية فيما يخص شبه الجزيرة العربية، وهذه الدلالة هي أن مجتمع شبه الجزيرة لم يكن بينه وبين اليونان آنذاك اتصال مباشر، ومن ثم كان الحديث عنهم في كتابات اليونان في تلك الفترة حديثا غامضا أو شبه أسطوري^(٢)

على أن أول ذكر مفصل ومطول عن العرب وشبه الجزيرة العربية عند الكلاسيكيين يرجع، إلى أواسط القرن الخامس ق. م. ونجده عند المؤرخ اليوناني هيرودوتوس Herodotus (نحو ٤٨٤ - ٤٢٥ قبل الميلاد) الملقب بأبي التاريخ.

(١) 4, the arch soc of alexandria arabaiois ، arch & hist studies، lutt a-w. yebya: from homer to hesiod

3, (1971), ."

(٢) لطفي عبد الوهاب يحيى، هوميروس تاريخ حياة عصر (الإسكندرية: د.ن، ١٩٦٨م)، ٣٥-٤٠. الإشارة الأولى عند هوميروس في الأوديسة IV،: 84، ترد فيها لفظة eremboi لتصف قوماً، ويعتقد سترابون الجغرافي XVI ، 27: بناء على اجتهاده الشخصي وعلى آراء اثنين من سابقه تعرضا للمسألة وهما زينون zenon وبوسيدونيوس poseidonius ، أن اللفظة تشير إلى العرب.

وعلىنا أن ننتظر حتى العقود الأخيرة من القرن الرابع ق. م. لنشهد مرحلة جديدة في الكتابات الكلاسيكية تنتقل فيها شئون شبه الجزيرة من حديث التعميم والتجريد إلى حديث التخصيص والتحديد، وهو اتجاه ساعدت عليه حركة التخصص العلمي التي بلغت ذروتها عند المفكرين والكتاب اليونان في تلك الفترة، كما واكب وعكس انتقال شبه الجزيرة من حافة الاهتمام الدولي إلى داخل دائرة هذا الاهتمام بعد أن أقدم الإسكندر الأكبر على توسعه الإمبراطوري في الشرق واتجه بتفكيره إلى غزو شبه الجزيرة العربية^(١).

ورغم أن هذا الغزو لم يخرج إلى حيز التنفيذ بسبب الموت المفاجئ للإسكندر في ٣٢٣ ق. م. إلا أن الاستعدادات التي اتخذها لتحقيق هذا الهدف تضمنت إرسال عدد من قادته وأعوانه للتعرف المبدئي على شبه الجزيرة فيما يخص مساحتها وسواحلها وبعض الجوانب الأخرى التي تتصل بها^(٢).

سجل المعلومات التي حصل عليها هؤلاء، اثنان من الكتاب الكلاسيكيين : أحدهما متخصص في الأمور العسكرية وهو بطلميوس ptolemaios ابن لاجوس، أحد رفاق الإسكندر وقواده البارزين، والثاني، وهو أرسطوبولوس aristoboulos ، رجل عسكري آخر من ثقات الإسكندر، ولكنه متخصص في الكتابة عن المسائل الجغرافية، والقضايا المتعلقة بالتاريخ الطبيعي، وقد وصلتنا دراسات هذين الكاتبين عن طريق كاتب كلاسيكي لاحق هو أريانوس arrianos، كما وصلت أجزاء منها ومن بقية المعلومات المتعلقة باستعدادات الحملة عن طريق كاتب كلاسيكي آخر هو

(١) يحيى، العرب في العصور القديمة، ٢٠١.

(٢) strabo: XVI، 20: 8-10، VII، arrianos: anabasis 4:4.

مدخل إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

سترابون^(١) (٦٤ ق.م - ١٩ م) الذي ساهم في الحملة الرومانية، وعان بنفسه أحوال العرب الاجتماعية والاقتصادية ووصفها^(٢).

كاتبًا متخصصًا ثالثًا ينتمي إلى الفترة ذاتها، وهو ثيوفراستوس Theophrastos، "حوالي ٣٧١ - ٢٨٧ ق.م"، مؤلف كتاب "historia plantarum" وكتاب "de causis plantarum" وكان أخصائيًا في التاريخ الطبيعي وأحد تلاميذ أرسطو وخليفة هذا المفكر في رئاسة معهد اللوقيون LYKEON، كان أول من ذكر السبئين وتكلم بشكل تشريحي عن اللبان والمر الذي تستنتجه منطقتهم، كما أعطانا معلومات عن تجارتهم وسفنهم^(٣).

ومن تحدث عن العرب "بلينيوس" "بليني الأقدم" "Pliny the Elder" "Galusplinius Secundus" المتوفي سنة ٧٩ م، ومن كتبه المهمة كتابه "التاريخ الطبيعي" "Naturalius Historia" في سبعة وثلاثين قسماً، وقد نقل في كتابه عن تقسمه، ولا سيما معلوماته عن بلاد العرب والشرق وجمع ما أمكنه جمعه، غير أنه أتى في أماكن متعددة من كتابه بأخبار لم يرد لها ذكر من كتب المؤرخين الآخرين^(٤).

ومن المصادر الكلاسيكية أيضاً ما كتبه يوزيبوس (٢٦٥ - ٣٤٠ م)، وروفيوس تيرانيوس (ت ٤١٠ م)، ومنهم أيضاً شمعون الأرشامي مؤلف رسائل

(١) (London، Strabo، The Geography of Strabo، tans. H. L. Jones، XVI، 1949)، II، 1: 3، 2، 3، 5، 7.

(٢) (London، Strabo، The Geography of Strabo، XVI، 1949)، II، 1: 3، 2، 3، 5، 7.

(٣) theophrastos: peri phyton historias، IX، 4.

(٤) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ثمانية أجزاء، (بغداد: ١٩٥٠ - ١٩٥٩ م)، ٥٥.

الشهداء الحميريين، وهي رسائل تصور ما تعرض له نصارى نجران من تعذيب على يد ذي نواس ملك حمير. ومنهم أيضًا بروكوبيوس (ت بعد ٥٦٥ م) مؤرخ القائد البيزنطي المشهور بليزاريوس، وصاحب كتاب تاريخ الحروب، الذي أشار فيه إلى الحروب بين الغساسنة والمناذرة، وحملة الأحباش على اليمن. وهناك عدد كبير آخر من مؤرخي العصر البيزنطي الذين كتبوا عن العرب أوردوا جواد علي أسماء بعضهم^(١).

٣- المصادر الدينية.

وتضم: التوراة والقرآن الكريم، اللذين وصلا إلينا في هذه الصورة المكتوبة، ثم الأفكار الوثيقة الصلة بهذين الكتابين المنزلين، وهي التلمود الذي يمثل مجموعة الأحكام والشروح والروايات المتصلة بالتوراة، والحديث الشريف الذي يضم مجموعة التعليقات والتعليقات التي نطق بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتنقلت عن طريق الرواية حتى تم تدوينها فيما بعد.

أ- التوراة والتلمود

- التوراة:

كتاب اليهود المقدس، أقدم المصادر غير العربية لتاريخ العرب قبل الإسلام، فقد ورد ذكر العرب في مواضع متعددة من أسفار التوراة لتفسير الصلاة بين العبرانيين والعرب كسفر حزقيال، وسفر المزامير، وسفر عاموس، وسفر دانيال. وعلى الرغم من التحريف الذي أصاب التوراة إلا أننا يمكن الاستفادة منه ببعض المعلومات المهمة التي تلقي الضوء على بعض مظاهر الحياة عن شبه الجزيرة العربية

(١) علي، المفصل، ج ١، ٣٠ - ٣٣.

وذلك من خلال بعض المعلومات المختصرة. وأغلب الإشارات الواردة في التوراة، تبين لنا عددا من الجوانب التي اتسمت بها العلاقات بين العرب والعبرانيين. وهي علاقات كانت تسير في بعض الأحيان في طريق العنف السافر الذي ينتصر فيه أحد الطرفين مرة وينتصر الطرف الآخر مرة، وتسير في طريق المؤامرات أحيانا أخرى، أو في طريق العلاقات التجارية في أحيان ثالثة. فالتوراة تذكر لنا مثلا أن الفلسطينيين والعرب "الذين بقرب الكوشيين" هاجموا مملكة يهوذا على عهد ملكها يورام أو يهورام "٨٥١-٨٤٣ ق. م."^(١).

- التلمود:

وهو ما يمثل مجموعة الأحكام والشروح والروايات المتصلة بالتوراة التي تواترت هي الأخرى شفهيًا بعض الوقت ثم سجلها بعض أحبار اليهود كتابةً بعد ذلك، وتعود أهمية التلمود لتاريخ الجزيرة العربية ورود ذكر العرب به^(٢) وهو لذلك من مصادر تاريخ العرب القديم.

- الكتب العبرانية:

إلى جانب التوراة والتلمود هناك مصادر عبرانية هامة لمؤرخين يهود أمثال المؤرخ يوسيفوس فلافيوس Josephus Flavius (٣٧ - ١٠٠ م) الذي ألف كتابًا في

(١) أخبار الأيام الثاني، إصحاح، ١٦: ٢١-١٧.

(٢) التلمود كلمة عبرانية تعني "تعليم" وهو التوراة الشفوية التي تولى أحبار اليهود تسجيلها كتابة فيما بعد، وقوامه مجموعة من القواعد والأحكام والوصايا والشرائع والشروح والتعاليم والروايات التي تواترت شفاهًا ثم دونت. والتلمود تلمودان أورشليمي وبابلي، والبابلي يتداوله اليهود. راجع: نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، (ناقصة البيانات)، ج ٣، ٢٦٤ - ٢٧٢.

تاريخ حروب اليهود منذ استيلاء أنطيوخوس إبيفانيوس على القدس سنة ١٧٠ ق. م إلى استيلاء الإمبراطور طيطس عليها سنة ٧٠ م وهذا الكتاب يتضمن أخبارًا هامة عن العرب، وخاصة عن الأنباط الذين كانوا يقطنون منطقة جنوبي فلسطين فيما بين البحر الأحمر وغربي الفرات.

- القرآن الكريم:

والقرآن الكريم يمثل في هذا الصدد أهم المصادر وأصدقها وأصحها على الإطلاق لأنه تنزيل من الله تعالى لا سبيل إلى الشك في صحة نصه^(١)، فهو الكتاب الذي أخرج به الله عز وجل الأمة من الضلالة العمياء، والجاهلية البغيضة، إلى نور الهداية، وعلى الرغم من أنه كتاب عبادة، وليس كتاب تاريخي، لكنه ضم الكثير من الآداب، والأخلاق، وقصص، ومواعظ، وعلوم وأخبار، وهداية وإرشاد، حفظه الله من التحريف والتبديل، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢).

والقرآن الكريم فيه ذكر للأقوام الأولين وحوى العديد من مظاهر حياة العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعقلية أيضًا وصورها أصدق تصوير^(٣)، كما أن فيه ذكر لبعض أخبار الشعوب البائدة من أمثال قوم عاد وثمود، وفيه أخبار عن أصحاب الفيل (أبرهة الحبشي وجيشه)، وسيل العرم وهو السيل الذي دمر

(١) جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، القسم السياسي، ج ١، (١٩٥٠م)، ص ٣٥؛ صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، (دمشق: د.ن، ١٩٦٢)، ٣٩٣؛ عمر فروخ، تاريخ الجاهلية، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٤م)، ص ١٦.

(٢) سورة الحجر، آية: ٩.

(٣) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول (القاهرة: د.ن، ١٩٦٧م)،

مدخل إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

سد مأرب، وأصحاب الأخدود، وهم أهل نجران النصاري الذين أحرقهم ذو نواس الحميري في أخدود حفره لذلك الغرض، هذه الأخبار أوردها الله تعالى في كتابه العزيز عبرة وموعظة للعرب المعارضين للإسلام، بما أصاب الله الشعوب البائدة من قصاص لتكذيبهم الرسل والأنبياء. وقد أثبتت الحقائق التاريخية الثابتة والكشوف الأثرية صحة ما جاء في القرآن الكريم من أخبار العرب البائدة ودقتها^(١).

كما اهتم القرآن الكريم بسرد تاريخ الأمم السابقة؛ إمعاناً في تحديه للمعارضين له؛ فيُخَبِّرُ عن حياة أناس عاشوا من آلاف السنين بصورة مُوثَّقة، وبدقة متناهية، لا يصل إليها المؤرِّخون مهما أُوتوا من أدلَّة ماديَّة.

والقرآن الكريم بمعطياته التاريخية يدفع بالإنسان نحو الهدف المنشود، بعد شرح وافي لحال الأمم بين الاستقامة كأمة حق تدعو إلى الخير، أو أمة منحرفة تدعو إلى الشر، وقد تنوع السرد التاريخي للوقائع ويعطينا تصوراً عن السنن التي تحرك التاريخ بقوانين الحركة التاريخية. كما يحدِّثنا عن الجانب الحضاري، وعن القوة المؤثرة التي تصنع الحضارات والأمم والدول والإمبراطوريات أو تقودها إلى الانكماش والسقوط. كما يعطي القرآن الكريم تصوراً شاملاً للحضارة الإنسانية من حيث الوجود والبناء، وعوامل الازدهار والانحيار، ومؤشرات النهوض لاستئناف المسيرة التاريخية، وبناء حضاري مرضي عنه من عند الله^(٢).

ولا يمكننا اعتبار القرآن الكريم أحد كتب التاريخ القابلة للنقد والتمحيص، فهو فوق كل شيء وقبل كل شيء - كتاب إرشاد وهداية ودستور حياة المسلمين،

(١) جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام (القاهرة: دار الهلال، ١٩٢٢م)، ١٧.

(٢) عبد المعطي بن مُحَمَّد عبد المعطي سمسَم، نظرة في التفسير الإسلامي للتاريخ (مصر: إيتراك للطباعة والنشر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م)، ٢٢-٢٤.

يطبقون منهجه، ويحيون به عقيدتهم التوحيدية، ويقيمون به أنفسهم، فهو منار للأخلاق وميزان للعدالة، واستنباط للأحكام، وقد جاء تفسير حياة الإنسان كيف كانت وكيف ستكون، وهو الحق من عند الله وأصدق القصص^(١).

ومن المعروف أن الشعوب العربية البائدة إنما انقرضت لعاملين: الرمل الزاحف الذي طغى على العمران القديم في أواسط شبه الجزيرة العربية وفي الأحقاف، وهياج البراكين وما ترتب عليه من تدمير شامل لمدن كانت عامرة^(٢). ولقد ورد في القرآن الكريم أن قبائل عاد وثمود بادت بصاعقة دمرت كل شيء، وأن الله أرسل عليهم ريحاً صرصراً عاتية أتت على كل شيء. وفي عاد وثمود يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِرَهُمْ عَذَابَ الْآخِرَةِ وَالْعَذَابُ الْأَخِيرُ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿٥١﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ الْعَذَابُ الْهَلْوَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٥٣﴾ مَا تَذَرُونَ شَيْءًا أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّيْرِ ﴿٥٤﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٥﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٥٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جثثًا ﴿٥٨﴾ كَانَتْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا إِنَّا ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لثَمُودَ ﴿٥٩﴾﴾.

(١) سمس، نظرة التفسير الإسلامي للتاريخ، ١٦.

(٢) فروخ، تاريخ الجاهلية، ٤٥.

(٣) سورة فصلت، ٤١، آية ١٥-١٧.

ونستدل من هذه الآيات البينات على أن قوم ثمود وعاد هلكوا على أثر ريح عاتية أو على أثر تفجر بركان صحبته رجفة عنيفة. وسيل العرم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم إنما يقصد به السيل الذي أدى إلى انهيار سد مأرب وتخربه، وكان سد مأرب أهم سدود اليمن جميعاً، وإليه يرجع الفضل الأعظم في تحويل مدينة مأرب إلى جنة يانعة، وفي تعريف بلاد اليمن ببلاد العرب السعيدة، عرفها اليونان باسم Arabia Felix، وبالبقعة الخضراء والأرض الخضراء، لكثرة مزارعها وأشجارها وثمارها^(١). وما زالت آثار السد وآثار الجنتين الواقعتين على يمينه وعلى يساره ظاهرة حتى يومنا هذا، تؤكد صحة ما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا فَضَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجُنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝١٤ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ ۝١٧﴾^(٢).

ومع ذلك فإن عدداً كبيراً من المستشرقين لا يعتبرون الكتب المقدسة، ومن بينها القرآن الكريم، مصادر تاريخية يعول عليها، لأن ما جاء فيها لا يتضمن تفصيلات تاريخية، كما أنها تهدف إلى عبرة أخلاقية بالإضافة إلى أن بعض أخبارها لا يزال غير واضح، وينقصه التحديد الزماني والمكاني^(٣).

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، نشره محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي (القاهرة: د.ن،

١٩٥٣م)، ٥١.

(٢) سورة سبأ، آية ١٤-١٧.

(٣) سيدة إسماعيل كاشف، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول (القاهرة: د.ن، ١٩٦٧م)،

٢-١.

- الحديث

أما الحديث وهو المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، لأنه يتضمن أحكامًا وقوانين للمجتمع الإسلامي المتطور، فيعتبر أصدق المصادر التاريخية بعد القرآن الكريم لتدوين تاريخ الجاهلية القريب من الإسلام، على الرغم من أن الحديث لم يدون بالفعل إلا في أواخر القرن الثاني الهجري في خلافة عمر بن عبد العزيز، وسبب ذلك أن الحديث يمثل أقدم الروايات الشفوية التي وصلت إلينا عن طريق التدوين وأدقها لاعتماده على الإسناد، بالإضافة إلى تعرض الأحاديث لكل ما كان قائمًا من نظم الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية^(١).

ولما كان كثير من الأحاديث موضوعة، انتحلت لتلبية حاجة البدع والنزعات، التي بعدت عن مقاصد الرسول، فلا بد للباحث في الأحاديث من الاعتماد على المجموعات الصحاح ومن أشهرها (صحيح البخاري - صحيح مسلم، سنن أبي داود - جامع الترمذي - سنن النسائي الصغرى - سنن ابن ماجه)، وقد بذل أولئك المحدثون الكثير من الجهد والكد، في التدقيق والتمحيص لإظهار سنة المصطفى عليه السلام في أكمل صورها^(٢). ونتج عن ذلك أن أصبح من السهل الاعتماد عليها كمصدر موثوق فيه لكتابة التاريخ وتفسيره.

- كتب التفسير

لقد دفع هذان المصدران الأساسيان في التشريع الإسلامي - القرآن الكريم والأحاديث الشريفة - إلى ظهور علوم إسلامية أخرى لخدمة هذين المصدرين ومن

(١) كاشف، مكة والمدينة، ١-٢.

(٢) سمس، نظرة في التفسير الإسلامي للتاريخ، ١٧.

مدخل إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

أهمها علم التفسير، الذي نشأ لفهم القرآن الكريم وتدبره، وتوضيح الغامض فيه وفهم استعارته وألفاظه، وشرح أحكامه، وتتضمن كتب التفسير شروحاً مفصلة لما ورد في القرآن الكريم من أخبار مختصرة عن بعض الأحداث في الجاهلية وفي عصر النبوة الأول

ويعود تاريخ نشأة علم التفسير إلى عهد الرسول ﷺ باعتباره أول من قام بتفسيره، ثم تولى صحابته من بعده هذه المهمة، باعتبارهم "الواقفين على أسرارهم، المهتدين بهدي النبي صلى الله عليه وسلم"^(١).

ومن أشهر المفسرين من الصحابة عبد الله بن عباس، وعن التابعين أخذ تابعو التابعين، فجمعوا أقوال من تقدمهم، وصنفوا التفاسير^(٢). ثم اتجه العلماء في تفاسيرهم اتجاهات متباينة، فكان ما يسمى بالتفسير المأثور^(٣) ومن أشهر كتب هذا التفسير التفسير التاريخي المعروف بتفسير الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٣م)، ويسمى كتابه "جامع البيان في تفسير القرآن"، الذي جاء حافلاً بتفاسير وشروح مفصلة لآيات الذكر الحكيم، بالإضافة لشروح مفصلة لبعض قصص القرآن الكريم، وأحداثها التاريخية مع أنه دون كتاباً في التاريخ سماه كتاب "تاريخ الأمم والملوك".

ومنها أيضاً تفسير ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م)، وهو يقارب تفسير الطبري إن لم يكن يفوقه في بعض المسائل. "وكان هناك ما يسمى بالتفسير

(١) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن (دمشق: د.ن، ١٩٦٢م)، ٣٣١.

(٢) الصالح، مباحث في علوم القرآن، ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٣) يعرف أيضاً بالتفسير النقلي، لأنهم لجأوا فيه إلى طريقة النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين. عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، العصور الوسطى، (القاهرة: د.ن، ١٩٦٣)، ١٦٦.

بالرأي، ويعتمد المفسر فيه على اللغة ومعاني الألفاظ، ولذلك عرف أيضًا بتفسير الدراية أو التفسير العقلي، وفيه تعددت المناهج وكثر الاختلاف.

كما دون كتاب آخر سماه "البداية والنهاية"، وفي كلا الكتابين يسير المنهج إلى تتبع أحداث البشرية، منذ بدأ الخليقة واستخلاف الإنسان على الأرض، وقصص الأنبياء والأحداث التاريخية المواقبة لدعواهم، وتاريخ المصطفى ﷺ، وأحداث تاريخ الإسلام إلى عصورهم.

وأشهر التفاسير بالرأي تفسير الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ويعرف بالتفسير اللغوي، وتفسير فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، وهو تفسير عقلي بحث عني فيه الرازي ببحث الكونيات، وقد قسم الآيات التي يتولى تفسيرها إلى عدد من المسائل، قام بتأويلها مدافعًا عن عقيدة أهل السنة والجماعة^(١)، ومنها تفسير البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) المسمى "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، وفيه يعني بإثبات الأدلة على أصول أهل السنة، ومنها تفسير أبي السعود، وتفسير النسفي، وتفسير الخازن.

- كتب السيرة والمغازي

وتعتبر كتب السير والمغازي، من المصادر المساعدة في تدوين التاريخ العربي القديم، لما احتوت عليه مقدمتها من دراسات، حول التاريخ العرب القديم قبيل الوصول إلى عهد الرسول ﷺ. وقد دفع اهتمام المسلمين بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله للاهتمام بها والاعتماد عليها في التشريع الإسلامي، وفي النظم الإدارية، المؤرخين الأول إلى الكتابة في سيرة الرسول وفي مغازيه ومغازي الصحابة^(٢). وقد تعرضت كتب السيرة والمغازي لأخبار الجاهلية القريبة من الإسلام أو المتصلة بحياة

(١) فروخ، تاريخ الجاهلية، ١٧.

(٢) عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت: د.ن، ١٩٦٠م)، ١٩، ٢٠.

النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك فهي من المصادر الهامة لتاريخ العرب قبل الإسلام، فكتاب سيرة ابن هشام مثلاً (ت ٢١٨هـ) أول كتاب عربي وصل إلينا يؤرخ لسيرة النبي والعرب قبل الإسلام، وابن هشام في سيرته يعتمد على الرواية الشفوية كما يعتمد على كتب ضاعت أهمها كتاب في سيرة النبي لأبي عبد الله محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ)^(١). ومن أقدم كتاب المغازي عروة بن الزبير الذي وصلتنا بعض رسائله في كتب الواقدي والطبري، وأبان بن عثمان بن عفان، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وشرحبيل بن سعد، والواقدي، ومحمد بن سعد.

ومعظم كتاب السيرة والمغازي من أهل الحجاز ومن المدينة بالذات، باعتبارها دار هجرة الرسول ودار السنة التي عاش فيها الصحابة، وسمعوا أحاديث الرسول، ورووها بدورهم إلى التابعين. بينما تألفت حركة أخرى للتأليف في السيرة والمغازي في البصرة نتيجة طبيعية للصراع الحزبي وللإقليمية وللقبلية.

وينقسم مؤرخو السيرة والمغازي في مدرسة المدينة إلى ثلاث طبقات، فبرز في الطبقة الأولى منهم أبان بن عثمان بن عفان وعروة بن الزبير وشرحبيل بن سعد. ومن كتاب الطبقة الثانية: عبد الله بن أبي بكر بن حزم، وعاصم بن عمرو بن قتادة، وابن شهاب الزهري، ومن كتاب الطبقة الثالثة: موسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق بن يسار، والواقدي. وكلهم من المدينة دار السنة باستثناء ابن شهاب الزهري فهو مكّي، ونضيف إليه وهب بن منبه الذي كتب في السيرة بجانب كتاباته في قصص الأنبياء وأخبار القدماء. وفيما يلي دراسة موجزة لأعلام هذه المدرسة المدنية.

(١) جمع ابن هشام أخبار السيرة من ابن إسحاق ودونها وتناولها بالنقد والاختصار وذكر ما فات ابن إسحاق ذكره من روايات (انظر: مقدمة ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: إبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شليبي (القاهرة: د.ن، ١٩٣٦م)، ١.

٤- المصادر العربية

انصرف مؤرخو العرب الذين دونوا التاريخ الجاهلي إلى رواية أنساب القبائل ووصلها بعدنان وقحطان أو إسماعيل أو أبناء نوح، وتقسيم العرب إلى طبقات. والكتابات التاريخية العربية نوعان:

الأول يتناول أخبار العرب في الجاهلية الأولى، وهي مجموعة من القصص الشعبي والأساطير المتأثرة بالتوراة أخذت من مصادر مختلفة أو كانت من ابتكار الرواة، من أمثال هذه الكتب التاريخية التي تدخل في هذا النوع من الكتابات التاريخية كتاب في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها لعبيد بن شربة الجهمي، ويتضمن هذا الكتاب كثيرًا من الأشعار زعم مؤلف الكتاب أنها مما حفظ عن التبابعة، كذلك يتضمن الكتاب أخبارًا لعاد وشمود وطسم وجديس وجهم، كما جاء فيه أخبار وقصص عن بني إسرائيل.

أما النوع الثاني فيتناول أخبار العرب في الجاهلية القريبة من الإسلام، أو المتصلة بحياة النبي، كأيام العرب، وهي الأخبار التي تروي ما كان يحدث من حروب ووقائع بين القبائل العربية المختلفة، هذه الأخبار هي أقرب إلى الحقيقة التاريخية لأنها كانت ما تزال تعيها ذاكرة القوم، ثم إنها بالإضافة إلى ذلك أخبار قريبة العهد بالإسلام.

ولم يتم تدوين أخبار الجاهلية كما سبق أن أشرنا إليه إلا في العصر الأموي عندما ثبتت دعائم الإسلام واستقرت أركان الدولة العربية، وبدأ العرب يعنون بأخبارهم القديمة، فشهد القرنان الأول والثاني للهجرة اهتمامًا خاصًا بدراسة أخبار العرب في الجاهلية والإسلام وأخبار الأمم التي اتصلت بهم، وتآلف من مجموع هذه الأخبار مجموعة من الكتابات التي أشرنا إليها. ومن المؤرخين العرب الذين اشتغلوا

مدخل إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

برواية أخبار العرب قبل الإسلام: عبيد بن شرية الجرهمي اليمني، ووهب بن منبه (ت ١١٠ هـ)، ومحمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ)، وابنه أبو المنذر هشام بن محمد (ت ٢٠٤ هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت ٢٠٩ هـ)، وعلي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥ هـ). وإلى هؤلاء الأخباريين نضيف علماً من أعلام الجغرافيين العرب هو أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني (ت ٣٣٤ هـ) الذي عني بوصف جزيرة العرب وذكرها ومواضعها وآثارها.

٥ - البعثات الاستكشافية في الجزيرة العربية

البعثات الاستكشافية لا تقل أهمية عن الكشف الأثرية والنقوش. فقد دون الرحالة معلومات هامة عن النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية السائدة في مجتمعات شبه الجزيرة العربية والتي تشكل قاعدة صلبة تمكن الباحثين من دراسة نظم ومجتمعات دول المنطقة القديمة من خلال مقارنة المادة الموجودة في مصادرها القديمة وما توفره كتابات الرحالة. كما يشكل أدب الرحلات معيناً لا ينضب من المعلومات عن المصادر الطبيعية والصناعات وطرق المواصلات والتجارة، الخ... والتي نتناولها بالتفصيل والدراسة خلال البحث. واعتمدت الدراسة على عقد المقارنات بين عدد من المصادر الأولية التي تشمل الاستشهاد ببعض نصوص الكتب الكلاسيكية ومثيلاتها من كتابات الرحالة الغربيين. وكذلك الاستعانة بنماذج من الدراسات الغربية الحديثة التي اعتمدت على كتابات الرحالة في سبيل إيضاح وفهم بعض الجوانب الغامضة من تاريخ الجزيرة العربية القديم.

بدأت الدراسات الأثرية عن شبه الجزيرة العربية بقدوم بعض الرحالة الأوروبيون المبكرون أمثال: بوكهارت، هوبر، هاليقي، جلازر، بلجريف، كورنول^(١)، شكسبير، جوسين وسافنيك^(٢)، ماندفيل، سنت جون فيليبي، وفيدال، ورتشارد ليونارد بوين، ودكسون، وبطرس كرونول، وجيفري بيبي، ريكمانز، جام، جاكليين، بيرين، وايزمان وغيرهم كثير. هؤلاء قاموا بنشر أعمالهم على شكل مقالات وكتب تطرقت لمواضيع كثيرة من ضمنها ذكر لظواهر أثرية التي شاهدها ونشر القليل من الصور. وما ذكره هؤلاء جذب باحثين آخرين إلى القيام برحلات أثرية من خلالها تم جمع آلاف النقوش وتحديد الكثير من المواقع الأثرية ووصفها^(٣).

وتكونت البعثات الأثرية المنظمة إما للقيام بمسوحات أو حفريات أثرية. ومن أهم هذه البعثات بعثة المعهد الأمريكي لدراسة الإنسان إلى الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية في عام ١٩٥٠ - ١٩٥١ م والتي قامت بالتنقيب في عدد من المواقع والتي تم نشر العديد من المجلدات والمقالات عن نتائجها. كذلك بعثة أرهوس الدنمركية والتي بدأت أعمالها في عام ١٩٥٤ م في شرق الجزيرة العربية، قامت هذه البعثة بعمل مسوحات وحصر للمواقع بالإضافة إلى التنقيب المكثف في بعض المواقع خاصة قلعة البحرين ومعبد باربار وجزيرة فيلكا، وتل تاروت وثاج والظهران في شرق المملكة ونشر عن هذه الأعمال العديد من الكتب والمقالات في مجالات أثرية متعددة، يضاف

P. B. Cornwall, "Ancient Arabia Explorations in Hasa, (1940-1941)". Geographical Journal, No. (١)

, 107, 1946, PP. 28-50; In Search of Arabia's Past. National Geographic Magazine, XCIII (4)

.(1948), Washington: National Geographic Society, April, 1948

A. Jaussen and R. Savignac, Mission Archeologique en Arabie, Paris: La Societe des Fouillies (٢)

Archeologiques, 2 Vols.

Dickson, H. R. P. and R. Thaj and Other Sites. Iraq, X, 1948, 1-8. (٣)

إلى ذلك بعثة جامعة تورونتو الكندية المكونة من فردريك وينت ووليم ريد أثناء حكم الملك سعود، فقامت بمسح للنقوش القديمة في منطقة حائل عام ١٩٦٢م، نتج عنه نشر البعثة لمقال تعريفى بها وبعملها الذي أنجزت^(١)، ثم نشرت مقالاً مطولاً في مجلة برايتوس^(٢) التي تصدر عن الجامعة الأمريكية في بيروت آنذاك. وكان لهذا المقال أثر كبير في تعريف العالم الغربي المتخصص بالثروة الكبيرة من النقوش القديمة التي توجد في شمالي المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص. وعلى نتائج هذا العمل تأسست أعمالها اللاحقة التي نتج عنها قيامها برحلة إلى شمال وشمال غربي المملكة نتج عنها نشرهما كتاب في غاية الأهمية احتوى على دراسات للفخار والنقوش والمعثورات الأخرى التي وجدت في عدد من المواقع قاما بزيارتها ووصفها^(٣).

ويعد المستشرق الدانماركي "كريستنس فون هافن" -أستاذ اللغات السامية في جامعة غوتنجن الألمانية- أول من وجه الأنظار إلى الكشف عن عادات بلاد العرب الجنوبية، إذ أقنع ملك الدانمارك سنة ١٧٥٦م بتكوين بعثة علمية، تطوع هو للاشتراك فيها.

وقد أقلعت البعثة من "كوبنهاجن" لهذا الغرض عام ١٧٦١م على ظهر طراد دانماركي حربي، ووصلت إلى اليمن في آخر عام ١٧٦٢م، فاستقبلها إمام اليمن واحتفى بأعضائها. غير أن المنية قد اختارت أربعة من أعضائها واحداً بعد الآخر

(١) F. V. Winnett and W. L. Reed, "Report on the Arabian Expedition of 1962". BASCR, 168: 9 – 10, (1962).

(٢) "Report on the Archaeological Expedition to Ha'il in Northern", F. V. Winnett and W. L. Reed (٢) 188: 2 – 3, (1967). BASOR, Saudi Arabia

(٣) Ancient Records from North Arabia. Toronto: University of Toronto, Winnett and G. W. L. Reed (٣) Press. (1970).

بسبب مشاق السفر وقسوة الطبيعة، ولم يبقَ منهم سوى الضابط "كارستن نيبور" الذي أصر على إتمام المهمة، وعاد بنتائج مهمة دونها في كتاب أصدره، ورسم مصورًا للجهات المجهولة من بلاد العرب البعيدة نال تقديرًا عظيمًا من الرحالة المتأخرين^(١). أيقظت هذه الرحلة فضول المستشرقين والرحالة، فتتالت البعثات الأثرية إلى اليمن. وقد استطاع كل من الدكتور "سيتزن" الألماني و"جيمس وولستد" و"هولتن" "١٨٣٥" و"كروتندن" "١٨٣٨ م"^(٢)، وبخاصة الدكتور "مكل" العثور على عشرات النقوش العربية التي أرسلت إلى أوروبا لتدقيقها ودراستها، وأخذت دوائر البحث في التوسع، ونشط العلماء في حل رموز الكتابة العربية الجنوبية القديمة. غير أن التقدم في هذا المجال ظل بطيئًا إلى أن دخله الفرنسيون فقد استطاع الصيدلي "توماس أرنو" "١٨٤٣ م" العثور على ٥٦ نقشًا في آثار صنعاء ومأرب أرسلها إلى بلاده، ونشرت في المجلة الآسيوية مع مخطط لسد مأرب. وعثر بعده المستشرق "هاليفي" على ٦٨٦ نقشًا جمعها من ٣٧ مكانًا، كما اكتشف مدينة معين القديمة، واطلع على أسماء عدد كبير من ملوك اليمن القدماء وقبائلهم وأهتهم.

عاد الألمان والنمساويون بعدئذ إلى الاهتمام بآثار اليمن، فقام العالم النمساوي "إدوار غلازر" بأربع رحلات إلى الجنوب العربي بين ١٨٨٢ - ١٨٩٢ م، وجمع عددًا كبيرًا من الكتابات والنقوش أربت على ٦٠٠ بينها أكثر من ١٠٠ نقش من العهد القتباني - وكان له الفضل في أنه أول من مكن العلماء من الوقوف على بعض أخبار مملكة قتبان، إذ كان ما اكتشفه من النقوش التي تتحدث عنها أول كتابات تصل إلى

(١) ديتلف نيلسون وآخرون، التاريخ العربي القديم، ترجمة: فؤاد حسنين علي، (القاهرة: د.ن، ١٩٥٨ م)، ١-٣.

(٢) نجيب العقيلي، المستشرقون (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٢ م)، ج ٢، ٨٣٥، ج ٣، ١٠٩٨.

مدخل إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

أوروبا- هذا بالإضافة إلى ٤٠ لوحا مكتوبا وإلى كثير من التحف والنقود القديمة، فأغنى بذلك الدراسات العربية اليمنية، وزودها بفيض من المعلومات القيمة. كما رسم مخطط سد مأرب بدقة تامة، واستنسخ الكتابات المنقوشة عليه، وحصل على مقاييس ومساحات بعض المعابد، كمعبد إله القمر في مأرب، وهكذا فتح "غلازر" عهداً جديداً في تاريخ العرب القديم فجعله أكثر علمية.

ولم يقتصر نشاط المستشرقين على اكتشاف آثار الجنوب العربي ونقوشه، بل امتد إلى شمالي الجزيرة العربية، إذ قام بعض الرحالة من السويسريين والإنجليز والألمان منهم "بركهارد" و"جورج والين" وغيرهما بزيارة بعض مدن الحجاز ونجد والبتراء وحوران وبصرى وتدمر، واكتشفوا أيضاً من الآثار، وعثروا على كتابات ألقت قبساً من النور على التاريخ القديم لهذه المناطق.

ويُعدّ الرحالة والسياسي المخضرم هاري سانت جون فيلبي من أبرز الرحالة الذين كتبوا عن الجزيرة العربية حيث ألف العديد من الكتب والتقارير الرسمية والمقالات والنشرات المتفرقة، التي أرّخت ووصفت معظم مناطق المملكة. وحظي جنوب الجزيرة العربية بنصيبه من هذا الاهتمام، حيث نشر فيلبي كتابين عن رحلاته خلال عام ١٩٣٦-١٩٣٧م هما " Arabian Highlands مرتفعات جزيرة العرب " و " Sheba's Daughters بنات سبأ"، اللذين يعدان من أضخم مؤلفاته عن المناطق الجنوبية عدا المقالات المتفرقة^(١).

ومن المفيد أن نذكر أن أغلب النشاطات الأثرية التي قام بها هاري سانت جون برديجر فيلبي حدثت في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله وبدعم معنوي ومادي منه،

P. Lippens, Expedition en Arabie Centrale. Paris, 1956. (١)

فمنها مسحه لشمال غربي المملكة العربية السعودية ما بين الأعوام ١٩٥١م/ ١٩٥٣م الذي نشر نتائجه عام ١٩٥٧م في مجلدين^(١).

ونشير إلى أهمية كتاب " Arabian Highlands " مرتفعات جزيرة العرب لجون فيلبي لدارسي تاريخ المملكة العربية السعودية بشكل عام والمناطق الجنوبية الغربية بشكل خاص والكتاب سفر ضخيم يسجل مشاهدات فيلبي في جنوب غربي المملكة العربية السعودية خلال عام ١٩٣٦-١٩٣٧م، التي شملت المناطق الممتدة من السليل شرقاً وحتى البحر الأحمر غرباً، ومن مكة المكرمة شمالاً وحتى الحدود اليمنية جنوباً. وقام البرت جام A. Jamme بنشر النقوش التي جمع فيلبي من موقع قرية "الفاو"، وتُعدُّ تلك الدراسة من أقدم الأعمال الأثرية التي وثقت مئات النقوش من تلك المستوطنة، والتي عليها اتكأت بعض الدراسات ذات الصلة بعلاقة قرية "الفاو" بممالك جنوب الجزيرة العربية^(٢).

كما نشر فيليب لينز عام ١٩٥٧م دراسة عن الأماكن التي مرّت بها الرحلة العلمية التي قام بها مع فيلبي وركمانز عام ١٩٥١م عبر وسط الجزيرة العربية واصفاً الكثير من الأماكن الأثرية^(٣). وقام فاندن براندن، الباحث في الكتابات القديمة، بنشر مقالاً عن مجموعة من النقوش التي عثر عليها فيلبي بالقرب من قرية القرينة في

(١) هاري سنت، جون فيلبي، أرض مدين، ترجمة: يوسف مختار الأمين (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ١٨.

(٢) A. Jamme, Inscriptions Photography at Qaryat al-Fa'w. Documentation Sud – arabe, VI: 289 – 301, (٢) 1966.

(٣) فيليب لينز، رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية، ترجمة: محمد محمد الحناش، (الرياض: دار الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ)، ٣٢.

مدخل إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

شعيب ملهم في محافظة حريملاء وصورها وزود فاندن براندن بصورها^(١). ونُفذت أقدم حفرة في منطقة الرياض عام ١٩٦٠م عندما قام حمد الجاسر بتنقيب أحد المقابر الركامية في هضبة القصيعة في الخرج^(٢).

ولابد أن نشير إلى دراسات الألماني فاندن براندن عن مجموعة من النقوش التي جمع فيلبي من شمال غربي المملكة العربية السعودية^(٣)، ودراسة أخرى عن النقوش التي جمع من جنوبي المملكة العربية السعودية^(٤)، كما قدم دراسة عن التسلسل الزمني لمملكة دادان^(٥)، ودراسة عن النقوش الدادانية^(٦).

ولا ننسى جهود كلية السياحة الآثار متمثلة بقسم الآثار بجامعة الملك سعود وقيامها بالتنقيبات الأثرية في مختلف أنحاء المملكة العربية السعودية لعدة مواسم حيث أشرف عليها العديد من الأساتذة في القسم على سبيل المثال لا الحصر: أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري، أ.د/ سليمان بن عبدالرحمن الذيب، أ.د/ سعيد بن فايز السعيد، أ.د/ سالم طيران، د. عبدالله المنيف، أ.فؤاد عامر، أ.بلال المبارك وغيرهم، إلى جانب البعثات الأجنبية التي شاركت أيضاً في التنقيبات على سبيل المثال البعثة الفرنسية بمنطقة كلوة، وكذلك جهود الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني.

(١) حمد الجاسر، "لمحة عن عمران الخرج قديماً"، المجلة العربية، العدد ١٩ (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)، ٦٣٠-٦٣٧.

(٢) الجاسر، لمحة عن عمران الخرج قديماً، ٢٠-٢١.

(٣) Branden, Van Der. Les Textes Thamoudeens de Philby, Inscriptions du Nord. Louvain: Bibliotheque du Museon, (1956).

(٤) Branden, Van Der. Les Textes Thamoudeens de Philby, Inscriptions Du Sud (1956).

(٥) Branden, Van Der. La Chronologie de Dedan et de Liyan. BIO, XIV, (1957).

(٦) Branden, Van Der. Les Inscriptions Dedanites. Beyrouth: de l'Universite Libanaise, (1962).

ثانياً: جغرافية الجزيرة العربية

لقد توافر لشبه الجزيرة العربية موقعها المكانى المتوسط بين بلاد الشرق الأدنى القديم، ودورها البشري المؤثر في تكوين السلالات الأكثر عدداً بين سكان الأقدمين، كما كان لها الوساطة والتأثير في بعض خطوط اتصالاته واقتصادياته^(١) من خلال تحكمها في طرق التجارة الدولية التي تربط الشرق بالغرب، وتصل الشمال بالجنوب. عرفت بلاد العرب عند مؤرخي اليونان والرومان باسم Arabia، بينما عرفت عند مؤرخي العرب وجغرافيتهم باسم جزيرة العرب، وهي تسمية مجازية لأن بلاد العرب ليست جزيرة وإنما شبه جزيرة، ولكن العرب كانوا يسمون شبه الجزيرة جزيرة، فهم يسمون شبه جزيرة أيبيريا جزيرة الأندلس، ويسمون ما بين النهرين في العراق بجزيرة أقور^(٢). وقد سموا بلاد العرب بجزيرة العرب "لإحاطة البحار والأنهار بها، وصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر، ذلك أن الفرات القافل، من بلاد الروم يظهر بناحية قنسرين، ثم انحط على الجزيرة، وسواد العراق حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والأبلة وامتد إلى عبادان^(٣). وذكر ابن خلدون أن جزيرة العرب بين بحر فارس والقلزم "كأنها داخله من البر في البحر، يحيط بها البحر الحبشي

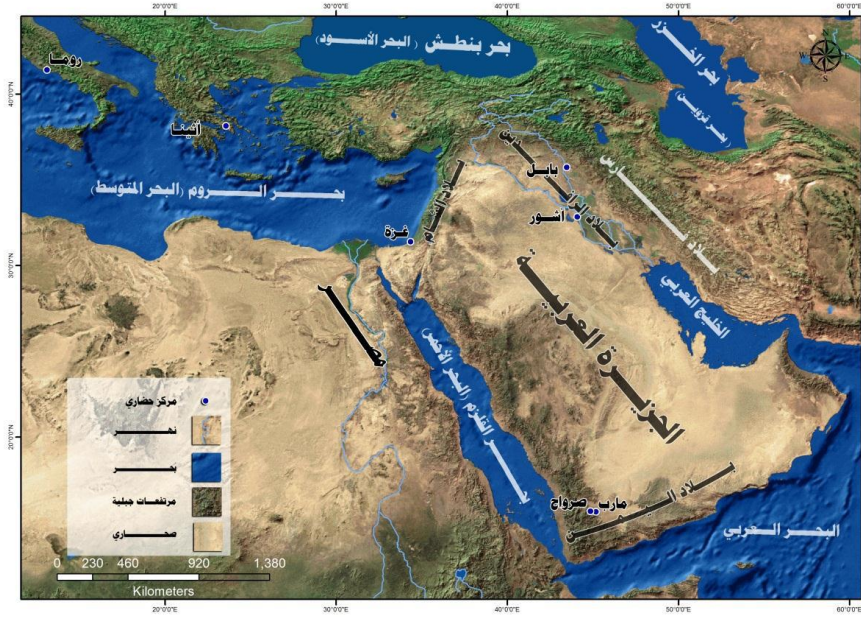
(١) عبدالعزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩١ م)، ٣.

(٢) عبد الوهاب عزام، مهد العرب، سلسلة أقرأ رقم ٤٠، (القاهرة: د.ن، ١٩٤٦ م)، ٢١ ؛ الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق: محمد بهجة الأثري (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت) ج ١، ١٨٧.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، نشره: المؤرخ محمد عبد الله بن بليهد النجدي، (القاهرة: ١٩٥٣ م)، ٤٧ ؛ ياقوت، معجم البلدان مادة جزيرة العرب، مجلد ٢، ١٣٧.

مدخل إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

من الجنوب، وبحر القلزم من الغرب، وبحر فارس من الشرق، وتفضي إلى العراق فيما بين الشام والبصرة على ألف وخمسمائة ميل بينهما"^(١).



خريطة طبوغرافية توضح موقع الجزيرة العربية بين الحضارات المجاورة

١ - الموقع الجغرافي.

تعد شبه الجزيرة العربية من أكبر أشباه الجزر في العالم من حيث المساحة، وتشغل مساحة قدرها (٣،١٥٠،٠٠٠) كيلومترا مربعا، وتحيط بها المياه من جوانبها

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: الدكتور علي عبد الواحد وافي، (القاهرة: د.ن،

١٩٥٧م)، ج١، ٢٨١-٢٨٢.

تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

الثلاثة^(١) بين دائرتي عرض ١٦ و ٣٢ شمالاً وبين خطي طول ٣٤ و ٥٦ شرقاً،^(٢) يحدها من الشرق، الخليج العربي الذي عرف في نصوص بلاد النهرين باسم "البحر الأدنى" و"البحر المالح"، وعرفها لكتاب الكلاسيكيون (اليونان والرومان) باسم "الخليج الفارسي" أو "البحر الفارسي"، ويحدها من الجنوب المحيط الهندي الذي عرفه الكتاب الكلاسيكيون باسم "البحر الأحمر" وهذا الاسم هو ترجمة عربية للاسم Erythre Thalassa ويحدها غربا البحر الأحمر الذي أطلق عليه الرحالة والكتاب الكلاسيكيون نفس التسمية، وأما عن الحدود الشمالية والشمالية الشرقية لشبه الجزيرة العربية فهي المنطقة الصحراوية التي تمتد من وادي الرافدين وتعرف باسم "بادية السماوة والصحراء السورية وتعرف باسم "بادية الشام"^(٣).



(١) على، الفصل، ج ١، ١٤٠.

(٢) <http://www.kapl.org.sa/details.as> / 7 / 21 2016.

(٣) محسن نجم الدين، تاريخ شبه الجزيرة العربية منذ أقدم العصور حتى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، (جامعة القاهرة، ٢٠١٥م)، ٥.

ويعرفون أيضًا باسم الأعراب، ويسكنون في البادية^(١)، والحضر ويسكنون في المدن، ويشغلون بالزراعة أو التجارة أو الصناعة. وهم أهل المدر أو أهل الحجر أي سكان المدن^(٢).

ولقد قسم اليونان والرومان بلاد العرب إلى ثلاثة أقسام طبيعية تتفق مع الناحية السياسية^(٣) التي كانت عليها بلاد العرب في القرن الأول الميلادي هي:

١ - بلاد العرب الصخرية Arabia Petraea أو Arabia Petrix، وتقع في الشمال من بلاد العرب، جنوب غربي بادية الشام حيث مملكة الأنباط.

٢ - بلاد العرب السعيدة Arabia Felix، والمقصود بها بلاد اليمن أو الأرض الخضراء^(٤).

٢ - بلاد العرب الصحراوية Arabia Deseria، وكانت تطلق على بادية الشام، ثم شمل اسمها البادية الواسعة والمناطق الصحراوية التي كانت تسكنها القبائل المتبدية في شبه جزيرة العرب كلها.

(١) الألويسي، بلوغ الأرب، ج ١، ١٢. يفرق أهل اللغة بين لفظي عرب وأعراب، والمتفق عليه أن العرب هم سكان المدن والقرى، والأعراب هم سكان البادية. ولكن ابن خلدون يستخدم لفظ عرب بمعنى الأعراب أو سكان البادية الذين يعيشون خارج المدن ويشغلون بالرعي ويتخذون الخيام مساكن لهم انظر: ابن خلدون، المقدمة، ج ٢ حاشية رقم ٤٠٩٣٥٩.

(٢) ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ١٠.

(٣) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، (القاهرة: د.ن، ١٩٥٩م)، ج ١، ٤.

(٤) يوسف محمد عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره بحوث ومقالات، ط ٢، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ١١.

مدخل إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

وبلاد العرب الصحراوية في الواقع هي القسم الأعظم من هذه الأقسام الثلاثة لكثرة صحاريها في الوسط والشمال والجنوب، والصحراء العربية تتنوع وتختلف من موضع إلى آخر، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام.

التقسيم الجغرافي (الصحراوي)	التقسيم الكلاسيكي	التقسيم العربي
منطقة النفود	العربية الصحراوية	الحجاز
منطقة الدهناء	العربية الصخرية	تهامة
منطقة الحارار	العربية الميمونة	اليمن
		العروض
		نجد

نقلا عن: محسن نجم الدين: تاريخ شبه الجزيرة العربية، منذ أقدم العصور، ص ١٢.

أ- منطقة النفود:

كانت تسمى قديماً بادية السماوة أو رملة عالج^(١)، وتقع في شمال الجزيرة العربية، وتمتاز بكثبانها الرملية الناعمة اللينة التي يصعب على المرء أن يسير فيها، إذ يبلغ ارتفاع بعض هذه الكثبان نحو ١٥٠ مترًا. وتمتد صحراء النفود على مساحة كبيرة من الأرض فيبلغ طولها من واحة تيماء إلى الشرق نحو ٤٥٠ ك.م، وعرضها من واحة الجوف إلى جبل شمر بنجد إلى ٢٥٠ كيلو مترًا^(٢).

(١) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤، ٧٠.

(٢) علي، المفصل، ج ١، ٩٣.

ب- منطقة الدهناء:

تشغل هذه الصحراء مساحة كبيرة من شبه جزيرة العرب، فهي تمتد من صحراء النفود، المسماة قديماً بادية السماوة، شمالاً إلى حضرموت في الجنوب، ومن اليمن غرباً إلى عمان شرقاً، وتقدر مساحتها بخمسين ألف ميل مربع، وتختربها تلال رملية أو كثبان تتموج مع الرياح وتنتقل معها عند الهبوب، وتعرف الأجزاء الجنوبية منها في الوقت الحاضر باسم الربع الخالي لخلوها من الناس، وكانت تعرف قديماً بمفازة صيهده^(١)، أما القسم الغربي من الدهناء فيطلق عليه اسم الأحقاف. وأرض الدهناء على الرغم من جفافها وخلوها من الماء كانت إذا سقطت عليها الأمطار الموسمية نبتت فيها الأعشاب مدة ثلاثة أشهر، ولعل الدهناء سميت بذلك الاسم لاختلاف النبت والأزهار في عراضها، لأن الدهان يعني الأديم الأحمر^(٢).

ج- منطقة الحار:

الحرة هي أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار". والحرة عادة مستديرة الشكل، فإذا كان فيها شيء مستطيل غير واسع فذلك الكراع والثلاثة^(٣). والحار تكونت بفعل البراكين، بل هي أثر من آثار ما تخرجه البراكين من حوفها^(٤). والحار كثيرة في بلاد العرب، وتبتدئ من شرقي حوران، وتمتد متناثرة حتى المدينة^(٥).

(١) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٣، ٤٤٨.

(٢) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٢، ٤٩٢.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ٢٥٤.

(٤) Henri l'ainmens, le Berceau de l'Islam t. I. Rome,(1914), 73.

(٥) علي، المفصل، ج ١ ص ٨٩.

وقد أحصى ياقوت منها تسعاً وعشرين حرة من بينها حرة أوطاس وحرة تبوك وحرة تقدة وحرة حقل وحرة الحمارة، وهي حرات ذكرت في أيام العرب، ومنها أيضاً حرة راجل، وتقع بين السر ومشارف حوران^(١)، وحرة رماح بالدهناء، وحرة ضرغد في جبال طيء. ومن أشهر حرات العرب حرة النار قرب خيبر، وقيل بين وادي القرى وتيماء بالقرب من حرة ليلي، التي يطؤها الحاج في طريقه إلى المدينة^(٢). والمدينة نفسها تقع بين حرتين هما: حرة واقم أو الحرة الشرقية، وحرة الوبرة أو الحرة الغربية، ولذلك يقال عن المدينة كلها "ما بين اللابتين"، أما حرة واقم فقد سميت كذلك نسبة إلى أطم من آطام المدينة^(٣).

أما حرة الوبرة فتقع على بعد ثلاثة أميال غربي المدينة، في أول الطريق إلى مكة، وتفصل هذه الجزء بين المدينة ووادي العقيق، وكان وادياً خصباً كثير المياه والآبار العيون^(٤)، كثير الشجر والنخل والغروس. ومن بين آباره بئر عروة المنسوب إلى عروة ابن الزبير، وبئر رومة^(٥).

٢- أقسام شبه الجزيرة العربية.

ويقسم العرب (المدائني) بلادهم خمسة أقسام كبرى هي: تهامة ونجد والحجاز

(١) الحموي، معجم البلدان، ٢٤٦.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ٢٤٨.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ٢٤٩.

(٤) الشريف، مكة والمدينة، ٢٨٩.

(٥) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤، مادة عقيق، ١٣٩؛ عزام، مهد العرب، ٦٣.

والعروض واليمن^(١)، ويزيد ابن حوقل في أقسامها بادية العراق وبادية الجزيرة، فيما بين دجلة والفرات، وبادية الشام^(٢).

أ- الحجاز:

الحجاز ما بين نجد وتهامة، وهو جبل يقبل من اليمن حتى يتصل بالشام وسمي بهذا الاسم لأنه يحجز بين نجد وتهامة، وامتداده بينهما بحذاء الساحل^(٣)، ويقال أيضًا أنه سمي حجازًا لأنه يحجز بين الغور والشام^(٤)، والأرجح التعليل الأول (وصاحبه هشام بن الكلبي)، وهو أن جبل السراة^(٥) المعروف بجبل الحجاز "حجز بين الغور، وهو تهامة، وهو هابط، وبين نجد، وهو ظاهر، فصار ما خلف ذلك الجبل في غريبه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعرين وعك وكنانة وغيرها، ودونها إلى ذات عرق والجحفة وما صاقبها، وغار من أرضها الغور غور تهامة، وتهامة تجمع ذلك كله، وصار ما دون ذلك الجبل في شرقيه من صحارى نجد إلى أطراف العراق والسماء وما يليها نجدًا، ونجد تجمع ذلك كله، وصار الجبل نفسه، وهو سراته، وهو الحجاز وما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحاز إلى ناحية فيد والجبلين إلى المدينة، ومن بلاد مذجع تثليث وما دونها إلى ناحية فيد حجازًا، والعرب تسميه نجدًا وجلسًا وحجازًا،

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٤٧؛ الحموي، معجم البلدان، مجلد ٢، ص ١٣٧؛

القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م)،

ج ٤، ٢٤٥؛ الألوسي، بلوغ الأرب، ج ١، ١٨٧.

(٢) أبو القاسم محمد ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، (بيروت: د.ن، ١٩٦٣م)، ٢٩.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، مجلد ٢، ٢١٩.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ٢٤٦.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ٤٨.

والحجاز يجمع ذلك كله.^(١) ويضم الحجاز من المدن المدينة والطائف وخيبر وفدك والجار فرضة المدينة وتيماء.

ب- تهامة:

تشمل المنطقة الساحلية الضيقة الموازية لامتداد البحر الأحمر من اليمن جنوباً إلى العقبة شمالاً، ويحجزها عن داخل شبه الجزيرة سلسلة جبال السراة أعظم جبال العرب. وقد سميت تهامة بذلك الاسم من التهم، وهو شدة الحر وركود الرياح، لشدة حرها وركود ريحها، وقيل سميت كذلك لتغير هوائها. وقيل إن التهمة هي الأرض المنصوبة نحو البحر^(٢)، ولانخفاض أرض تهامة سميت بالغور^(٣).

ويتألف إقليم تهامة من عدة تهايم، منها ما يدخل في اليمن، ومنها ما يدخل في الحجاز، وتمتد تهامة شمالاً حتى حدود مكة، وجنوباً حتى حدود صنعاء^(٤). وتهامة اليمن سهل خصب تنحدر إليه الأودية من الجبال وتكثر فيه الأشجار والزرع، ومن مدنه الساحلية الحديدة ومخا وقنفذة^(٥)، ومن مدنه زبيد قصبة التهايم، وفرضتها على البحر علافة^(٦). ومن مؤرخي العرب من يجعل مكة من تهامة^(٧)، ومن تهامة أيضاً ينبع وهي مدينة صغيرة تقع قريباً من البحر، كانت منزلاً لبني الحسن بن علي بن أبي

(١) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٢، ٢١٩.

(٢) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٢، ٦٣.

(٣) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤، ٢١٧.

(٤) ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، ٤٣.

(٥) عزام، مهد العرب، ٩٣.

(٦) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ١، ٢٠٦.

(٧) الحموي، معجم البلدان، ٦٣؛ الألوسي، بلوغ الأرب، ج ١، ١٩٤.

طالب^(١). ومنها أيضًا جدة فرضه مكة وكانت عامرة بالتجارة^(٢). ومن تهامة كذلك الحديبية وتبوك وهي واحة تقع بين الحجر وبين أول الشام.

ج- اليمن:

منطقة واسعة تمتد حدودها من تهامة إلى العروض، وسميت بذلك الاسم لتيامن العرب إليها، لأنها أيمن الأرض^(٣). والأرجح أنها سميت اليمن من يمنات الواردة في نص يرجع إلى أيام الملك شمر يهرعش^(٤). ولعل يمنات من اليمن والخير، لما أودع الله فيها من البركة، ولذلك عرفت عند العرب بالخضراء لكثرة مزارعها ونخيلها، وأشجارها وثمارها^(٥)، كما عرفت عند اليونان ببلاد العرب السعيدة. وفي خيرات اليمن يقول الكلاعي:

ولقد أشار القرآن الكريم إلى ما كانت عليه بلاد اليمن من حضارة وعمران، فيقول تعالى: "لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ لِّمَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ. بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ" (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ﴿١٦﴾^(٦).

(١) الحموي، معجم البلدان، ٦٣؛ الألوسي، بلوغ الأرب، ج ١، ١٩٤.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ٣٩.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، مجلد ٥، ٤٤٧.

(٤) علي، المفصل، ج ١، ١٣٥.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ٥١؛ الألوسي، بلوغ الأرب، ج ١، ٢٠٣؛ الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ٤٤٧.

(٦) سورة سبأ، ٣٤، آية ١٥-١٦.

د- العروض:

تشمل اليمامة والبحرين وما والاها^(١)، وقد سميت عروضاً لأنها تعترض بين اليمن ونجد والعراق، وكانت اليمامة تسمى قديماً جَوْاً وذلك عندما نزلتها طسم وجديس، فعرفت باليمامة، نسبة إلى اليمامة بنت سهم بن طسم^(٢). وقاعدة اليمامة في القديم مدينة حجر. أما البحرين فأقليم فسيح قريب من الخليج العربي، وكانت قاعدتها هجر^(٣). وقصبة هجر الأحساء التي عمرها وحصنها أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي^(٤).

هـ- نجد:

هي الهضبة الوسطى في شبه جزيرة العرب، وتقع بين بادية السماوة في الشمال والدهناء في الجنوب وأطراف العراق شرقاً والحجاز غرباً. وهي أوسع أقاليم جزيرة العرب، وتتخللها أودية كثيرة منها وادي الرمة وروافده، ووادي حنيفة، وكان يسمى فلجاً^(٥)، ووادي عاقل، ولذلك كانت نجد أطيب أراضي الجزيرة العربية^(٦)، فترنم الشعراء برباها ورياضها.

وقسمها العرب قسمين: نجد السافلة ونجد العالية، فالسافلة ما ولي العراق،

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، مجلد ٤، ١١٢.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، مجلد ٥، ٤٤٢.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، مجلد ٥، ٣٩٣.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، مجلد ٥، ١١٢.

(٥) عبد الوهاب عزام، مهد العرب، ٧٧.

(٦) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ١، ص ٢٩٩.

والعالية ما ولي الحجار وتهامة^(١). وبنجد جبلان مشهوران صعبا الارتقاء هما جبلا أجأ وسلمى المنسوبان إلى طيء، وبأدنى جبل أجأ مدينة حائل، وعلى سفح جبل سلمى بليدة فيد، الواقعة في طريق الحاج العراقي^(٢).

٣- المناخ

يسود الجفاف شبه جزيرة العرب بوجه عام، والمطر ينذر سقوطه، ولذلك فإن أكثر أراضي جزيرة العرب صحراوية، ومع ذلك فهناك أودية كثيرة تسيل فيها المياه في موسم الأمطار، وهي أودية شديدة الانحدار تصب في البحر الأحمر أو في بحر العرب، والأمطار تسقط في الخريف والشتاء في الشمال، بينما تسقط في الصيف في بلاد اليمن. وإذا سقط المطر في البادية فإنه يتسبب في إنبات عشب وشيك ينمو سريعاً ثم يذوب سريعاً، ولذلك فإن الحياة في البادية هي التي أملت على البدوي الترحال والانتقال حيث موارد المياه والعشب.

أ- الرياح:

يذكر المسعودي أن الرياح أربعة: إحداها تهب من جهة الشرق، وهي القبول، والثانية تهب من المغرب، وهي الدبور، والثالثة من التيمن وهي الجنوب، والرابعة من التيسر، وهي الشمال^(٣).

أما رياح القبول فهي التي يسمونها ريح الصبا، وهي ريح طيبة مقبولة والنفس تصبو إليها، وأكثر هبوبها على إقليم نجد، وكان العرب يفضلون هذه الرياح

(١) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ٢٤٥.

(٢) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤، ٢٨٢.

(٣) أخبار عبيد بن شربة، التيجان، ٣١٥؛ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: د.ن، ١٩٥٨م)، ج ٢، ٢٣٣.

مدخل إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

لرقتها ولأنها تحيى بالسحاب والمطر وفيها الري والخصب، وهي عندهم اليمانية^(١). وريح الشمال عادة ريح باردة وتهب على الحجاز بعد أن تكون قد اجتازت هضاب الأناضول المغطاة بالثلوج ومرتفعات سورية، ولذلك عرفت بالشامية^(٢)، وكانت مكروهة لما يصحبها من برد ولأنها تذهب بالغييم والخصب، وتعرف أيضًا بالحدواء لأنها تحددو السحاب أي تسوقه^(٣).

ب- الأمطار:

لما كانت معظم بلاد العرب صحراء فقد اعتمدوا على الأمطار في الرعي وفي الزراعة، ولذلك السبب اهتم العرب بتمييز أنواع السحب الممطرة وبرعوا في التنبؤ بسقوط المطر، وسموا السحاب الذي يرجى منه المطر "الخلق"، وسموا السحابة التي يدوم مطرها بالسحابة الداجنة^(٤).

وتسقط الأمطار على جبال اليمن العربية بغزارة في فصل الصيف، وينزل في تهامة اليمن في الشتاء أحيانًا، ويبلغ تأثير الرياح الموسمية حتى الطائف، ففيها تنزل الأمطار في أواخر الصيف. أما في فصل الشتاء فتسقط الأمطار في شمال بلاد العرب وفي وسطها، والأمطار في بعض الأحيان تشح وقد تنقطع وينتج عن ذلك جذب وقحط يطول أمدته^(٥).

(١) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ٣٦؛ عزام، مهد العرب، ٢٦.

(٢) شمس الدين أبو عبدالله محمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: محمد أمين الضناوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م)، ٧٩.

(٣) H. Lammens, le Berceau de l'Islam, 18.

(٤) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ٣٦٢.

(٥) عزام، مهد العرب، ٢٧، ٢٨.

ومن هنا أطلق العرب على السنوات التي لا تنزل فيها مطر بالسنين البيض أو السنيات البيض، وأحياناً يسمونها السنوات الشهباء^(١). وإذا شح المطر يتنقل البدو من مضاربهم وينتسبون مواضع القطر أو الغيث، ويعتبر ذلك إيذاناً بالهجرة نحو الشمال. وفي حالة الأمطار الغزيرة والسيول، تتعرض البلاد للأخطار، فتساقط المنازل والدور وتطيح السيول بالزروع، وقد بادت بالسيول والفيضانات شعوب وأمم عربية، مثل شعب سبأ الذي باد على أثر سيل العرم. أما في حالة الأمطار المعتدلة فالناس يشربون ويسقون حيواناتهم، ويروون مزروعاتهم وتمتلى الغدران والآبار والخزانات والدارات بالمياه. والدارة رمل أبيض مستدير، في وسطه فجوة مستديرة، وغالباً ما تكون الدارات محاطة بالجبال، وتكثر فيها الزراعة. وقد أحصى ياقوت من دارات العرب نحو ستين دارة^(٢).

ثالثاً: العرب وطبقاتهم

١ - العرب:

لا شك أن كلمة "عرب" واضحة المدلول لدينا نحن أبناء الأمة العربية، لكن كيف؟ ومتى نشأت هذه التسمية؟ وما هو أصلها؟ وهل حافظت على مدلولها الأصلي؟ أم خضعت لبعض التطورات خلال العصور المتعاقبة؟ لقد وردت لفظة "عرب" بكثرة في الوثائق الآشورية والبابلية منذ القرن الثامن قبل الميلاد في صيغ متعددة منها Aribi، و Urbi، و Arbi بمعنى البادية الواقعة إلى الغرب

(١) H. Lammens, le Berceau de l'Islam, 19.

(٢) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ٤٢٤.

من بلاد الرافدين وهي بادية العراق^(١). ثم ظهرت لفظة Arbaya (عربانية) فيما يقرب من سنة ٥٣٠ ق. م لأول مرة في النصوص الفارسية المكتوبة بالأكامينية بمعنى البادية الفاصلة بين العراق والشام بما فيها شبه جزيرة سيناء^(٢). كذلك وردت اللفظة في الأسفار القديمة من التوراة بمعنى البدو، في حين كان السكان الحضر يسمون بأسماء قبائلهم أو بأسماء المواضع التي ينزلون فيها. ثم أخذ اليونان يذكرون لفظة عرب في أواخر القرن الخامس ق. م، فذكرها اسكيلوس سنة ٤٥٦ ق. م عند الإشارة إلى قائد عربي كان معروفاً في جيش أحشويرش، ثم ذكرها هيرودوت في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد وقصد بها سكان شبه جزيرة العرب كلها بما في ذلك صحراء مصر الشرقية بين النيل والبحر الأحمر^(٣)، وأصبح هذا اللفظ مألوفاً بعد ذلك عند جميع كتاب اليونان، ولم يرد هذا اللفظ في المصادر العربية الأثرية إلا متأخراً فقد جاء في النقوش السبئية المتأخرة التي لا يرجع تاريخها إلى أبعد من القرن الأول قبل الميلاد، ولكنها وردت في هذه النقوش بمعنى الأعراب، في حين كان أهل المدن يعرفون بمدنهم أو بقبائلهم. كذلك ورد اللفظ في نقش شاهد النارة المكتوب بالآرامية القبطية في ٣٣٠ ق. م بمعنى الأعراب الذين يسكنون البادية.

ولا نعرف على وجه الدقة متى استعمل لفظ "عرب" للدلالة على معنى قومي يتعلق بالجنس العربي. والقرآن الكريم هو أول مصدر ورد فيه لفظ العرب للتعبير بوضوح عن هذا المعنى، مما يدل على وجود كيان قومي خاص يشير إليه هذا اللفظ

(١) A. Grohman, Encyclopaedia of Islam, New edition, art. al-Arab, 525؛ برنارد لويس، العرب في

التاريخ، تعريب: نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد، (بيروت: د.ن، ١٩٥٤)، ٩.

(٢) علي، الفصل، ج ١، ١٧١.

(٣) لويس، العرب في التاريخ، ١١.

قبل نزول القرآن الكريم بوقت لا يمكننا تحديده، فليس من المنطقي أن يخاطب القرآن الكريم قومًا بهذا المعنى إلا إذا كان لهم سابق علم به.

٢ - طبقات العرب

اصطلح النسابون العرب والرواة والأخباريون على أن العرب ينقسمون إلى ثلاث طبقات^(١): العرب البائدة، العرب العاربة، العرب المستعربة أو المتعربة، وبينما جعلوا قحطان جدًّا أكبر للعرب العاربة، التي كانت منازلها الجهات الجنوبية من شبه جزيرة العرب "اليمن"، جعلوا عدنان جدًّا للعرب المستعربة التي كانت منازلها الجهات الشمالية منها "الحجاز". وقد أرجعوا هذين الجددين إلى سام بن نوح وكذلك جد العرب البائدة، ولكنهم اختلفوا في اسم الجد الذي تنتسب إليه الطبقة الأخيرة: هل هو إرم بن سام أم لاوذن بن سام بن نوح؟ ومضى النسابون في ذكر أسماء أولاد كل من قحطان وعدنان، ومن تناسل من ذريتهما، بينما ذكروا أسماء القبائل البائدة دون أية تفصيلات^(٢).

(١) الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، (بيروت: د.ن، ١٩٥٦)، ج ١، ص ١٢٤؛ زيدان، العرب قبل الإسلام، ٤٥؛ علي، الفصل، ج ١، ٢٢٠. وهناك من يقسم العرب إلى ثلاث طبقات هي، عرب عاربة، وعرب متعربة، وعرب مستعربة، ويقصدون بالعاربة العرب البائدة، وبالمستعربة القحطانية، وبالمستعربة العدنانية (عمر فروخ، تاريخ الجاهلية، ٤٥). وهناك من يقسم العرب إلى طبقتين فقط: قحطانية باليمن، وعدنانية بالحجاز) طه حسين، في الأدب الجاهلي، القاهرة، ١٩٣٣، ص ٧٩. ويقسمهم ابن خلدون إلى أربعة طبقات متعاقبة تاريخيًا: العرب العاربة وهم البائدة، ثم العرب المستعربة وهم القحطانية، ثم العرب التابعة لهم من عدنان والأوس والخزرج والغساسنة والمناذرة، ثم العرب المستعجمة وهم الذين دخلوا في نفوذ الدولة الإسلامية. انظر: كتاب العبر، مجلد ١، (بيروت: ١٩٦٥ م)، ٢٨.

(٢) توفيق برو، تاريخ العرب القديم، (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠١ م)، ٥٤.

والطبقة الثانية والثالثة يطلق عليها اسم العرب الباقية^(١). ويعنون بالعرب البائدة الشعوب العربية القديمة التي كانت تعيش في جزيرة العرب، ثم بادت ودرست أخبارهم بعاملين: الرمل الزاحف الذي طغى على العمران القديم في أواسط شبه الجزيرة وفي الأحقاف، وهياج البراكين وما ترتب عليه من تدمير المدن^(٢). أما العرب العاربة فهم الراسخون في العروبة والمبتدعون لها بما كانوا أول أجيالها^(٣)، ويتنسبون إلى قحطان أو يقطن الذي ورد اسمه في التوراة^(٤)، وهو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح^(٥)، وكان موطنهم اليمن. وأما العرب المستعربة أو المتعربة فينسبون إلى عدنان ابن أدد من ولد نابت بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم، فهم بنو إسماعيل بن إبراهيم أو المعديون من ولد معد بن عدنان^(٦)، وقد سموا بالعرب المستعربة لأن إسماعيل عندما نزل مكة كان

(١) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف، (بيروت: مكتبة خياط، ١٩٦٥م)، ١٨٥.

(٢) فروخ، تاريخ الجاهلية، ص ٤٥.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ٣٤؛ الألويسي، بلوغ الأرب، ج ١، ٩. وذكر البلاذري أن العرب العاربة هم عاد وعيل وجرهم وطسم وعمليق وثمود وجديس. انظر: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد، ج ١، (القاهرة: د.ن، ١٩٥٦م)، ٣، ٤.

(٤) سفر التكوين، الأصحاح العاشر، وهو يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ٧٢؛ شهاب الدين أحمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد عبد الهادي شعيرة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م)، ج ٢، ٢٩٢.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١ ص ١٢؛ المقدسي، كتاب البدء والتاريخ (باريس: د.ن، ١٩٠٣م)، ج ٤، ١٠٥.

يتكلم العبرانية، فلما صاهر اليمنية تعلم العربية. ولا شك أن مصدر هذا الانقسام بين العرب إلى قحطانيين وعدنانيين ما ورد في التوراة في سفر التكوين، ومنه أخذ كتاب البدء، أي الذين عنوا في أخبارهم ببدء الخلق أمثال وهب بن منبه، وكعب الأحبار، وعبد الله بن سلام، وهم من أهل الكتاب^(١).

ولكن القرآن الكريم لم يفرق بين عرب القحطانية وعرب عدنانية، وكل ما جاء فيه في هذا الشأن يشير إلى أن العرب يرتفعون إلى جد واحد هو إسماعيل بن إبراهيم، وأن إبراهيم عليه السلام هو أبو العرب^(٢). كذلك لم يرد في الشعر الجاهلي ذكر لتقسيم العرب إلى قحطانية وعدنانية، وكل ما ورد فيه لا يعدو أبحاثاً قبلت في التفاخر بقحطان أو بعدنان^(٣)، وحتى هذا الشعر الجاهلي لا يمثل عصر الجاهلية الأولى، لأن معظمه قبيل الإسلام^(٤)، يضاف إلى ذلك أن علماء الأنثروبولوجيا (علم دراسة الإنسان) لم يلاحظوا وجود فوارق جسمية بين العدنانيين والقحطانيين.

يستند دعاة الانقسام إلى عدنانية وقحطانية على حقيقة هامة هي تأصل العداء بين الجماعتين^(٥) في الجاهلية والإسلام. ويرد جواد علي على هؤلاء بأنه إذا كان النزاع بين القبائل المعدية أو العدنانية والقبائل القحطانية مستحكماً في الجاهلية فقد كان هناك عداء بين القحطانيين بعضهم بعضاً وبين العدنانيين بعضهم بعضاً. ثم يضيف قائلاً:

(١) علي، المفصل، ج ١، ٢٢٦.

(٢) يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ

حَرَجٍ قُلَّةَ أَيْبِكُمْ لِتُرْهِيمَ ۝ (سورة الحج ٢٢ آية ٧٨).

(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٠٩.

(٤) علي، المفصل، ج ١، ٢٢٢.

(٥) R. Dozy, Historie des Musumans d'Espagne I. I. Leyde, f932, 17. 70.

مدخل إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

"وكيف يجوز لنا أن نتصور انقسام العرب إلى قسمين: قحطانيين وعدنانيين، انقسامًا حقيقيًا وقد كانت القبائل تتحالف فيما بينها وتتحارب بعضها مع بعض بأحلاف قد تكون مزيجًا من قحطان وعدنان؟ فإذا كان الأمر كذلك، وإذا كان العرب قحطانيين وعدنانيين بالأصل، فكيف تحالفت "جديلة" وهي من طيء مع بني شيبان وهي من عدنان لمحاربة بني عبس؟ وكيف يفسر تحالف قبائل يمنية مع قبائل عدنانية لمحاربة قبائل يمنية، أو لعقد محالفات دفاعية هجومية معها؟"^(١).



(١) علي، المفصل، ج ١، ٢٢٤.

ويخرج جواد علي من كل ذلك النقاش بنتيجة هامة، هي أن تقسيم العرب إلى عدنانيين ويمنيين عرف في العصر الأموي، إبان النزاع الحزبي، وبعد شيوع نظرية التوراة في الأنساب، ورجوع النسابين إلى أهل الكتاب للأخذ منهم، إذ أن الانقسام المذكور لم يظهر في العصر الإسلامي السابق لظهوره في عهد مروان بن الحكم^(١).

وإذا كان هناك من يرجع جذور هذا التقسيم إلى عدنانية وقحطانية إلى أيام النزاع الذي كان قائماً في الجاهلية بين يثرب ويمثلها الأوس والخزرج اليمنيين، وبين مكة، وتمثلها قريش العدنانية، وفي الإسلام بين الأنصار وهم اليمينيون والمهاجرين وهم العدنانيون، فإن هذا النزاع لم يكن سوى عداً طبيعياً بين البداوة والحضارة^(٢)، فلقد كان العرب من الناحية الاجتماعية ينقسمون إلى أهل وبر وأهل مدر، وأهل الوبر هم البدو وأهل المدر هم الحضرة الذين يقيمون مبانيهم من المدر أو الطين. واتخذ هذا التقسيم الاجتماعي تعبيرات وصوراً مختلفة فيقال للحضر أهل القارية ويقال لهم أيضاً أهل الحجر أي الذين يقيمون في بيوت من الحجر، أما البدو فيقال لهم أهل البادية ويقال لهم أيضاً أهل الحدر^(٣).

ومثل هذا العدا كان قائماً في بلاد المغرب منذ قديم الزمان بين البربر المتحضرين وهم البرانس والبربر المتبددين وهم البتر، ويرجع بعض الباحثين هذا النزاع المتأصل بين طائفتي البرانس والبتر إلى أن هاتين الطائفتين تمثلان موجتين بشريتين مختلفتين، واحدة تمثل أهل البلاد الأصليين والأخرى تمثل الوافدين الجدد الذين اغتصبوا من أهل البلاد

(١) علي، المفصل، ج ١، ٣٣٢.

(٢) علي، المفصل، ج ١، ٣٣٣.

(٣) ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ٩.

مدخل إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

بلادهم^(١)، ولكننا نرجع سبب هذا العداء بينهما إلى اختلاف أحوالهما الاجتماعية وإغارة الرحل من زنادة البترية على مزارع صنهاجة البرانية، وقد أدى ذلك إلى ظهور الفوارق بين الطائفتين بشكل واضح. وتجلى هذا العداء في العصر الإسلامي بصورة واضحة عندما حالفت قبيلة زنادة الممثلة للبتر العرب الفاتحين منذ السنين الأولى للفتح بينما تولى البرانس عبء المقاومة، وأيدهم الروم في ذلك، وعندما حالفت كتامة البرانية الفاطميين، بينما حالفت زنادة الأمويين في الأندلس. وقد يكون تحالف البتر مع العرب ناتجاً من تشابههم معهم في البداوة في حين يختلف البرانس عن العرب في كونهم متحضرين بالحضارة اللاتينية ومستقرين في المدن^(٢).

٣- العرب البائدة

ومن العرب البائدة : عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم وجاسم، وستحدث عن بعض هذه الشعوب العربية البائدة.

- عاد:

اصطلح المؤرخون على تسمية عاد وثمود وطسم وجديس " العرب البائدة، ولعل هذه التسمية جاءت من الآية الكريمة^(٣) ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودًا ۖ ثُمَّ أَبْقَىٰ ۝٥١﴾ وكانت (عاد الأولى) في زعمهم من أعظم الأمم بطشاً وقوة، وهم المشار إليهم في الذكر الحكيم. أمّا عاد الأخيرة فهم بنو تميم وينزلون برمال عالج^(٤).

(١) حسن محمود، قيام دولة المرابطين، (القاهرة: د.ن، ١٩٥٧م)، ٣١.

(٢) السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٦٦م)، ١٣٨-١٤٠.

(٣) سورة النجم، الآية ٥٠-٥١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف، ١٩٥٥م).

أما عاد فهم قوم هود عليه السلام^(١)، ويعتبرهم الأخباريون أقدم العرب البائدة^(٢)، ويضربون المثل بعاد في القدم، فإذا شاهدوا آثارًا قديمة لا يعرفون تاريخها أطلقوا عليها صفة "عادية"^(٣). وكان أمر عاد عند العرب في الشهرة في الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم عليه السلام وقومه كما يقول الطبري^(٤). لذلك بقوا في ذاكرة أهل الأخبار.

وسكنت عاد الأولى في الأحقاف بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر^(٥)، وقيل: في موضع بئر (إرم) في منطقة حسمى بين أيلة وسيناء^(٦)، وزعم المؤرخون أن (إرم) المذكورة في القرآن الكريم^(٧): ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلْنَا بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾﴾ مدينة من عهد عاد بين عدن وحضرموت، وقيل: هي دمشق أو الإسكندرية^(٨). ويُفهم من القرآن الكريم أن مساكن (عاد) بالأحقاف، قال تعالى^(٩): ﴿وَأَذْكُرْنَا عَادَ إِذْ

(١) أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ٢١؛ عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، (بيروت: د.ن، ١٩٦٥م)، ج ١، ص ٣٦.

(٢) يقول المسعودي: "عاد الأولى التي بادت قبل سائر ممالك العرب كلها". انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٠.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٠.

(٤) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (لیدن: ١٨٨١-١٨٨٢م)، ج ١، ص ٢٣٢.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٠، أبو الفداء، المختصر، ج ١، ص ١٢٢؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٢، ص ٣٥.

(٦) الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ١٩٦٥م)، ج ١، ص ١٩٦.

(٧) سورة الفجر، الآية ٦-٧.

(٨) علي، الفصل، ج ١، ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٩) سورة الأحقاف، آية ٢١.

مدخل إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴿ وَالْأَحْقَافُ: الرَّمْلُ بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشَّحْرُ، وقيل: رمال بأعيانها في أسفل حضرموت. وينسبون إلى عاد ولداً اسمه "شَدَاد" نَسَجُوا حوله قَصَصاً خيالية^(١).

ولكن القرآن الكريم لم يحدد موقع الأحقاف بالنسبة إلى شبه جزيرة العرب وإنما حدده المفسرون، ولما كانت لفظة الأحقاف تعني الرمال، فقد اندفع معظم الأخباريين يلتمسون مواضعهم في الصحراء، وأخذوا ينسجون حولها القصص والأساطير، ولكن بطليموس يذكر أن شعب Oaditae أو عاد يسكن في المناطق الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب، وفي منطقة حسمي بالذات، على مقربة من منازل ثمود Thamydeni. ومما يؤكد صحة ما ذكره بطليموس أن عاد اقترن ذكرها في القرآن الكريم بثمود، ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾^(٢)، والمقصود بالواد وادي القرى، أحد الأودية التي تتخلل سلسلة جبال حسمي، ومن بينها جبل إرم^(٣) الذي يعرف اليوم باسم جبل رم^(٤)، كما أن منطقة حسمي الجبلية تعتبر أقرب إلى مواضع ثمود "الذين جابوا الصخر بالواد"، من مناطق الأحقاف الرملية التي حدد المفسرون موقعها بين اليمن وعمان. ونضيف إلى هذه القرائن ما رواه البكري في معجمه، إذ يذكر أن الأحقاف التي كانت منازل عاد جبل بالشام، أو هي خشاف من حسمي،

(١) قصة شداد بن عاد، لمؤلف مجهول، مخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم ٤٩٣٢/٩

مجاميع.

(٢) سورة الفجر آية ٩.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ١٤٤.

(٤) وهم جبل يقع على بعد ٢٥ ميلاً شرقي العقبة، قريباً من عين ماء، وقد عثر في هذا الموضع على

آثار من العصر الجاهلي. انظر: (علي، الفصل، ج ١، ٢٣٤-٢٣٥).

والخشاف الحجارة في الموضع السهل. واسم الأحقاف "حقاف" تجده اليوم في المنطقة الجنوبية الغربية من مدين^(١).

- ثمود:

هم قوم النبي صالح الذي دعاهم إلى عبادة الله فخالفوه، وقد ورد اسم ثمود مع اسم عاد أو مع اسم نوح في عدة سور من القرآن الكريم لأن المراد بذكرهم ترهيب المشركين وإنذارهم بما أصاب هذه الشعوب من قصاص الله لتكذيبهم الأنبياء والرسل^(٢).

وقد ذكر المفسرون أن ثمود اجتمعوا يوماً في ناديتهم، فجاءهم صالح عليه السلام وذكّرهم بالله ووعظهم، فطلبوا منه على وجه التعنت والسخرية والتحدي أن يخرج لهم من صخرة عظيمة ناقة عظيمة وذكروا من صفاتها كيت وكيت، وأشاروا إليها، فقال لهم صالح عليه السلام إن أنا أجبتكم إلى ما سألتكم أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقوني فيما أرسلت به. قالوا: نعم. فأخذ منهم العهود والمواثيق على ذلك، ثم دعا ربه عز وجل، فاستجاب الله له، وأخرج من تلك الصخرة التي أشاروا إليها ناقة عظيمة حسب ما طلبوا، فأمن منهم من آمن وكفر أكثرهم. وقال لهم نبيهم صالح: ﴿وَالْإِلَٰهَ ثُمَّودَ أَخَاهُ صَٰلِحًا قَالَ يَقَوْمِ ااعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ. قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ

(١) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ١٣٧.

(٢) سورة الأعراف ٧، آية ٧٣-٧٨؛ وسورة هود ١١، آية ٦٧-٦٨؛ وسورة الشعراء ٢٦ آية ١٤١

- ١٥٨؛ وسورة النمل ٧ آية ٤-٥٢؛ وسورة فصلت ٤١ آية ١٣-١٨؛ وسورة الذاريات ٥١

آية ٢٣-٣١؛ وسورة القمر ٥٤ آية ٣١.

﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٣) (١). وقال لهم أيضاً: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ هَآ شَرِبْتُ وَلَكُمْ شَرِبْتُ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ (١٥٥) وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٥٦) (٢). فأمرهم نبيهم صالح أن لا يمسوا هذه الناقة بسوء، فهي آية من آيات الله، وقال لهم إن لها شرب يوم ترد الماء ولا يشرب الماء معها أحد من دوابكم، وفي اليوم الآخر تدر عليهم لبناً يكفيهم كلهم. ولكن أهل الريب والفساد لم يرتضوا ذلك، حيث سعى تسعة رجال في المدينة يدعون إلى عقرها والتخلص منها، وتقاسموا وتحالفوا على قتل صالح عليه السلام: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلَاكَ أَهْلِهِ وَلِنَا لَصَدِيقُونَ﴾ (٤٩) وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَكَرْنَا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٠) (٣). فكفاه الله شرهم وأهلكهم. وانبعث أشقى القوم وهو قدار بن سالف، وكان عزيزاً منيعاً في قومه، ولكنه شقي بعقره الناقة، قال عبد الله بن زمعة رضي الله عنه، خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وذكر الناقة والذي عقر فقال النبي صلى الله عليه وسلم "إذ انبعث أشقاها" انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة الحديث" (٤). قال تعالى: ﴿قَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ (٢٩) (٥). وقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثمودُ بِطَغْوَنِهَا﴾ (١١) إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ

(١) سورة الأعراف، آية ٧٣.

(٢) سورة الشعراء، آية ١٥٥-١٥٦.

(٣) سورة النمل، آية ٤٨-٥٠.

(٤) رواه البخاري (٤٩٤٢)، ومسلم (٢٨٥٥).

(٥) سورة القمر، آية ٢٩.

عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾ ﴿١﴾. ومن عتوهم وجبروتهم تحدوا صالحاً عليه السلام أن يأتي ربه بالعذاب الذي حذرهم وخوفهم منه ، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَعْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ ﴿٢﴾. فقال لهم نبي الله صالح : ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ ﴿٣﴾.

قال ابن كثير : فلما اشرقت الشمس -أي شمس اليوم الثالث- جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ، ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح وزهقت النفوس وسكنت الحركات وخشعت الأصوات، وحقت الحقائق ، فأصبحوا في دارهم جاثمين جثثاً لا أرواح فيها ولا حراك بها(٤). ﴿كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا إِنَّا ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لَثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ ﴿٥﴾.

ونستدل مما ورد في القرآن الكريم أن ثمود هلكوا على أثر تفجر بركان صحبته رجفة عنيفة أو زلزال، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿١١﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَخَذَ الذَّبَابُ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جِثْمِينَ ﴿١٧﴾﴾ كَانِ

(١) سورة الشمس، آية ١١-١٥.

(٢) سورة الأعراف آية ٧٧.

(٣) سورة هود، آية ٦٥.

(٤) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية، اعتنى به عبد الحميد الهندي، ط ١، المكتبة العصرية، صيدا، (بيروت: ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م)، ج ١، ١٥٧.

(٥) سورة هود، آية ٦٨.

(٦) سورة الأعراف آية ٩١.

لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا إِنَّ شَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لَشَمُودَ ﴿١٨﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الَّتِي كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحُظُرِ ﴿٣١﴾﴾^(٢).

ويذكر المسعودي أن منازلهم كانت تقع بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبيشي، وأن ديارهم بفج الناقة، وبيوتهم كانت ما تزال في عصره أبنية منحوتة في الجبال، ورسومهم باقية، وآثارهم بادية في طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادي القرى^(٣). ويؤكد ابن خلدون أن ديارهم بالحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام، وقد مر النبي صلى الله عليه وسلم على خرائب ديارهم في غزوة تبوك ونهى عن دخولها^(٤)، كذلك ورد اسم ثمود في كتب اليونان، وحددها بليوس فيما بين مدينتي دومة الجندب Dimata في كتب اليونان، وحددها بليوس فيما بين مدينتي دومة الجندل Domata ومدينة الحجر Haegra، كما حددها بطليموس بالقرب من ديار عاد Oaditae في أعالي الحجاز^(٥). ومن الملاحظ أن الحجر كانت محطة تجارية هامة في الطريق

(١) سورة هود آية ٦٧-٦٨.

(٢) سورة فصلت آية ١٧.

(٣) سورة القمر آية ٣١.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ٤٢. وفي موضع آخر يذكر أنهم كانوا ينزلون الحجر بين الشام والحجاز انظر: (المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ٤٢). Caussin de perceval. Essai sur l'histoire

25. des Arabes Paris 1847. I. I

(٥) ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٢، ٤١.

(٦) علي، المفضل، ج ١، ٢٤٨.

التجاري بين اليمن وبين الشام ومصر والعراق^(١). وقد تمكن العلماء في العصر الحديث من الكشف عن عدد كبير من النقوش الثمودية في أرض تبوك ومدائن صالح وتيماء وفي جبل رم وفي الطائف^(٢).

- طسم وجديس:

طسم وجديس قبيلتان عربيتان من قبائل العرب البائدة، يرتفع نسبهما إلى لاوذ ابن إرم^(٣)، وقيل هما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح، ولم يرد لهاتين القبيلتين ذكر في القرآن الكريم، ولا نعرف من أخبارهما إلا ما ورد في تاريخ العرب القديم. قيل أنهم كانوا في بابل ثم خرجوا إلى اليمامة وكانت منازلها في اليمامة والبحرين^(٤). وكانت اليمامة من أخصب بلاد العرب وأعمرها وأكثرها خيرًا وعمراً^(٥)، "فيها صنوف الشجر والأعنان، وهي حدائق ملتفة وقصور مصطفة"^(٦). ويذكر الأخباريون أنه ملك طسم ملك غشوم يقال له عملوق "لا ينهائ شيء عن هواه مع إصراره وإقدامه على جديس وتعديه عليهم وقهره إياهم"^(٧)، وانتهاك حرمتهم،

(١) علي، الفصل، ج ١، ٢٤٨؛ موسل، شمال الحجاز، ترجمة: عبد المحسن الحسيني، (الإسكندرية: د.ن، ١٨٥٢)، ١٣١.

(٢) نسيب الخازن، من الساميين إلى العرب، (بيروت: د.ن، ١٩٦٢م)، ١٦٠.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ٤٢؛ سليمان عبدالرحمن الذيب، منطقة الرياض التاريخ السياسي والحضاري القديم، (الرياض: أمانة منطقة الرياض، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م)، ٣٥-٤٠.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج ١، ١٢٥؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٣، ٤٣.

(٥) ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٢، ٤٤؛ الذيب، منطقة الرياض، ٣٥-٤٠.

(٦) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ١٣٦.

(٧) ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٢، ٤٤.

فقامت امرأة من جدیس اسمها الشموس وهي عفيرة ابنة غفار بن جدیس بتحريض قومها على الثورة على عملوق، ويوردون لها أبيات من الشعر في تحريض قومها، منها: ونجحت الشموس في استشارة قومها على طسم، فتولى زعيم جدیس وسمی الأسود بن غفار قتل عملوق الطسمي، وتولى قوم جدیس قتل بني طسم، وانتهبوا ديارهم، فنجا رجل من طسم يقال له رياح بن مرة الطسمي، فشخص إلى حسان بن تبع الحميري ملك اليمن، فاستعاذ به على جدیس، فنصره حسان وأقبل بجموع حمير، وأغار على منازل جدیس باليامة، فاستباح أهلها قتلاً وأبادهم^(١). وظلت اليامة أطلالاً دارسة بعد أن خربها الحميريون إلى أن نزلها بنو حنيفة واستوطنوها حتى ظهور الإسلام^(٢). ومن المواضع المنسوبة إلى طسم حصن المشقر ويقع بين نجران والبحرين، وقصر معنق، وقصر الشموس من بناء جدیس^(٣) باليامة، هذا إلى حصون وقصور عديدة^(٤).

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ١٣٩؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٢، ٤٥.

(٢) ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٢، ٤٦.

(٣) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٣، ٣٦٥.

(٤) زيدان، العرب قبل الإسلام، ٧٩-٨٠؛ الذيب، منطقة الرياض، ٣٥-٤١.

الفصل الثاني

دول جنوب الجزيرة العربية

- أولاً: دولة معين.
- ثانياً: حضرو وموت.
- ثالثاً: قتيان
- رابعاً: دولة سبأ.
- خامساً: دولة حمير

أولاً: دولة معين : (١٣٠٠ ق.م – ٦٥٠ ق.م)

لقد جاء ذكر المعينيين على أنهم من أقدم الشعوب التي سكنت جنوب شبه الجزيرة العربية، وقد ورد ذلك في العهد القديم ، بالإضافة إلى أن هناك نصباً قديماً في بابل يرجع إلى مطلع الألف الرابع قبل الميلاد أشار إلى المعينيين حيث جاء فيه أن نرام سين قاد حملة عسكرية على معان كما ورد ذكرهم مع العماليق في منتصف الألف الثالث ق.م^(١).

(١) على محمود معطى: تاريخ العرب السياسى قبل الإسلام، (لبنان: دار المنهل اللبناني، ٢٠٠٤م)،

١٧٩؛ سلمى محمد هوساوي، العلاقات الثقافية والمعمارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية

ويرى بعض المؤرخين ان دولة معين هي أول نظام سياسى فى جنوب بلاد العرب ، حيث بدأت فى القرن الرابع قبل الميلاد^(١) . ويتضح من الكتابات المعينية أن معين ظهرت خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد وإستمرت حتى سنة (٦٣٠ ق.م)^(٢) . وقامت دولة معين على أرض منبسطة وخصبة بين نجران وحضر موت ، وإتخذوا من مدينة (قرنا) عاصمة لهم ، ولعل من اشهر مدنها كمنا وبراقش ونشق^(٣) . أما نظام الحكم فيها فكان لا مركزياً ، حيث كان فى كل مقاطعة نائب للملك يسمى (كبير) بالإضافة إلى مجلس نيابى يسمى (سور) يلتقى فيه الأشراف للفصل بين الناس ، وإعلان الحرب وجدولة الضرائب^(٤) . وكان ملوك معين يتلقبون بـ (مزواد معين) ويعنى زعيم معين الدينى وملكها ، وكان لكل منطقة حكومية محلية لها هيئاتها الدينية تسمى عم ، ويدير المقاطعات ممثل عن الملك يسمى (كبر) يشرف على الشئون العليا للدولة^(٥) .

والحبشة ٤٥٠ ق.م-٥٧٥ م، (الأردن: دار زهران، ٢٠١٥م)، ٢٩-٣٠.

(١) محمد يحيى الحداد: تاريخ اليمن قبل الإسلام، (القاهرة: دار وهدان، ١٩٦٨ م)، ٣٤.

(٢) معطى، تاريخ العرب السياسى قبل الإسلام ، ١٨٠؛ عبدالله، أوراق فى تاريخ اليمن، ٢١٢-٢١٦.

(٣) الهمذانى، صفة جزيرة العرب، ١٦٧-١٦٨ .

(٤) على، الفصل، ج ١، ٣٩٧؛ هوساوي، العلاقات الثقافية والمعمارية، ٢٩-٣٠.

(٥) أحمد بغنية ، تاريخ العرب القديم، (بيروت: دار الصفاة ، ١٩٤٤ م)، ٤٣-٤٤؛ هوساوي، العلاقات الثقافية والمعمارية، ٢٩-٣٠.

وأنشأ المعينيون عدة قصور والتي غرقت بالمحافد ، وهى بناء ضخمة تحيط به الأسوار العالية ، وهو يشبه الحصن أو القلعة ، ويعرف صاحب المحفد بلفظ (ذو) ، أما المحافد فيطلق عليها مجتمعة (مخلاف) ^(١) . ومن ملوك معين أب يدع ويثع ويثع إيل ريام وهو من المتأخرين فى دولة معين وساءت أحوال معين فى عهده ^(٢) ، وقد كشفت النقوش عن أسماء تسعة وعشرين ملكاً لدولة معين حكموا مدة سبعمائة وخمس وسبعين سنة ^(٣) .

وسيطر المعينيون على الطريق التجارى فى الواحات وكان يُقيم أشخاص فيها مهمتهم الإشراف على ملوك الأقاليم ومراقبتهم ومنعهم من الإضرار بالدولة أو الملك ^(٤) ، واشتهر المعينيون بدورهم الفعال فى إنشاء التجارة ، حيث أشار نقش عُرف نقش جلاء إلى عودة قافلة سالمة إلى مدينة قرناو ، وورد إسم شعب معين فى نهاية ذلك النقش ^(٥) . واهتم المعينيون بتجارة البخور (اللبان والمر) وذلك لإقترانها بطقوسهم الدينية ، وخاصة لإلههم (ود) ^(٦) .

كما دلت النقوش المصرية القديمة والكتابات اليونانية على وجود علاقات تجارية بينها وبين دولة معين ، وقد كانت هناك جاليات معينة تقيم فى مصر ، إذ إنها

(١) معطى، تاريخ العرب السياسى قبل الإسلام ، ١٤٩ .

(٢) على، المفصل، ج ١ ، ١٢١؛ هوساوي، العلاقات الثقافية والمعمارية، ٣٢-٣٨.

(٣) زيدان، العرب قبل الإسلام، ١٥١ .

(٤) على، المفصل، ج ٢ ، ١٢١ .

(٥) أحمد سليم، جوانب من تاريخ وحضارة العرب فى العصور القديمة (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م)، ٧١ .

(٦) معطى، تاريخ العرب السياسى قبل الإسلام ، ١٨٤ .

تقوم بالإشراف على تزويد المعابد في مصر بالبخور^(١) . وقد أشار (بليني) إلى أن المعينين من أمهر التجار وأشهرهم ، وقد كانت تمر في بلادهم التجارة عبر طريق ضيق ولعل أهمها قوافل الكندر^(٢) ، وإشتهروا بنوع من البخور وعُرف بالبخور المعيني ، وعرف المعينيون نظام المقايضة ، ثم استخدموا النقود مثل بقية الشعوب كغيرهم في العالم القديم^(٣) . وقد إحتفظ المعينيون بتقاليدهم التجارية ، وأشارت النقوش والكتابات المعينية إلى علاقاتهم بمصر وجزيرة ديلوس وبلاد الرافدين^(٤) . ويشير بليني إلى أن المعينين يعملون بتجارة البخور ويمارسون الزراعة والرعى، ويعود ذلك إلى أواخر القرن الأول الميلادي^(٥) .

وكان هناك حاميات عسكرية وجاليات تتكون من الأوساط التجارية في تلك الواحات ، وتلك المناطق تمثل مورداً للكسب بالنسبة لسكان الواحات الأصليين ، وكذلك للقبائل التي تقيم بجوارهم وكانت القبائل الشمالية تقدم الطعام والثياب لتلك الجاليات مقابل سيطرتهم وسيادتهم على تلك المناطق^(٦) .

(١) محمود عرفة ، العرب قبل الإسلام (القاهرة: دار الثقافة العربية ، ٢٠٠٢ م)، ١٤٨ .

(٢) نوع من أنواع البخور ، للمزيد انظر : على ،المفصل، ج٧ ، ٢٣٩ .

(٣) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ضبطه: مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥ م)، ١٠٨-١٠٩ .

(٤) معطى، تاريخ العرب السياسى قبل الإسلام، ص ١٨٥ .

(٥) BK: Pliny: Natural History Trans 6y Rackham Loeb Classical Library , (London , 1986) , BK,P.459

39،12

(٦) محمد بيومى مهران ،دراسات في تاريخ العرب القديم، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية ، ٢٠١٠م)، ٢٢٨ .

أما نهاية دولة معين فقد جاء نتيجة لظروف خاصة بالطرق التجارية ، حيث فقد المعينيون التحكم في الطريق التجارى الذى يصل بين بلاد الشام وجنوب بلاد العرب ، نتيجة لإزدهار دولة الأنباط وسيطرتها على الطرق التجارية حتى مناطق معين ، بالإضافة إلى معرفة البحار اليونانى (هيبالوس Hippalos) دور الرياح الموسمية لتسهيل الرحلات التجارية البحرية ، فأثر ذلك على الطرق التجارية البرية ، وهى عصب الحياة للدولة المعينية، وركيزة هامة لإقتصادها^(١).
بالإضافة إلى ظهور السبئيين كقوة عسكرية برية وبحرية ، حيث إستطاعوا أن يمدوا نفوذهم على جنوب شبه الجزيرة العربية ، ويكونوا مملكة قوية ضمت الأراضى المعينية^(٢).

ثانياً: مملكة حضرموت

(نحو ١٠٢٠ ق.م - ٢٨٠ م)

عاصرت مملكة "معين" مملكة أخرى من ممالك العربية الجنوبية، هي مملكة "حضرموت"، وكانت عاصمتها شبوة، وهي مملكة مترامية الأطراف امتدت من مشارف (قتبان) بيحان غرباً إلى حدود عمان شرقاً شامله ظفار كلها، وعبر البحر

(١) نعمان محمود جبران وآخرون، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، (الأردن:

المؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، ١٩٩٨م)، ١١٥-١١٦ .

(٢) مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، ٢٢٩.

إلى جزيرة سقطرة^(١). وتحاط بها رمال كثيفة تعرف بالأحقاف^(٢). والأحقاف ناحية شمالي حضرموت تحاذي الناحية الشرقية منها أو متصلة بها كانت مكسوة بكثبان الرمل فسميت بالأحقاف وهو جمع حقف وهو الكثبان المعوج من الرمل^(٣). وقد ذكر اليونانيون والرومان حضرموت بشئ من التحريف، ذكرها إراتوستينس باسم (Chatramotitae) ونبوفراستوس باسم (Hadramyta) وذكرها كتبة العهد القديم باسم) عبري: חַצְרַמֹּתִיַּת (Hazar (maveth وحرفيا تعني "فناء الموت"^(٤). وقد ذهب أكثر من بحث في أسباب التسمية إلى أن حضرموت هو اسم "ابن الابن الثالث من أبناء يقطان كما ورد في العهد القديم^(٥) أو يقطن" أو "قحطان". وقد ورد اسم "حضرموت" في الكتابات العربية الجنوبية، كما عثر على كتابات حضرمية ورد فيها أسماء عدد من ملوك حضرموت، وأسماء أسر حضرمية ومدن كانت عامرة زاهية في تلك الأيام^(٦). وحضرموت حسب نصوص العربية الجنوبية القديمة هو اسم قبيلة إلا أن حضرموت بقدر ما هي قبيلة في الأصل فإن صمودها دولة (أرضاً وشعباً) منذ حوالي القرن الثامن قبل الميلاد إلى ٢٨٠م، كل ذلك قد جعل اسمها يعم المملكة والشعب والأرض معاً ولم يعد يقتصر على القبيلة^(٧).

(١) Kenneth Kitchen, **Documentation for ancient Arabia Volume 1: Chronological Framework and**

. Historical Sources. 184 Liverpool University Press, (Liverpool, 1994), 19

(٢) Philby, the Background of Islam, Alexandria, 1947, 141

(٣) صالح الحامد، تاريخ حضرموت، ج ١، (جدة: مكتبة الإرشاد، ١٩٦٨ م)، ١٣.

(٤) Holger Gzella, **Languages from the World of the Bible**, 162 Walter de Gruyter, (2011), 29

(٥) سفر التكوين، الإصحاح العاشر، ٢٦.

(٦) منير عربش وعبد الرحمن السقاف، نقش جديد من عهد يدع أب ذبيان يهنعم ملك قحطان، ويدع

أب غيلان ملك حضرموت، (ريدان ٧، ٢٠٠١ م)، ١١٠.

(٧) بافقيه، محمد عبد القادر وآخرون، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية

والثقافة والعلوم، (تونس، ١٩٨٥ م)، ٤٦٢.

وليس هناك إتفاق بين الباحثين عن مبدأ قيام هذه المملكة قبل سقوطها بيد السبئيين. ويرى البعض أنه بدأ ظهور مملكة حضرموت -الدولة - في مطلع (الألف الأول قبل الميلاد) حيث ورد ذكر حضرموت كدولة في نقش " كرب إل وتر بن ذمار علي " مكرب سبأ المشهور بنقش النصر والموسوم ب RES. 3945 والذي يعود تاريخه إلى (القرن السابع قبل الميلاد) ، وفي هذا النقش ذكر ذلك الحاكم السبئي أنه تحالف مع مملكة حضرموت ومملكة قتبان من أجل القضاء على مملكة أوسان تلك المملكة التي احتلت أجزاء من أراضي مملكة حضرموت، وهي الأراضي التي أعادها "كرب إل وتر " مكرب سبأ إلى حكم مملكة حضرموت عقب القضاء على مملكة أوسان التي ورثتها لاحقاً مملكة قتبان^(١)، بمعنى أن مملكة حضرموت قد ظهرت قبل (القرن السابع قبل الميلاد) إلا وقد سبقتها قرون عديدة حتى تشكلت خلالها معالم تلك الدولة، واستمرت قرابة الألف عام ما بين مد وجزر ، فترة تتخللها صراعات دامية من جانب وازدهار اقتصادي واسع واستقرار من جانب آخر، استطاعت تلك الدولة في تلك الفترة أن تخلق لها هوية مستقلة لها سماتها البارزة وشخصيتها المميزة^(٢).

وأقدم رحلة إستكشافية كانت في موضع يقال له "الحريضة" بحضرموت حيث عثر المنقبون على آثار لمعبد الإله سين يعود للقرن السابع أو الخامس قبل

(١) M. Arbach, A. Avanzini, A. Batayi et Ch. Robin, (2001), **Materiaux pour le corpus des inscriptions qatabanites II**, Raydan 7, 44.

(٢) حسين عبد الله العمري، وآخرون، في صفة بلاد اليمن عبر العصور - من القرن ٧ ق م - نهاية القرن ١٩ م، (دار الفكر المعاصر: بيروت، ١٩٩٠م)، ١٥.

الميلاد،^(١) و حضرموت إسم قبيلة مثل سبأ وكان عليهم مكرب قائم بشؤونهم وأول كتابة حضرمية مكتشفة على رأي الباحثين هي كتابة الملك "يهرعش بن أبيشع" وتعود للقرن الخامس قبل الميلاد وتحكي بناء سور لحماية حضرموت من الحميريين^(٢)

وكانت تمتلك مملكة حضرموت علاقات وطيدة مع مملكة معين خلال القرنين الرابع والثالث ق.م، واستطاعت قبيلة سبأ مع نهاية القرن الثاني ق.م القضاء على مملكة معين، وكانت تتبع مملكة حضرموت لمملكة قتبان بحلول عام ٥٠ ق.م، واستطاعت مملكة سبأ خلال ذلك الوقت أن تكون القوى العظمى خلال عام ٢٥ ق.م في الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية^(٣).

ثم نجد حضرموت، ومنذ القرن الأول الميلادي تبدأ في بسط سلطانها على المساحة الممتدة إلى الغرب من شبوة حتى وعلان وكانت منطقة المشرق (ضراء وعبدان) خاضعة لحضرموت^(٤).

وكانت حضرموت كغيرها من مناطق اليمن الأخرى تنتشر فيها عبادات مختلفة ومنها الوثنية التي تمثلت في عبادة الأصنام والأحجار والكواكب ومن أسماء الأصنام^(٥) التي عُبِدت في حضرموت : مرحب ، درع ، الجلسد ، وغيرها. ومن

(١) Gertrude Caton-Thompson, Gonzague Ryckmans The tombs and Moon temple of Hureidha

(Hadhramaut),15.

(٢) Günther Freiherr von Maltzahn Riesen Hadramout, 327

(٣) Alessandra Avanzini Profumi d'Arabia: atti del convegno p.367 L'ERMA di BRETSCHNEIDER,

(1997), 56.

(٤) Ch. Robin, 1996, « Sheba dans les inscriptions d'Arabie du Sud, » dans Supplément au Dictionnaire

de la Bible, col. 1138.

(٥) كرامه بن مبارك بن سليمان بامؤمن، الفكر والمجتمع في حضرموت ، (دار التيسير: صنعاء،

٢٠٠٦م)، ٨٣.

الكواكب التي عبدت في حضرموت : آلهة القمر والمسمى عندهم (سين) ويرمزون له بالهلل ، . وقد بُنيت لهذه الآلهة معابد في حضرموت ومن أشهرها : معبد مذاب : معبد الإله سين في حريضة من مناطق حضرموت القديمة تبعد عن سيئون ١٠٠ كم . ومعبد جلسم : معبد الإله سين في سنا شرق تريم وتبعد عن سيئون ١٦٢ كم . ومعبد مشور ، معبد الإله سين في حضرموت أيضاً^(١) . ومعبد الآلهة (ذات حميم) في ريبون . ومعبد الإله (سين) في سونة وهي من المدن القديمة بحضرموت على الطريق إلى ساه^(٢) .

وإلى جانب عبادة الأصنام والكواكب دخلت النصرانية إلى حضرموت عن طريق نجران ٣ وكذا الرهبان والمنصرين القادمين من الشام وعن طريق النفوذ الحبشي الذي احتل اليمن سنة ٥٢٥ م، وقد قامت بعثة بريطانية صغيرة بأعمال الحفر في موضع يقال له "الحريضة"، فاكشفت فيه آثار معبد الإله "سين"، وهو يرمز إلى القمر، وعثرت على عدد من الكتابات تبين أن بعضها سبئية^(٣).

كما عثرت على قبور عثر فيها على عظام في حالة جيدة تمكن من دراستها، وعلى أواني ومواد من الفخار والخزف وخرز ومسابع يظن إنها من القرن السابع أو الخامس قبل الميلاد. وعثر في خرائب "شبو" وفي "عقلة" وفي مواضع أخرى على عدد من

(١) بامؤمن، الفكر والمجتمع ، ٨٥ .

(٢) R. L. Cleveland, 1965, "An Ancient South Arabian Necropolis, Objects from the Second

106, Campaign The Timna' Cemetery, (Baltimore, 1951).

(٣) صالح الحامد، تاريخ حضرموت، ج ١، ٥٤ .

(٤) جمال محمد ناصر عوض الحسني، الإله سين في ديانة حضرموت القديمة دراسة من خلال

النقوش والآثار، (دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م)، ٦٩ .

الكتابات الحضرمية، كما استنسخ نفر من السياح صور بعض الكتابات التي نقلها الناس من مواضع العاديات إلى المواضع الحديثة حيث استعملوا حجارتها في البناء^(١). وسياستهم كانت قريبة من سياسة الممالك الأخرى وهي السيطرة على الأراضي الخصبة وعقد تحالفات مع القبائل الجبلية وتلك المطلة على السواحل. بنى الحضارم ميناء خور روري القديم المتواجد في ظفار ضمن سلطنة عمان حالياً،^(٢) منذ حملة كرب ايل وتر كانت حضرموت تابعة لسبأ إلا أن نص يعود للعام ٢٠٠ بعد الميلاد يشير إلى تأثير إسمه "يدعئيل بن رب شمس" خرج على السبئيين في شبوة وجمع جمع قبائل خولان وبنو كلب وقبيلة يام وانتصروا، إلا أن السبئيين أحرقوا المدينة بالكامل قبل إنسحابهم^(٣) وهذا النص هو أقدم النصوص الذي يشير إلى قبيلة يام وبنو كلب ولم تذكر نصوص المسند اليامين من قبائل همدان كما هو وارد في كتب النسابة وأهل الأخبار بل يظهر أنهم من حضرموت^(٤) واقعة انتصار "يدعئيل بن رب شمس" هذه كانت خلال الحرب الأهلية بين "ذي ريدان" وسبأ وكان الحضارم طرفاً فيها فلم يحتفل "يدعئيل بن رب شمس" بنشوة النصر طويلاً حتى سقطت حضرموت نحو عام ٢٨٠م بيد شمر يهرعش مؤسس مملكة سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت^(٥).

(١) صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، ج ١، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠١م)، ٣٢.

(٢) Albert Jamme, Hadrami texts from Khor Rori, in: *Miscellanées d'ancien arabe IX*, Washington, (١٩٧٩), ٩٧-٩٨.

(٣) Philby, *The Land of Sheba*, ٤٥١.

(٤) علي، الفصل، ج ٢، ١٥٦.

(٥) علي، الفصل، ج ٢، ١٤٩.

وبقيت ضمن ممالك "ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت واليمن وتهامة والمرتفعات" إلى القرن الميلادي السادس عند سقوط مملكة حمير على يد مملكة أكسوم بدعم من ملك القسطنطينية على عهد الامبراطور جستين الأول ٤٥٠ - ٥٢٧م^(١)

ثالثاً: قتبان (١٠٠٠ - ٢٥٠ ق.م)

قال ياقوت الحموي^(٢) قتبان بالكسر ثم السكون، وباء موحدة، وآخره نون، يجوز أن يكون جمع قتب مثل حرب وخربان، وهو موضع في نواحي عدنان وقامت في الفترة (١١٠٠ - ٢٥٠) قبل الميلاد تقريباً، وقد عاصرت الدولة المعينية والسبئية. وتقع قتبان في جنوب اليمن، بين حضرموت شرقاً وأوسان غرباً، وجنوباً تشرف على المحيط الهندي وتتصل شمالاً بالمرتفعات اليمنية^(٣). وتقع في تلك المرتفعات وعاصمتها تمنع^(٤)، وقد اختلف الباحثون في تأريخ بداية ونهاية دولة قتبان فقد رجح هومل تاريخها إلى ما قبل ١٠٠٠ ق.م، وذهب "ملاك" إلى أن بداية حكم قتبان كان في حوالي عام ٦٤٥ ق.م، ونهايته استقلالها كان في القرن الثالث ق.م، ويرى جلاسر أن نهاية هذه الدولة كانت بين ٢٠٠ و ٢٤٠ ق.م، وذهب "ريكمنس" إلى أن نهاية قتبان كانت في حوالي السنة ٢١٠ أو ٢٠٧ للميلاد^(٥)

(١) Jamme, La Dynastie De Sharahbi'll Yakuf Et La Documentation Epigraphique, (Sud-Arabe, (١) Istanbul, 1961), 4.

(٢) الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٤ ، ٣١٠ .

(٣) سليم، جوانب من تاريخ وحضارة العرب، ١٠٣ .

(٤) جونف رانسوا بریتون، "العربية السعيدة في عصر ملكة سبأ"، حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، (صنعا: ٢٠٠٢)، ١٠٤ .

(٥) سليم، جوانب من تاريخ وحضارة العرب، ١٠٣؛ عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ٢٣٣-٢٣٨ .

وقد لقب حكام قتيبان أنفسهم بلقب " مكرب " ثم تلي ذلك أن تلقبوا بلقب ملك، وقسم المؤرخون الدولة القتبانية إلى ثلاث مراحل أو عصور وهي:

المرحلة الأولى:

وتبدأ منذ ظهور قتيبان حتى ٣٥ ق.م وأشهر ملوك هذه المرحلة كان " يدع أب ذبيان بن شهر " الذي حكم حوالي القرن الخامس ق.م وكان أول من حمل لقب " ملك " ^(١).

المرحلة الثانية:

استمرت حوالي قرن من الزمان إلى ٢٥٠ ق.م، وكان أول ملوكها " أب شيم " ومن أشهر ملوك الفترة أيضا " شهر يحيل " وقد ورد اسمه في نقش " جلازر ١٦٠٢ " ويبدو انه حكم حوالي ٣٠٠ ق.م وأنه قد تغلب على دولة معين وأخضعها لسلطانه ^(٢).

المرحلة الثالثة:

استمرت حوالي قرنين من الزمان من حوالي ٢٥٠ ق.م إلى ٢٥ ق.م تقريبا، وأول ملوك هذه الفترة كان " هوف عم يهنعم " وفي هذه المرحلة سكت أول نقودا ذهبية في عهد " ورو إل غيلان يهنعم " وعثر عليها في مدينة " حريب " ^(٣). ومن المرجح إن فترة ازدهار قتيبان تركزت في المرحلتين الثانية والثالثة من تاريخها، ويميل الباحثين إلى أن دولة سبأ هي التي قضت على دولة قتيبان ويرى البعض أن لدولة حضرموت دور في سقوط قتيبان في بداية القرن الأول الميلادي ^(٤).

(١) حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣م)، ٨٦.

(٢) الشيخ، العرب قبل الإسلام، ٨٧.

(٣) الشيخ، العرب قبل الإسلام، ص ٨٧.

(٤) الشيخ، العرب قبل الإسلام، ص ٨٨.

ومن الآثار المعمارية القتبانية عشر داخل المدينة تمنع العاصمة على مبنى متسع فخم، اعتبره " فان بيك " المعبد الرئيسي للإله عم المعبود الرئيسي عند القتبانيين^(١) كما كانت مملكة قتبان أول مملكة عربية تضرب المسكوكات، وكانت أول إشارة إلى مملكة قتبان جاءت في نقش المكرب السبئي كرب إل وتر بن ذمار علي يرجع إلى القرن السابع قبل الميلاد، ولما كانت مملكة قتبان قد ضربت مسكوكاتها الأولى على النمط الإغريقي فقد جاءت بواكير المسكوكات القتبانية متأثرة بصورة واضحة بالمسكوكات الإغريقية، إلا أنه منذ أوائل القرن الثاني قبل الميلاد ضربت مسكوكات قتبانية تخلصت من بعض التأثيرات الإغريقية فقد نقش على وجه تلك المسكوكات صورة الملك القتباني بدلاً من صورة المعبودة الإغريقية أثينا، وسجل على صورة الملك حروف بخط المسند، وظلت التأثيرات الإغريقية باقية على نقوش ظهر تلك المسكوكات إذ بقيت صورة البومة، والشعار الإغريقي AOE، وبذلك فقد ظلت التأثيرات الأجنبية على المسكوكات القتبانية.

ومن أسماء المسكوكات القتبانية "خبصت" التي يرى بعض الباحثين أنها تعني المسكوكات المصنوعة من خليط من عدة معادن، في حين يرى آخرون أن "خبصت" تعني المسكوكات الخالية من الغش والتزييف، وأطلقت النقوش السبئية على المسكوكات أسماء مثل: و"بلط"، و"بلطم" الأولى للمفرد والثانية للجمع، و"رضيم" ومعناها المسكوكات الوافية الوزن، و"حي إلم (إيلم)" وهي نوع من المسكوكات نسبت إلى أسرة حازت على حق ضرب المسكوكات. وتم اكتشاف تمثال برونزي لامرأة

(١) تاريخ شبه الجزيرة، ٤٤-٤٥؛ عوض بن علي السبائي وآخرون، تقرير حفرة نجران: الموسمان السادس والسابع (١٤٢٩-١٤٣٠هـ)، (الرياض: الجمعية السعودية للدراسات الأثرية،

١٤٣٢/١١م)، ٢٨.

عثر عليه أثناء التنقيب في مدينة تمنع عاصمة مملكة قتبان من قبل المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان في بداية الخمسينات من القرن العشرين، وتظهر المرأة في وضعية الجلوس تنتشر أمامها أوراق العنب بشكل متقن، وقد قورن ذلك التمثال بالمعبودة فينوس، ورجح المنقبين أنها تمثل المعبودة الشمس في حالة الصفة ذات حميم^(١)



تمثال من البرونز لسيدة تدعى (برأت) من مملكة قتبان.

نقلًا عن: إرنست ويل

ومن الأمثلة لذلك تمثال السيدة أو الكاهنة المسمى برأت المصنوع من البرونز في وضعية الجلوس على قاعدة من الحجر الكلسي مكعبة الشكل، عليها نص بخط المسند يذكر اسم مقدمة القربان ووظيفتها، وتظهر المرأة في كامل حلتها وهي ترفع يديها إلى الأمام، وتقبض في يدها اليمين بين أصبعي السبابة والإبهام على قطعة من البخور في

(١) Jaques ABust South Arabian Winged Goddess with nimbus in the possession of Miss Ryckmans

72.)، Vol (III) (1976، Leila's Ingram. Arabian Studies

وضعية تقديمه لإحراقه قربان، وتذكر المعلومات الواردة في النقش الموجود على قاعدة التمثال أن تلك المرأة من مملكة قتبان وكانت عبارة عن كاهنة " قطرة " للمعبود القتباني عم، وأنها كانت تقوم بجباية الضرائب المخصصة له^(١).

رابعاً: دولة سبأ (٨٠٠ ق.م - ١١٥ ق.م)

يشير المسعودي إلى أن أول ملوك هذه الدولة هو سبأ وهو والد (حمير) ، وهو أول من وضع التاج على رأسه ، وعُرف بالمتوج^(٢).

كما يرى بعض المؤرخين أن سبأ هو يشجب بن يعرب بن قحطان ، أو هو أحد أبنائه وكان يُعرف عبد شمس ، وهذا أسمه الحقيقي^(٣).

وذكر ابن هشام أنه سُمي (سبأ) لأنه أول من سبى من العرب ، حيث أدخل عرف السبي عندهم ، عندنا جلب السبایا من الحروب التي خاضها أعدائه في شبه الجزيرة العربية^(٤).

وهناك من يرى ان (عبد شمس) أسس مدينة في جنوب شبه الجزيرة العربية أطلق عليها سبأ ، ويرى البعض أن سبأ تُطلق على شعبه بأكمله^(٥).

(١) ويل، الفنون في مدرسة روما، ٢٠..

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٢١٧ .

(٣) على، المفصل، ج٢، ٢٥٨ .

(٤) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج١، ٢١ .

(٥) على، المفصل، ج٢، ٢٥٩ ؛ هوساوي، العلاقات الثقافية والمعمارية، ٣١.

أما التوراة تشير إلى أن سبأ هو أحد أبناء كوش بن حام أو يقطان بن عابر ، وهو قحطان بن عابر^(١) .

وجاء ذكر سبأ في النقوش القديمة في بلاد الرافدين ، وهي ترجع إلى عهد الملوك الآشوريون "تجلات بلاصر الثالث" (٧٤٥-٧٢٧ ق.م)، وفي إحدى نقوش الملك "سرجون الثاني" ، و ابنه الملك "سنحاريب" (٧٠٥-٦٨١ ق.م)،^٢ حيث كان الملكان (تبع أمر وكرب إيل وتر) يقدمان الجزية للآشوريين^(٣) ، كما أطلق اسم سبأ على مدينة مأرب^(٤) .

كما ذكر صاحب كتاب الطواف حول البحر الإريتري (أجاثارخيدس الكنيدى (Agatharvhides of Cnidus) السبتيين هم أشهر شعوب الجزيرة العربية ، كانوا يعيشون في إقليم يُعرف بإسم (جازان Gasandi)^(٥) .

وذكر بليني بأن السبتيين هم أشهر من عُرف من قبائل في جنوب بلاد العرب ، أما استرابون فقد أشار إلى أن عاصمتهم مأرب ، وأنهم أغنى القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية^(٦) .

(١) معطى، تاريخ العرب السياسى قبل الإسلام ، ١٨١ .

(٢) سميرة سعيد القحطاني، النفوذ السبئي والحميري في وسط الجزيرة العربية وشمالها خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين "دراسة في ضوء النقوش العربية الجنوبية القديمة، (الرياض: الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م)، ١٠٨ .

(٣) لويس موسل ، شمال الحجاز ، تحقيق: عبد المحسن الحُسيني، (الإسكندرية: د.ن، ١٩٥٢م)، ٩٦ .

(٤) الحموي، معجم البلدان، ج٢، ١٨١ .

(٥) معطى، تاريخ العرب السياسى قبل الإسلام ، ١٣٧ .

(٦) محمد عبد القادر بافقيه ، تاريخ اليمن القديم ، (بيروت: المؤسسة العربية للنشر، ١٩٥٨م) ،

وبوجه عام فإن السبئيين ينتسبون إلى (قحطان بن عابر) ، وهم من العرب المستعربة ، وبعد مجيئهم إلى جنوب بلاد العرب تعلموا اللغة العربية من العرب العاربة وهم السكان الأصليون^(١).

ويرى البعض أن سبأ كانت تطلق على التجار العرب ، وهى تعنى أيضاً عدداً من المسافرين ، بالإضافة إلى أنها تعنى مجموعة من المتفرقين فى مناطق متعددة^(٢)، و مملكة سبأ عاصرت كل من أوسان ومعين وقتبان وحضرموت وحمير وتعتبر حمير امتداداً لمملكة سبأ^٣.

أراء حول تأسيس دولة سبأ :

لقد وضع المؤرخون العديد من النظريات التاريخية لمحاولة تحديد الزمن التقريبى لقيام دولة سبأ ، وتباينت آراء المؤرخين فى ذلك ، ولعل من تلك الآراء ما يشير إلى أنها قامت خلال القرن العاشر قبل الميلاد هو أن السبئيين أقامو علاقات تجارية مع بلاد الشام سنة (٩٢٢ تقريباً)^(٤).

وهناك من يرى أن عصر المكارب أو ما يُعرف بالعصر السبئى الأول بدأ خلال منتصف القرن العاشر قبل الميلاد^(٥).

أما أصحاب الرأى القائل بان دولة سبأ قامت خلال القرن الثامن قبل الميلاد ، فقد إعتمدو على النقوش الآشورية التى وضحت ملوك سبأ وهم يعطون الجزية

(١) زيدان، العرب قبل الإسلام، ٥٨ .

(٢) جبران وآخرون، دراسات فى تاريخ الجزيرة، ٩ .

(٣) القحطاني، النفوذ السبئي والحميري، ١٠٧ .

(٤) زيدان، العرب قبل الإسلام، ٧٦ .

(٥) صالح، تاريخ شبه الجزيرة، ٩٧-٩٨ .

للآشوريين في ذلك الوقت ^(١). ويشير بعض المؤرخين إلى أن السبئيين قد سكنوا في شمال شبه الجزيرة العربية ، ثم هاجروا منها بعد أن ضغط عليهم الآشوريين فأتجهوا إلى جنوبها وأقاموا فيها ^(٢).

أما ما يخص ملكة سبأ فإن المصادر التاريخية تؤكد بأنها كانت على علاقة حسنة مع العبرانيين زمن سيدنا سليمان عليه السلام ، مع العلم بأن فترة حكمه كانت سنة ٩٥٠ ق.م، وأن الملكة بلقيس قامت بزيارة خلال فترة حكمه ، كما وصلت القوافل التجارية إلى بلاد الشام متجهة من جنوب بلاد العرب خلال عهد ملكة سبأ ^(٣).

مع ملاحظة أن ملكة سبأ هي ملكة حكمت سبأ خلال عهد الملوك التي سبقها مرحلة حكم المكارب ، وهي المرحلة الأولى لدولة سبأ ، ولعل هذه النظرية تتنافى مع القول بقيام دولة سبأ خلال القرن العاشر أو بعده بقليل .

أما من يرى بأن ملكة سبأ التي أقامت علاقات مع سليمان عليه السلام كانت تحكم شمال بلاد العرب وليس لها علاقة بجنوب بلاد العرب ، فقد إعتمدوا على علماء الآثار الذين لم يعثروا على إسم ملكة في جنوب شبه الجزيرة العربية بل عثروا في شمالها على أسماء ملكات قديماً ^(٤).

(١) موسل ،شمال الحجاز، ٩٦ .

(٢) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٨٠م)، ٢٥٧.

(٣) علي، المفضل، ج٢، ٢٥٩ .

(٤) صالح، تاريخ شبه الجزيرة، ٤٠-٤٧؛ عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ٢٢٧-٢٣٢.

وهناك من يعتقد أن الملكة بلقيس حكمت بعد الملك كرب وتر خلال الفترة ما بين (٦٢٠-٦٠٠ ق.م) تقريباً^(١).

كما اختلف الآراء حول موطن السبئيين ، حيث يرى البعض أنهم أقاموا في شمال شبه الجزيرة العربية ، ثم إتجهوا إلى الجنوب وقد أستدلوا على ذلك بوجود إختلاف لهجة السبئيين عن بقية اللهجات العربية الجنوبية^(٢).

ويشير البعض الآخر إلى أن السبئيين لم يأتوا من الشمال وإنما أستوطنوا جنوب بلاد العرب منذ البداية^(٣).

ومع اختلف الآراء وتباينها حول تكوين دولة السبئيين وموطنهم الأصلي ، إلا أنهم إستطاعوا تكوين دولتهم في جنوب بلاد العرب وذاع صيتها في أنحاء العالم القديم علاوة على ذلك فقد أشارت الكتب السماوية لذلك في القرآن الكريم والعهد القديم حيث وضحت مدى تطور السبئيين في شتى مجالات الحياة^(٤).

تأسيس دولة سبأ (٩٥٠ قزم - ١١٥ ق.م)

قامت دولة سبأ المعاصرة والمجاورة لدولة معين ، بعد أن قويت شوكة السبئيين، مدوا نفوذهم على أراضى معين ، وأقاموا دولتهم في الجزء الجنوبي من جزيرة العرب ، واتخذوا من صرواح عاصمة لهم^(٥) ، واعتاد المؤرخون على تقسيم

(١) صالح، تاريخ شبه الجزيرة، ٤٠-٤٧؛ عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ٢٢٧-٢٣٢.

(٢) زاهر محمد محمود، الألقاب الرسمية في نقوش المسند السبئية القديمة، (رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، الزقارزق، مصر، ٢٠٠٠م)، ٩.

(٣) صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ٤٤.

(٤) صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ٤٥.

(٥) عرفة، العرب قبل الإسلام، ١٥٦.

دول جنوب الجزيرة العربية

دولة سبأ إلى مرحلتين هما مرحلة المكارب ومرحلة الملوك ، وتبدأ مرحلة المكارب من تأسيس الدولة خلال منتصف القرن التاسع قبل الميلاد حتى الربع الاخير من القرن السابع قبل الميلاد ، أما مرحلة الملوك تبدأ من نهاية مرحلة المكارب وتستمر حتى سقوط الدولة في يد الحميريين سنة ١١٥ ق.م تقريباً .



رسالة منقوشة على لوح من المرمر تعود لمملكة سبأ، موجهة إلى إلهة القمر، المقه، وتذكر خمسة آلهة أخرى، وملكين وحاكمين من جنوب جزيرة العرب. من القرن السابع ق.م، متحف اللوفر.

وظهر خلال القرن السادس قبل الميلاد في سبأ أسر قوية حكمت البلاد^(١) ، وبينت النقوش أسماء سبعة عشر مكرباً لهم الزعامة الدينية والدينية في سبأ أى يعتبرون ملوكاً وكهنة في آن واحد^(٢) .

و من أشهر حكام تلك المرحلة (سمة على) مؤسس الدولة ، والذي بنى في عهده سد مأرب الشهير في جنوب بلاد العرب^(٣) . وتعتبر المكرب كرب إيل وتر آخر المكاربة حيث تلقب بالملك وخلع عن نفسه صفة الكاهن ، كما خلف هذا الملك نقشاً يعتمد عليه المؤرخون في محاولاتهم لتدوين تاريخ دولة سبأ^(٤) .

وفي عصر الملوك تمكنت سبأ من بسط نفوذها على المناطق المجاورة لها وبعد إنتصارهم على معين أخذوا من مدينة مأرب عاصمة لدولتهم ولعل أهميتها الإقتصادية هو سبب نقل عاصمتهم لها وخاصة بعد بناء سد مأرب الذي حقق التوازن والإستقرار الإقتصادى لهم^(٥) .

ويرجح بعض المؤرخين أن الملك ايل شرح يحضب الثاني (٢٤٠-٢٥٠م) قد شيد مدينة صنعاء ، وأصبحت عاصمة للدولة فيما بعد^(٦) ، وقد خاض هذا الملك حروب مختلفة ضد الحميريين والقبائل الموالية لهم، وتهامة، ونجران، وكندة، وهو بهذا

(١) ديتلف نلسون، الديانة العربية القديمة، ٢٨٩ .

(٢) على، المفصل، ج ٢، ٣٠٧ .

(٣) على، المفصل، ج ٢، ١٨٢ .

(٤) عرفة، العرب قبل الإسلام، ١٥٩ .

(٥) القحطاني، النفوذ السبئي والحميري، ١٠٩-١١٠ .

(٦) القحطاني، النفوذ السبئي والحميري، ١٢٠ .

(٧) الشيخ، تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٠٤ .

يكمل ما بدأه الملك شعرم أوتر (نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث)، والذي حارب كل من الأحباش، ومملكة حضر موت والحميريين.^١

وأشار القرآن الكريم إلى وجود نظام الشورى عندهم في الحكم حيث إستشارت الملكة بلقيس حاشيتها في أمر سليمان عليه السلام ، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (٣٢) ، وبلغ عدد ملوك سبأ حوالى اثني عشر ملكاً ، تعاقبوا على الحكم من الآباء إلى الأبناء في أغلبهم.^(٣)

واهتم السبئيون بالإصلاحات الزراعية وبناء السدود للإستفادة منها في رى الأراضي الزراعية ، والتي جنوا منها محاصيل كثيرة ، بالإضافة إلى أنهم أقاموا علاقات تجارية مع المناطق المجاورة لهم ، كما أهتم الملوك السبئيون بتشييد القصور والأسوار ، منها قصر سلحين وناعط وغيرها ، فضلاً عن المعابد التي دلت النقوش على إقامتها منها نقش يدل على الملك الشرح بن سمة على أنه قد أقام جداراً لمعبد الإله المقه^(٤)

وقد أهتم الملوك بالقوانين ، حيث أشار نقش إلى الملك (يكر ب وتر) وهو يؤيد ويوافق على قانون لطريقة إستغلال الأرض وحقوقها ومبالغ الأموال التي تستفيد بها الدولة منها . كما دل نقش آخر يرجع لزمان كرب إيل وتر وهو يأمر بجمع الضرائب وقد وقع عليه عدد من ممثلى قبيلة ذى يقعان وقبيلة قيشان^(٥).

١ (الفحطاني، النفوذ السبئي والحميري، ١١٢-١٢٠ .

(٢) سورة النمل : الآية ٣٢ .

(٣) زيدان ،العرب قبل الإسلام، ١٦٢ .

(٤) الشيخ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٣٢٠ .

(٥) علي، المفصل، ج ٢ ، ٣٢٠ .

وعرف السبئيون نظاماً تمثل في وجود مجلس لقبائل سبأ، يمثل كل القبائل ويرأس ذلك المجلس الملك نفسه، ومن مهام هذا المجلس المصادقة على قرارات الملك^(١). وقد دخل السبئيون في معارك وحروب كثيرة وبين أحد النقوش توسعهم في المناطق المجاورة لهم، وحربهم مع أوسان كما تبين النقوش بسط السبئيين نفوذهم على دولة معين.

ودخلت سبأ في صراعات أخرى مع قتيان^(٢). وأخيراً هناك عوامل وظروف تصافرت على دولة سبأ ساهمت في سقوطها وإنهارها ولعل من أهمها تعرضها لغارات من القبائل المجاورة لها فقد أشار أحد النقوش إلى ان الملك نشأ كرب على نعم استطاع رد الأعراب عن أراضى الدولة^(٣). بالإضافة إلى تصدع وإنهار سد مأرب، ولعله كان عقاباً لهم لأنهم أفسدوا في الأرض ونسوا الله الذى وهبهم النعم، فأذاقهم الله وبال أمرهم، فعاقبهم بالسيل العرم، قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورَ ﴿١٧﴾﴾^(٤). علاوة على ضعف التجارة البرية والبحرية، الامر الذى نتج عنه ضعف الإقتصاد السبئى، ويضاف إلى ذلك ظهور قبائل الحميريين كقوة عسكرية بالمنطقة ومد نفوذها على الأراضى السبئية^(٥).

(١) الشيخ، تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣٢٠.

(٢) علي، الفصل، ج ٢، ٣٢١.

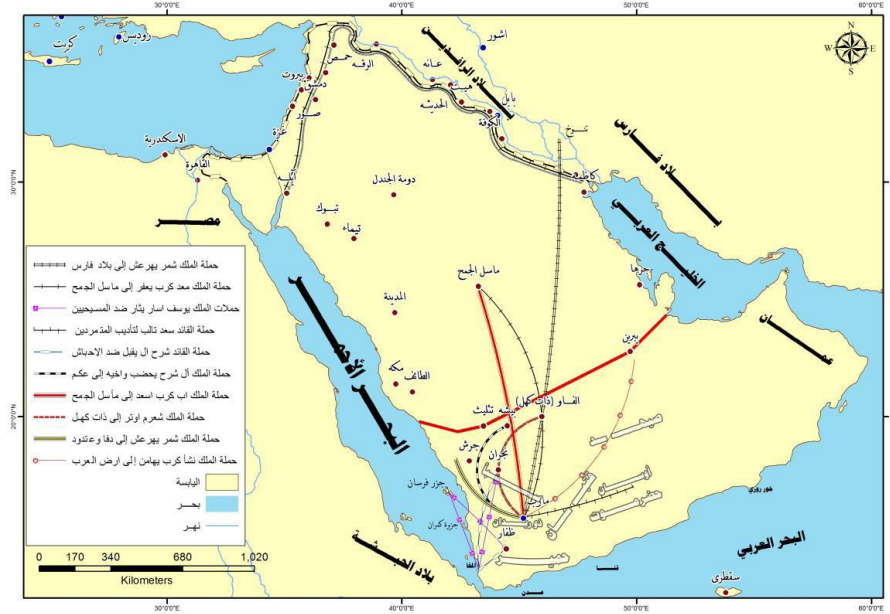
(٣) بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ٨١.

(٤) عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ٦٩-٧٦.

(٥) سورة سبأ: آية، ١٦ - ١٧.

(٦) يحيى، العرب في العصور القديمة، ١٤٢.

دول جنوب الجزيرة العربية



حملات بسط نفوذ مملكة سبأ من تصميم الباحثة بالاعتماد على برنامج GIS

خامساً: دولة حمير (١١٥ ق.م - ٥٢٥ م)

يرى بعض المؤرخين بأن الحميريين ينتسبون لجدهم حميرين سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وعُرف بالغرنج ، وهو اول من لبس تاج الذهب ، وقد أمتدت فترة حكمه أكثر من خمسين عاماً ، وله ستة أولاد تفرعت منه قبائل حمير ^(١) . ويشير البعض الآخر إلى أن حمير كان يلبس حلة حمراء او حمراء فلقبوا بها ، وسمى بذلك أتباعه الحميريين ^(٢) .

(١) الزبيدي، تاج العروس، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٦م)، ج ٥، ٣٨٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٢١٥.

تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

أما عند اليونانيين فقد عُرف الحميريون بإسم (Hameritai) وأطلقوا على عاصمتهم ظفار إسم (Sapphar)، كما عُرف الحميريون عند الاحباش بإسم (Hemer)، وقد ظهر اسم حير في النقوش اليمنية القديمة بمواضع كثيرة^(١).



وتقع المنطقة التي سكنها الحميريون بين دولة سبأ وبحر القلزم (البحر الاحمر)، والتي عُرفت بريدان التي قويت وازدهرت فيها بعد^(٢)، وإستطاعوا تأسيس

(١) علي، المفصل، ج ٢، ٥١٠؛ القحطاني، النفوذ السبئي والحميري، ١١٠.

(٢) عرفة، العرب قبل الإسلام، ١٦٤؛ عبدالرحمن الطيب الأنصاري،، الباحة الجمال الباسم، (الرياض: دار القوافل، ١٤٢٧/٥/٢٠٠٦م)، ١٨-٢٣.

دولتهم بعد أن مدوا نفوذهم على سبأ ، ونقلو عاصمتهم إلى ريدان ، وأصبح لهم ملك سبأ وحضر موت وريدان ، وضموا اعظم مناطق جنوب ووسط شبه الجزيرة العربية^(١).

أما نظام الحكم في حمير فهو ملكياً وراثياً ، إذ كان الملك عقيماً ولم يوص بالملك لأحد من بعده فيتم إختيار أحد الأقيال^(٢) ملكاً عليهم ، وكذلك إذا مات الملك وكان أبناؤه صغار السن لا يستطيعون تحمل أمور الدولة فيصبح هناك وصياً على الملك الصغير^(٣).

وساهم تكوين قوة عسكرية في حمير، واتساع سلطات الملوك إلى تقرير مبدأ حكم الفرد المطلق الذي لا يرجع في قراراته لأي مجالس استشارية، ولعلهم قد قلدوا ملوك الإغريق وأباطرة الرومان في نظام حكمهم، فضلاً عن اتجاه الأعراب إلى المدن الحميرية، والذين استفاد منهم ملوك حمير في التقليل من نفوذ الأقيال وإضعافهم^(٤). وظهر الحميريون على مسرح الأحداث السياسية خلال القرن الثاني قبل الميلاد واشتملت دولتهم على العصر الحميري الأول وهو عصر ملوك سبأ وذي ريدان، والعصر الحميري الثاني وهو عصر ملوك سبأ وذي ريدان وحضر موت ويمنات^(٥).

(١) يحيى، العرب في العصور القديمة ، ١٤٣.

(٢) الأقيال جمع قيل وهو ملك على منطقة صغيرة تعرف المخمد . انظر: زيدان، العرب قبل الإسلام، ١٧٩.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب ، ج ٤ ، ١١٤ .

(٤) مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، ٢٠٤.

(٥) معطي، تاريخ العرب السياسى قبل الإسلام ، ١٨٢؛ عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ٢٤٧-٢٥٠.

وأطلق ملوك حمير على أنفسهم لقب التبابعة، ولقد أشار آجاثارخيدس^(١)، صاحب كتاب (الطواف حول البحر الإريتري) إلى أن الحميريين مدوا نفوذهم في المنطقة الواقعة بين ساحل البحر الأحمر، والمحيط الهندي وحتى أراضي حضر موت والساحل الشرقي الإفريقي^(٢).

وبعد أن كان الحميريون يتبعون قتيبان سياسياً، دخلوا معهم في حروب وانتصروا عليهم، ثم أقاموا علاقات مع حضر موت، وأخيراً بسطوا نفوذهم على سبأ وكونوا دولتهم^(٣).

واستفاد الحميريون من ضعف دولة البطالة وسيطروا على التجارة البرية والبحرية، وأعادوا الطريق التجاري البري القديم وربطوا التجارة بين الشرق والساحل الشرقي للبحر المتوسط، وجنوا من ذلك أموالاً طائلة، ونشطت الحياة الاقتصادية للدولة^(٤).

كما وصلت الهجرات الحميرية خلال ذلك العصر إلى الحبشة وسكنوا فيها، وقاموا بنشر الثقافة العربية فيها، وكان لهم دور مهم في تأسيس دولة أكسوم في بداية القرن الأول الميلادي^(٥). وقد أشار بلييني عند حديثه عن حملة اليوس جاليوس

(١) آجاثارخيدس: جغرافي يوناني وصف البحر الأحمر وسواحل شبه الجزيرة العربية، انظر:

الشيخ، العرب قبل الإسلام، ٤٩.

(٢) علي، المفصل، ج ٢، ٥١١.

(٣) بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ٣٥.

(٤) فيليب حتي، تاريخ العرب عصر ما قبل الإسلام، (تحقيق: محمد مبروك نافع، ط ٢، دار

السعادة، القاهرة، ١٩٥٢م)، ١٦٩.

(٥) حتي، تاريخ العرب عصر ما قبل الإسلام، ١٦٩.

الرومانية على اليمن إلى أن السيادة السياسية في جنوب بلاد العرب كانت للحميرين، وأنهم هم أصحاب النفوذ والسلطات بالمنطقة^(١).

ويعتبر آل شرح يحضب (٣٥ - ١٠ ق.م) مؤسس الدولة الحميرية الأول وباني مجدها^(٢). أما الملك ناشر النعم الذي ورد اسمه في نقش يعود تاريخه لعام ٢٧٠م، فيعتبر آخر ملوك الدولة الحميرية الأولى^(٣).

ويُعد الملك شميريرعش (٢٧٥ - ٣٠٠م) هو مؤسس الدولة الحميرية الثانية وتلقب بملك سبأ وذي ريدان ويمنات، ومن المؤرخين من يرى أنه هو تُبع^(٤)، الأكبر عند الحميرين، وهو من أقوى الملوك في ذلك العهد^(٥). وقد خاض حروباً داخل وخارج بلاد العرب، حيث أشارت النقوش لحملاته في منطقة عسير وتهامة ونجران وحضر موت^(٦)، ويقال أن سبب تسميته يهرعش أن في جسمه رعشة من إدمانه شرب

(١) معطي، تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام، ٢٠٧.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ج ٤، ١٩؛ عبدالرحمن الطيب الأنصاري، صالح بن محمد آل مريح، نجران منطلق القوافل، (الرياض: دار القوافل، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ٢٠-٢١.

(٣) نلسون، الديانة العربية القديمة، ٩٨.

(٤) تبع وجمعها تتابعة، وهم ملوك بني ريدان، استطاعوا توحيد سبأ وحمير خلال نهاية القرن ٣م. جبران، وآخرون، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، ١٤١؛ القحطاني، النفوذ السبئي والحميري، ١٢٥-١٣١، عبدالرحمن الطيب الأنصاري، خالد فايز الأسمر، عسير حصن الجنوب الشامخ، (الرياض: دار القوافل، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ٢٥.

(٥) معطي، تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام، ١٨٥؛ عبدالرحمن الطيب الأنصاري، القصيم تاريخ وحضارة وتجارة، (الرياض: دار القوافل، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ٢٤.

(٦) بن خياط، تاريخ خليفة، ١٢٣.

الخمر، وسمي شمر وهي لغة حمير وتعني البوار^(١). وخلال عهد الدولة الحميرية الثانية غزا الأحباش جنوب بلاد العرب (٣٧٠م - ٣٧٨م) وكان ذلك رداً على غزو الملك (يريم يرحب) لهم، وبعد ذلك الغزو أصبح الملك الأكسومي عيزانا يلقب بملك أكسوم وحمير وذي ريدان، وحبشت وسبأ، وتهامة، وخرج ملك حمير مع أسرته وممتلكاته إلى يثرب بالحجاز فارقاً من الأحباش^(٢).

إلا أن حدوث ثورات محلية في الحبشة ضد الملك عيزانا شجعت الملك (كرب يهمن) الحميري لطرد الأحباش من جنوب شبه الجزيرة العربية^(٣)، ومن أواخر ملوك الدولة الحميرية الثانية الملك ذو الشنائر^(٤)، وكان فاسقاً، وحاول أن يختل بيوسف ذي نواس^(٥)، وهو صغير السن وذو عقل راجح، وعندما اختل به قتله يوسف ذي نواس، وتولى حكم دولة حمير سنة ٥١٥م^(٦). وقد عرف ذو نواس في النصوص المسيحية (ديمونس Dimnus)، كما عُرف عند الأحباش فينهاس Phinhas؛ حيث قام بتوسيع علاقاته مع الرومان والذين هدفوا من وراء تلك السيطرة على جنوب شبه الجزيرة العربية والاستفادة من الطرق التجارية فيها، وبسبب الضغوط الحبشية على دولة

(١) علي، المفصل، ج ٢، ١٤٠.

(٢) اليعقوبي، كتاب البلدان، ج ١، ٦٠.

(٣) علي، المفصل، ج ٢، ٣٥.

(٤) الشنائر: وهي تعني لغة حمير الأصابع، حيث كان له ستة أصابع في يده. انظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام، ٦٧.

(٥) ذي نواس وتعني في الحميرية ذو أبيات من الشعر يتحركان على كتفه، انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ٥٢.

(٦) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ٢٦.

حمير، بالإضافة لازدياد نفوذهم بعد انتصار المسيحية، أخذ يوسف ذي نواس في تضيق الخناق على نصارى اليمن، وطلب منهم ترك دينهم واعتناق اليهودية، على الرغم من أن بعض المؤرخين يرى أن ذا نواس كان وثنياً على دين قومه في ذلك الوقت^(١).

وعلى الأرجح أن ذي نواس لم يكن يملك كل دولة حمير، حيث وضح نقش يرجع لسنة ٥١٨ م والذي يبين اسم ذي نواس بدون اللقب الملكي الطويل المألوف عند الحميريين، كما أن العاصمة (ظفار) كانت تحت سيطرة الأحباش، بالإضافة إلى أن الأقبال كانوا ينازعون ذا نواس الحكم في دولة حمير^(٢).

ولكن رفض نصارى نجران ترك دينهم، فاستعد ذي نواس لمحاربتهم ولعله هدف من وراء ذلك لمحاربة الأحباش وحلفائهم الرومان، فقام بالتحالف مع ملوك الفرس والحيرة وهم ألد أعداء الرومان والأحباش، كما عقد مع تلك الأطراف معاهدة تجارية^(٣).

وبعد أن زاد تدخل الأحباش في جنوب شبه الجزيرة العربية سواء في الأمور السياسية أو الاقتصادية أو الدينية، رأى ذو نواس ضرورة إرجاع نصارى نجران عن دينهم، لاعتقاده بأنهم مسيحيون مرتبطون بالأحباش، ويساهمون في انتشار النفوذ الحبشي بالمنطقة^(٤).

(١) فروخ، تاريخ الجاهلية، ٧٤.

(٢) علي، المفصل، ج ٢، ٢٩٥.

(٣) زيدان، العرب قبل الإسلام، ١٧١.

(٤) معطي، تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام، ١٥١.

وشدد ذو نواس ضغوطه على القبائل الموالية للأحباش في جنوب بلاد العرب، فقام بإعداد حملة عسكرية بجيش مكون من قبائل حميرية واتجه بهم إلى نجران، وخير أهلها بين الرجوع عن النصرانية أو الحرق بالنار، وقام بحفر أخدود عميق في الأرض وأضرم فيه النار، ويقال بأنه حرق حوالي ثمانين ألفاً^(١).

ولقد ورد ذكر أصحاب الأخدود في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾^(٢) أَلَنَارِ ذَاتِ الْوُفُودِ^(٣) إِذْ هُرِّعَتْ عَلَيْهَا قُودٌ^(٤) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ^(٥) ﴿٧﴾ ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾^(٦) وخلال تلك المذبحة هرب رجل يسمى دوس ذو ثعلبان بفرسه بمحاذاة البحر الأحمر، واتجه إلى الإمبراطور الروماني جستين (٥١٨ - ٥٢٧ م) طالباً منه مناصرة النصارى بنجران، ونقل معه نسخة محروقة من الإنجيل، ولكن نظراً لبعد المسافة بين بلاد الروم وجنوب بلاد العرب فقد ارسل لنجاشي الحبشة وقام بمده بالسفن والأسلحة لتنفيذ تلك المهمة^(٧).

وقد وجد النجاشي الفرصة مواتية لبسط نفوذه على جنوب بلاد العرب ووضع حداً لسياسة الملك الحميري ضد النصارى، وهدف النجاشي للتدخل المباشر في شئون جنوب شبه جزيرة العرب^(٨). فجهز نجاشي الحبشة جيشاً جراراً قوامه سبعون ألفاً من الأحباش تحت قيادة أرباط وهو من أشرس قادة الأحباش^(٩). واتجه الأحباش

(١) نلسون، الديانة العربية القديمة، ١٥١.

(٢) سورة البروج: الآيات ٤ - ٧.

(٣) أسد رستم، الروم في تاريخهم وحضارتهم وصلاتهم بالعرب، (بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٥ م)، ج ٥، ١٦٨.

(٤) معطي، تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام، ١٥١.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ٧٧٢.

بسفنهم من طريق زيلع ونزلوا على سواحل منطقة زبيد باليمن، واستعدوا لملاقاة الحميريين، حيث كان ذو نواس قد استنفر عدداً كبيراً من القبائل الحميرية لملاقاة الأحباش^(١).

وبعد أن وصل الأحباش إلى سواحل بلاد اليمن اتجه جيشهم لمحاربة الجيش الحميري، وعندما التقى الجيشان هزم الأحباش الجيش الحميري، وتفرق الحميريون عن ملكهم ذي نواس، فركب فرسه واقتحم به البحر حتى غرق ومات، وهناك رواية تقول بأنه قتل أثناء المعركة مع جيش الأحباش^(٢).

وبعد موت يوسف ذي نواس دخل أرياط بجيشه إلى منطقة دمار (صنعاء) سنة ٥٢٥م، وبذلك ينتهي ملك دولة حمير، وأصبحت جنوب شبه الجزيرة العربية تحت حكم الأحباش ودخلت في فترة تاريخية أخرى ومرحلة جديدة^(٣).

(١) علي، المفصل، ج ٢، ١٧٩.

(٢) اليعقوبي، كتاب البلدان، ج ١، ١٦٢.

(٣) زيدان، العرب قبل الإسلام، ١٧٦؛ عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ٢٥٠-٢٥١.

الفصل الثالث

دول شمال الجزيرة العربية

- أولاً: مملكة دادان .
- ثانياً: مملكة لحيان.
- ثالثاً: الأنباط.
- رابعاً: مملكة تدمر.
- خامساً: الغساسنة.
- سادساً: المناذرة.
- سابعاً: مملكة كنده (وسط الجزيرة).

أولاً: مملكة دادان ولحيان

ينتسب بنو لحيان إلى قبيلة هذيل العدنانية، فلمّا تكاثر أبناء عدنان وضاحت بهم سبل العيش في مكة تفرّقوا في أنحاء شتى من البلاد، متبّعين مواقع القطر ومنابت العشب، فمنهم مَنْ نزح إلى البحرين ومنهم مَنْ نزح إلى حجر اليمامة، ومنهم مَنْ سكن الطائف، ومنهم مَنْ نزح إلى العراق، ومنهم مَنْ استقرّ به المقام في

تياء ووادي القُرى - الذي يُعرف اليوم بالعلا - في شمال الحجاز، ولم يبقَ منهم في تهامة إلا بطون كنانة، ولم يُقَمَّ منهم بمكة وضواحيها إلا بطون قريش^(١). وهذا يدل على نزوح بني لحيان من مكة إلى أطراف الجزيرة كغيرهم من القبائل النازحة بحثاً عن الرزق - فَهْمُ ليسوا من بطون كنانة وليسوا من بطون قريش - ويظهر أن وجهتهم كانت إلى شمال الجزيرة وإلى منطقة العلا بالذات، وقد استطاعوا مع مرور الوقت إنشاء دولة لهم هناك ومما يُؤيد ذلك وجود آثار حضارتهم باقية في "دادان"، ويُرجَّح نزوح هذه القبائل العدنانية من مكة في القرن السابع أو السادس قبل الميلاد في زمن الجاهلية المتقدمة التي يُحيط تاريخها كثيراً من الغموض وإن اختلفت المصادر في هذا التاريخ. إلا أن نزوح القبائل من مكة إلى أطراف الجزيرة العربية مُتَّفَقٌ عليه عند المؤرِّخين^(٢).

وذهب المستشرق (كاسكل) (Werner Caskel) إلى أنه كانت هناك جاليات معينة تحكم أرض الشمال (العلا) فانتزع اللحيانيون الحكم منهم سنة ١٥٠ ق. م، عندما ضعف أمر حكومتهم في اليمن، ولم يبق في استطاعتها السيطرة على املاكهم البعيدة عنها، فاندمج المعينيون فيهم حتى صاروا جزءاً منهم^(٣). وكانت تسمى في أولى مراحلها مملكة دادان و دامت مملكة لحيان في مرحلتها الأولى في الفترة (٩٠٠ ق. م - ٢٠٠ ق. م) ثم مرحلتها الثانية بعد الاستقلال عن مملكة الأنباط في الفترة الممتدة بين سنة ١٠٧ م و ١٥٠ م.

(١) عمير بن عويمر: لحيان عبر التاريخ (الرياض: د.ن، ٢٠٠٤م)، ٢٤.

(٢) عويمر: لحيان عبر التاريخ، ٢٤ - ٢٥؛ نسرین سلیمان الرحيلي، مملكة دادان ولحيان دراسة حضارية، رسالة ماجستير، (المدينة المنورة: جامعة طيبة، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م)، ٢١-٢٣.

(٣) علي، المفصل، ج ٢، ٢٤٥ - ٢٤٦؛ الرحيلي، مملكة دادان، ٢١-٢٣.

ثانياً : مملكة دادان اللحيانية

بعد أن استوطن المعينين واللحيانيون في دادان والعلا أنشأوا لهم بها مملكة صغيرة " مملكة مدينة " لا تتعدى سيطرتها حدود تلك المدينة، وأسموها " مملكة دادان " نسبة إلى تلك المدينة.^(١)

وتقع دادان شمال شرق العلا على خط طول ٣٧ ٥٥ ٥٨، ودرجة العرض ٢٦ ٣٦ ٢٢، وقد بدأت مملكة دادان تاريخها في القرن ٩ ق.م واستمرت حتى القرن ٥ ق.م^(٢)، ورجح بعض المؤرخون أمثال الأنصاري وأبو الحسن أن نهاية الدولة كان في القرن الثاني قبل الميلاد،^(٣) وقد أثبتت المصادر الأثرية والتاريخية أن تاريخها يبدأ من القرن السادس قبل الميلاد أو قبل ذلك وحتى العصور الإسلامية المتأخرة.^(٤)

ومملكة دادان هي مملكة تابعة لمملكة معين من القرن الخامس ق.م حتى بدايات الأول ق.م^(٥) قامت في الحِجْر والأجزاء الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية، وأغلب الظن أنها مرحلة سابقة لمملكة لحيان حيث يعتقد بعض الباحثين أن اللحيانيين كانوا من سكان العربية الجنوبية، لورود نص يشير إلى قيل لحياني في اليمن

(١) الرحيلي، مملكة دادان، ٨-١٣.

(٢) محمد عائل الذبيبي، حصن إسلامي مكتشف بموقع دادان الأثري، (الرياض: دراسات في علم الآثار والتراث، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، ٨٧.

(٣) عبدالله نصيف، العلا دراسة في التراث الحضاري (الرياض: د.ن، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ١٢.

(٤) عبدالرحمن الطيب الأنصاري، حسين بن علي أبو الحسن، العلا ومدائن صالح "الحجر"، (الرياض: دار القوافل، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م)، ٢٠.

(٥) الذبيبي، حصن إسلامي، ٨٨.

(٦) Alexander Sima: The ancient name of Dedan. in: Biblical Notes 104 (2000) 42-47.

اسمه "أب يدع ذو لحيان" واستوطنوا دادان جنوب أراضي لحيان، فلما ضعفت حكومة المعينيين في اليمن استولى اللحيانيون على المملكة وأسموها على اسم قبيلتهم^(١) وليس بين الباحثين اتفاق على أصولهم تحديداً، ويرى جواد علي أن المعينيين كَوَّنوا مستعمرات في أعالي الحجاز منذ القرن الخامس قبل الميلاد ووصفهم باللحيانين أيام قوة المعينيين، وهدف هذه المستعمرات هو تأمين الطريق التجارية من اليمن إلى الشام^(٢) ووفقاً لورنر كاسكل^(٣).

وفي العهد القديم نجد ذكراً لدادان ظهر في سلسلة الأنساب الموضوعة في العهد القديم كأخ لسبأ^(٤) وعندما يتحدث العهد القديم عن دادانيين فإن المقصود هو معين والسبب في ذلك الاستخدام واضح، وذلك لأن قوافل مملكة معين العربية الجنوبية كانت تتوقف في دادان ولا تتجاوزها، فيقوم مواطنهم في تلك المستعمرة بنقل البضائع إلى محطات أخرى؛ هدف هذه المستعمرة هو تقصير مشقة السفر على المعينيين. وأغلب بضاعتهم القادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية كانت موجهة لمصر واليونان ويعتقد كاسكل أن اللحيانين استولوا عليها في منتصف القرن الثاني ق.م قرابة ١٥٠ ق.م فقد كان المعينيون يسيطرون على الحِجْر وأعالي الحجاز من القرن الخامس ق.م بمساعدة من اللحيانين بدلالة أن أول ملوكهم كان معينياً ثم عادت

(١) علي، الفصل، ج ٢، ٢٠١؛ الرحيلي، مملكة دادان، ٥-١٩.

(٢) علي، الفصل، ج ٢، ٢٠٢؛ الرحيلي، مملكة دادان، ٥-١٩.

(٣) Grimme – H. Grimme, Neubearbeitung der wichtigeren Dedanischen und Lihjanischen Inschriften,

. Louvain, 1937, 271, Le Muséon, vol. L

(٤) سفر التكوين: ١٠: ٧.

للحيان مستغلين ضعف مملكة معين وحروبها مع مملكة سبأ.^(١) يرى جواد علي أن للحيانين ينحدرون من النبي إسماعيل، وقد عدّهم بلينيوس الأكبر في جملة الشعوب العربية كذلك^(٢) ووصف المؤرخ الروماني خليج العقبة بالخليج للحيانى واستمرت هذه التسمية إلى القرن الثاني الميلادي.^(٣)

ويعتقد عبد الرحمن الأنصاري أن مملكة دادان هي المرحلة الأولى لمملكة لقبائل ثمود. ومن هنا يتضح أن دادانيين هم الثموديين المذكورين في القرآن^(٤). وهذه الفترة تُعتبر فترة تأسيس مملكة لحيان الأولى ذات النفوذ الواسع، وحيث أنه لم تُجَرَّ في المنطقة حفريات أثرية جادة تزودنا بتفاصيل أكثر عن هذه الفترة إلا ما قام به العالمان الفرنسيان "جوسن Jaussen" و "سافيناك Savignac" من دراسة لبعض نقوش المنطقة الظاهرة على سطح الأرض ثم تحليلها والتي لم تكشف لنا إلا عن اسمين فقط من ملوك هذه الفترة هما:

الملك "كبير إل بن متع إل" الذي ذكره النقش^(٥). (JS 138 L) والملك "جشم ابن شهر" الذي ذكره النقش^(٦). (JS 349 L) والذي لا يتنافى كونها ملكين دادانيين مع كونهما ملكين لحيانين، لأن دادانيين هم اللحيانيون كما رأينا.

(١) Werner Caskel, Die Bedeutung der Beduinen in der Geschichte der Araber Köln & Opladen :

Westdeutscher Verl. (1953), 94.

(٢) علي، المفصل، ج ٢، ٢٤٤، الأنصاري وآخرون، العلا، ٢٠-٢١.

(٣) الأنصاري وآخرون، العلا، ١٩.

(٤) حسين أبو الحسن، قراءة لكتابات لحانية من جبل عكمة بمنطقة العلا، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٦٤م)، ٧.

(٥) نصيف، العلا دراسة في التراث، ١١.

(٦) هتون الفاسي، الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية، (١٩٩٣م)، ٧٢ - ٧٣.

وحيث أن المعلومات التي وصلتنا عن هذه الفترة تعتبر ضئيلة جداً إذا ما قورنت بالمعلومات التي وصلتنا عن مملكة لحيان الأولى والثانية . لهذا فإننا سنكتفي بهذه المعلومات إلى أن تُبدي لنا الأيام القادمة ما خفي علينا من تاريخ مملكة دادان اللحيانية خاصة عند إجراء الحفريات الأثرية الجادة والمُتَّظَر القيام بها في المنطقة. ثم توقف العمل بهذا المسمى .(مملكة دادان) وبدأ العمل بالمسمى الجديد وهو (مملكة لحيان) وذلك بعد أن اتسعت الدولة وامتد نفوذها شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً.

- مملكة لحيان الأولى:

تُعتبر مملكة لحيان الأولى امتداد لمملكة دادان اللحيانية وقد بدأت مملكة لحيان الأولى في القرن ٥ ق.م وانتهت في القرن ٣ ق.م^(١). أما " كاسكل Caskel " فيري أنها بدأت سنة ١١٥ ق.م وانتهت سنة ٢٤ ق.م^(٢).

ومن ملوك هذه الفترة:

الملك هنأس بن شهر ذَكَرَهُ النقش الموسوم بـ (JS 53) والملك تخمين لذن الملقَّب بـ " ذسفعن " ذَكَرَهُ النقش الموسوم بـ (M 8) والملكشمت جشم بن لذن ذَكَرَهُ النقش الموسوم بـ (JS 85) والملك جلت قوس ذَكَرَهُ النقش الموسوم بـ (JS 83) والملك منعي لذن بن هنأس ذَكَرَهُ النقش الموسوم بـ (JS 82)^(٣) وقد وثق ملوك هذه الفترة علاقاتهم التجارية مع الدول المجاورة كالأنباط والبطالمه ولكن هذه العلاقة كانت أكثر عمقاً مع البطالمه حكام مصر.^(٤)

(١) أبو الحسن ، قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بالعلا، ٣٥.

(٢) علي ، الفصل، ج ٢، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٧ .

(٣) Caskel. Lihyan, p. 41 .

(٤) الرحيلي، مملكة دادان، ٦٣-٦٨ .

حيث كان اللحيانيون يُصدِّرون لهم المواد العطرية والبهارات والخيول العربية الأصيلة . عبر ميناء (أمبليوني Ampelone) البطلمي المقام على السواحل اللحيانية باتفاق الدولتين ، وعبر الميناء اللحياني (لويكي كومي Leuke Kome) وبموجب هذه العلاقة والصداقة فقد وقف اللحيانيون مع البطالمة في حروبهم ضد السلوقين والسبثيين^(١)

أما علاقتهم مع الأنباط فلم تكن حسنة إذ كانت بينهم مناوشات خاصة بعد أن ضعف نفوذ البطالمة حلفاء اللحيانيين وانحسر نفوذهم . فقد أخذ الأنباط يتطلعون إلى الاستيلاء على اللحيانيين والانتقام منهم لتحويلهم تجارة العطور والبهارات إلى مصر مباشرة دون المرور بعاصمتهم البتراء . مما أثر على اقتصادهم فأصبحوا يتحرَّشون باللحيانيين ويهاجمونهم^(٢).

وفي بادئ الأمر صمد اللحيانيون في وجه الأنباط وصدوا كثيراً من هجماتهم ولكن الأنباط تمكنوا فيما بعد من الاستيلاء على اللحيانيين والقضاء عليهم^(٣).

- مملكة لحيان الثانية

حيث أن الرومان هم الذين قضوا على الأنباط سنة ١٠٦ م . وللموقف الودّي الذي وقفه اللحيانيون من الرومان أثناء حربهم مع الأنباط جعل الرومان يوقفون زحفهم عند مشارف الأرض اللحيانية ولم يستولوا عليها ، إذ كان وقوفهم على بُعد

(١) سيّد أحمد علي الناصري، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام (القاهرة: د.ن، ٢٠٠١م)، ٤١٣.

(٢) الرحيلي، مملكة دادان، ٦٨-٧٢.

(٣) الناصري، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، ٤١٠.

١٠ كلم من " دادان " العلا مملكة لحيان^(١). ويبدو أن هذا كان تقديراً من الرومان لموقف اللحيانيين الوذّي منهم ، مما شجع اللحيانيون على الاستقلال بإدارة شئونهم وإعادة بناء دولتهم من جديد . وقد كان هذا الاستقلال برئاسة الملك (هنا س بن تلمي) وهو من الأسرة الملكية السابقة التي كانت تحكمهم قبل استيلاء الأنباط عليهم^(٢) وبهذا يكون اللحيانيون قد عادوا الى الحكم مرة أخرى وأقاموا مملكتهم الثانية والتي بدأت سنة ١٠٦ م. واستمرت حتى سنة ١٥٠ م على رأي كاسكل ومن ملوك هذه الفترة :

الملك هنأس بن تلمي . ذكّره النقش الموسوم بـ (JS 75) و الملك تلمي بنهنأس . ذكّره النقش الموسوم بـ (JS 45) والملك تلمي بن هنأس الملقب بـ " سموي " . ذكّره النقش الموسوم بـ (JS 54) والملك عبدن هنأس . ذكّره النقش الموسوم بـ (JS 72) والملك سلح . ذكّره النقش الموسوم بـ (JS 77) والملك فضج . ذكّره النقش الموسوم بـ (JS 63) والملك مسعود . ذكّره النقش الموسوم بـ (JS nad. 334) والملك شهر بن هنأس . ذكّره النقش الموسوم بـ (أبو الحسن ١٣)^(٣).

ولكن ملوك هذه الفترة لم يكونوا على شاکلة ملوك الفترة الأولى من حيث القوة فقد تفشت السرقات في البلاد وكثرت حوادث القتل ، ولم يكن الحكم مستقراً حيث أصبح الحل والعقد في يد مجلس الشعب (هجبل)^(٤) الذي استطاع أن يضيق على

(١) كاسكل، "لحيان المملكة العربية القديمة" ، ترجمة: منذر البكر ، مجلة كلية الآداب ، جامعة

البصرة (١٩٧١م)، ١٩٢ - ١٩٣ .

(٢) علي، المفصل، ج٢، ٢٥٠ .

(٣) أبو الحسن ، قراءة لكتابات لحانية من جبل عكمة بالعلا ، ٣٧٠ - ٣٧٣ .

(٤) علي، المفصل، ج٢، ٢٥١ - ٢٥٣ .

ملوك هذه الفترة .وقد انتهت مملكة لحيان الثانية ولكن لا نعلم كيف انتهت ومن الذي قضى عليها . وبعد انهيار دولتهم ذهب قسم منهم إلى الحيرة جنوب العراق والقسم الآخر عاد وسكن حول مكة وهم لا يزالون حولها حتى اليوم^(١) فمكة هي موطنهم الأصلي قبل انتقالهم إلى العلا ، فَهُم من بني هذيل سكان هذه الديار، وقد نزلوا بعد عودتهم من العلا في موطنهم السابق في شمال مكة ولا زالوا معروفين في هذا الموقع حتى الآن ، وتعرف ديارهم اليوم " باللحانية " ، وقد كانوا على خلاف مع النبي صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة.

الدور السياسي في دادان:

اختلف الباحثون والمؤرخون فيمن حكم دادان أولاً هل هم الدادانيون كما أسموهم أم المعينيون أم اللحيانيون ، ولكي نُفند هذا الخلاف الظاهري نقول : بعد الدراسات التي قام بها بعض الباحثين لبعض نقوش المنطقة مؤخراً اتضح أن المعينيين لم يكن لهم أي دور سياسي فيها. يقول الدكتور عبد الرحمن الأنصاري : قد كان يُعتقد أن للمعينيين دور سياسي في " دادان " العلا ، ولكن دراسة علمية متأخرة للنقوش في المنطقة أوضحت أن الوجود المعيني في دادان لم يكن إلا وجوداً تجارياً ، حيث كانت جاليات معينة أخرى قد استقرت في أماكن أخرى متعددة لم يكن لهم فيها سلطة سياسية ، بل كان وجودهم وتجمعهم فيها تجارياً بحثاً تحت رئاسة كبيراً لهم يكون مسئولاً أمام الحاكم في تلك المنطقة عن سلوك التجار المعينيين وجباية الضرائب منهم سواء كان ذلك في دادان أو في غيرها^(٢).

(١) أحمد عبد الله أحمد علي عبد الكريم ، هذه هي العلا بين الماضي والحاضر، (١٩٩٣م)، ٢٤.

(٢) عبد الرحمن الأنصاري، مواقع أثرية وصور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية،

(الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، ١٣ .

ويقول فاندن براندن : Van den Branden لم تُظهر النقوش التي وُجِدَتْ في منطقة العلا أي تلميح الى سيطرة المعينيين السياسية على " دادان " العلا وإنما السيطرة السياسية كانت للحيانيين بينما استقر المعينيون في دادان العلا كتجار^(١). وكذلك ذكر وينت Winnett في فترة لا حقة أن وجود المعينيين في دادان العلا كان وجوداً تجارياً بحتاً^(٢).

وهذا دليل قاطع على أن المعينيين لم يحكموا " دادان " أبداً ، وإنما وجودهم فيها كان للتجارة فقط . وهذا فيه ردُّ على من يرى أن مملكة لحيان انتهت على يد المعينيين . وإن آثار المعينيين في المنطقة كالمقابر وبعض كتاباتهم القليلة لا تدل على دور سياسي لهم . ويظهر أن المعينيين اندمجوا في اللحيانيين مع مرور الوقت فأصبحوا يُشرفون على التجارة أما السيطرة السياسية فكانت للحيانيين ، لذلك نرى كثيراً من المؤرخين حينما يتكلمون عن هذه الدولة يقولون: الدولة المعينية اللحيانية^(٣)

ومن القبائل المعينية التي كانت تقيم في دادان وورد ذكرها في النقوش مليح ويفعان، "هانئ بن وهب إل من قبيلة مليح طالباً العفو من نكرح"، "شاهد قبر أوس إل بن إلهوب من قبيلة يفعان المتوفي في دادان".^(٤)

ولا شك أن اللحيانيين يُعْتَبَرُونَ من الشعوب المتحضرة في ذلك الوقت إذ كانوا يتعاملون في بيعهم وشرائهم بالعملة وليس بالمقايضة حيث كانت لهم عملة تشبه عملة الإسكندرية ولا يكاد يفرق بين العملتين إلا بوجود اسم الملك اللحياني مكتوباً

(١) أبو الحسن ، قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا ، ٣٦ .

(٢) الفاسي ، الحياة الاجتماعية ، ٧٩ .

(٣) الرحيلي ، مملكة دادان ، ٧٣-٨٣ .

(٤) الأنصاري وآخرون ، العلا ، ٢١-٢٢ .

عليها بالخط المسند والذي أشتق منه الخط اللحياني فيما بعد. ومن مظاهر التحضر عندهم أنهم كانوا يمارسون العزف على الآلات الوترية كالسمسمية المعروفة اليوم فقد وُجِدَتْ منقوشة على إحدى الواجهات الصخرية لجبل عكمة وبأشكال وأحجام مختلفة^(١). ومن مظاهر تحضرهم أيضاً معرفتهم لبعض المهن والحرف الدقيقة كالصياغة والتجارة والطبابة والنحت.

كما أعطى المجتمع اللحياني حُرِّيَّة التملك للمرأة وقد ثبت هذا في نقوشهم. كما أنهم كانوا ينحتون مقابرهم في جبال الخريبة بالعلا لدفن موتاهم فيها. وتتميز مقابرهم في العلا عن المقابر في مدائن صالح بأنها شبة مربعة الشكل، لا تزيد فتحتها عن متر مربع واحد، وعمقها في داخل الصخر حوالي مترين^(٢).

وكانت ديانة المجتمع اللحياني في ذلك العصر الغابر ديانة وثنية شركية تقوم على تعدد الآلهة ومن أهم آلهتهم في ذلك العصر الإله "ذو غابة" الذي يقع في وسط "الخريبة" عاصمة المملكة اللحيانية وقد كان له فناء واسعاً به حوض للماء يغتسل منه كل من يريد أداء عبادته لهذا المعبود^(٣).

واللحيانيون كانوا يتضرعون إليه بالدعاء وذبح النذر لكسب رضاه وتوسيع الرزق والتحصن من الأمراض وأن يحفظ لهم الحرث والنسل. وقد كانوا يشدون الرحال إليه في أيام معلومة من شهر معلوم. كما كانوا يقدمون له النذر والأضحيات فقد ذَكَرَتْ نقوشهم كثيراً من هذه التقدّمات. وقد ورد اسمه في كثير من نقوشهم

(١) الفاسي، الحياة الاجتماعية، ٢٩٥.

(٢) عبدالرحمن الأنصاري، "لمحات عن بعض المدن القديمة"، (الدار، ١٩٧٥ م)، ٧٩.

(٣) كاسكل، لحيان المملكة العربية القديمة، ٢٨.

منها^(١) AS A 17)، 18، 25، (28 وهناك لهم معبودات أخرى مثل: الإله "ود"، والإله "سلمان" والإله "بعل سمن" والإله "عجلبون" وغيرها. أمّا لغتهم في ذلك العصر فهي عربية شمالية وخطهم هو الخط اللحياني المشتق من الخط المسند الجنوبي^(٢) وقد كان عدد الحروف الهجائية عندهم 28 حرفاً كما هي اليوم. ويدل انتشار الكتابات اللحيانية بهذا الحجم الكبير في العلا وما حولها على وجود مدارس لتعليم القراءة والكتابة^(٣) مما يؤكد إهتمامهم بالتعليم ونشره بين المواطنين.

ولقد سيطر اللحيانيون على الطريق التجاري الذي يصل إلى البتراء شمالاً وباتجاه اليمن جنوباً^(٤) (طريق البخور)، وعلى الطريق البحري أيضاً، إذا ما أخذنا في الاعتبار تسمية خليج العقبة «بخليج لحيان»، حتى إن التجار الإغريق والبحارة كانوا يدفعون الجزية للجباه من بني لحيان^(٥).

ولقد برع اللحيانيون في تنظيم شئون الحكم والعبادة، واللغة، والخط، والنحت والرسم والنقوش، والتجارة، والزراعة، والرعي. واستمر اللحيانيون في حكم منطقة العلا وما حولها حتى انتهت دولتهم على يد المعينيين، عندما وصلوا إلى المنطقة لاستعادة نفوذهم واستولوا عليها فيما بين نهاية القرن الثالث والقرن الأول ق. م حفاظاً على

(١) الفاسي، الحياة الاجتماعية، ٢٣٢.

(٢) نيلسون وآخرون، التاريخ العربي القديم، ٤٣.

(٣) نصيف، العلا دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي، ٢٢.

(٤) الأنصاري، لمحات عن بعض المدن القديمة، ٨٠.

(٥) أبو الحسن، قراءة لكتابات لحيانية، ٣٤.

تجارتهم ومكاسبهم المادية^(١). وعندما سقطت دولة لحيان في الشمال عاد أهلها إلى ديارهم السابقة حول مكة وإلى القبيلة الأم هذيل. يقول المستشرق (وينيت) (إن المملكة اللحيانية أتت إلى نهايتها في القرن الثاني أو الأول ق. م، ويظهر أن قوماً منهم هاجروا إلى الجنوب وقوماً هاجروا إلى العراق فاستقروا بالخير^(٢)).

وبالفعل عاد بنو لحيان إلى موطنهم الأصلي وساهموا في نشر الدعوة الإسلامية وشاركوا في السرايا والغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروا عنه بعض الأحاديث أمثال الصحابي سلمه بن المحبّق اللحياني الهذلي الذي شهد معه حُنيناً والمدائن في عهد عمر بن الخطاب، والصحابي اسامة بن عُمر اللحياني الهذلي الذي شهد حُنيناً والحديبية، والصحابي أبو عزة اللحياني الهذلي ومليكهة وام عفيف رضي الله عنهم جميعاً.

ثالثاً: مملكة الأنباط (٣١٢ ق.م - ١٠٦ م)

كان للنشاط التجاري في بلاد اليمن والحجاز أثر كبير في قيام دويلات عربية على تخوم الشام والعراق في العصر السابق على ظهور الإسلام، فقد كانت بادية الشام وجنوبي فلسطين مركزاً لهجرات متتابة من جنوب الجزيرة العربية منذ أوائل التاريخ المسيحي مثل قبيلة تنوخ وقبيلة بني سليح وآل جفنة، وكانت قرية بوريكة باللجة يطلق عليها في العصر الروماني اسم بوريكة السبثيين^(٣). إلا أن استقرار قبائل عربية في

(١) الأنصاري، لمحات عن بعض المدن القديمة، ٨٠.

(٢) الأنصاري، مواقع أثرية، ١٦.

(٣) رنيه ديسو، العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٩م)، ١٠.

بادية الشام يرجع في حقيقة الأمر إلى عصور سابقة للعصر الروماني، ومن أقدم الشعوب العربية التي استقرت في جنوب فلسطين شعب الأنباط.



خريطة دولة الأنباط

ومملكة الأنباط قامت في شمال الحجاز، وتنسب إلى شعب من شعوب العرب يعرف عند اليونان باسم Nabataei أو النبط، سكنوا في بادية الشام وجنوبي سورية في القرن السادس قبل الميلاد تقريباً. ولم نعثر في المصادر العربية على أخبار عن الأنباط، كما لم نعثر على أخبار عنهم في الوثائق الخاصة بحملات الأشوريين على الشام ومصر، وإنما وقفنا على أخبارهم من كتابات الإغريق، وعلى الأخص ما كتبه المؤرخ اليهودي

يوسيفوس فلافيوس (٣٧-١٠٠م)، وديودور الصقلي واسترابون، ومن النتائج والكشوف التي أسفرت عنها الأبحاث الأثرية في البتراء وهوران.^(١)

ولقد اتخذ الأنباط اللغة الآرامية لغة للكتابة النبطية، والخط النبطي على هذا النحو خط آرامي، ولكنه متطور من الخط الآرامي القديم، وقد عرف لذلك بالخط النبطي، تمييزاً له عن بقية الخطوط الآرامية، ومن أقدم الرقم النبطية رقيم النمارة في شرقي حوران ويرجع إلى سنة ٢٣٨م.، ولقد أُرِخ به قبر امرئ القيس بن عمرو من ملوك الحيرة. وعثر على كتابات نبطية مؤرخة أيضاً في جرش.^(٢)

ومادبا^(٣). والخط النبطي قريب من الخط الكوفي القديم، الأمر الذي دعا كثير من العلماء إلى القول بأن هذه الخط مشتق من الخط النبطي، والخط العربي الذي نكتب به اليوم مشتق من الخط النبطي.^(٤)

وتتميز بلاد الأنباط بأنها بلاد جبلية فقراء، قليلة المياه، تكثر فيها المرتفعات الصخرية الوعرة والشعب، وقد انعكست هذه الطبيعة الوعرة على النبط، فطبعته

(١) سليمان بن عبدالرحمن الذيب، نقوش نبطية قديمة دراسة تحليلية، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)، ١٥-١٦؛ الأنصاري وآخرون، العلا، ٦٠؛ سليمان بن عبدالرحمن الذيب، نقوش جبل أم جذايد النبطية، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م)، ١-١٣.

(٢) علي، الفصل، ج ٣، ٦؛ أحمد عجلوني، حضارة الأنباط من خلال نقوشهم، (عمان: بيت الأنباط، ٢٠٠٣م)، ١٠٩-١١٧.

(٣) ماديا مدينة قديمة ورد ذكرها في التوراة في سفر يشوع، إصحاح ١٣-٩؛ وأخبار الأيام الأول ٨/١٩، وقد أصبح لهذه المدينة شأن كبير في العصر الروماني ثم في العصر البيزنطي.

(٤) سليمان بن عبدالرحمن الذيب، نقوش نبطية في الجوف، العلا، تباء، المملكة العربية السعودية، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ١١.

بطابعها، ولذلك عرف الأنباط بشدة المراس والعنف، كما عرفوا بميلهم إلى الغزو. وساعدتهم هذه البيئة الصخرية على مقاومة أعدائهم، فصعب على هؤلاء قهرهم وإخضاعهم لهم، ولهذا السبب لم يتمكن الآشوريون أو الفرس أو الإغريق من قهر هذا الشعب. ولقد سمي الإغريق بلادهم للسبب نفسه باسم بلاد العرب الصخرية، كما سميت عاصمتهم بالبتراء Petraea، أي الصخرة، وهي تقارب في معناها كلمة سالع العبرانية المذكورة في التوراة^(١)، وتعني الشق في الصخر، والتسمية العربية مترجمة من اليونانية. ونلاحظ أن التسمية العبرانية أكثر دقة، لأن مدخل البتراء يتسم بوجود أخدود عميق بين جبلين يعرف اليوم باسم السيق، ولعله لفظ نبطي متوارث، حرفه الناس عن كلمة الشق في السبئية القديمة^(٢). وتعرف البتراء في المصادر العربية باسم الرقيم^(٣)، وهي تسمية عربية أطلقت على آثار هذه المدينة بعد ظهور الإسلام، ولعلها

(١) التوراة، سفر أشعيا، أصحاب ١/١٦، ١١/٢٤؛ خالد الحموري، مملكة الأنباط دراسة في الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، (عمان: دار الأنباط، ٢٠٠٢م)، ١٧-١٨؛ فتحية بنت حسين عقاب، المرأة وفن الموسيقى والغناء في العصور القديمة، (الرياض: كندة، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ٨٥.

(٢) لا نكستر هاردنج، آثار الأردن، تعريف سليمان موسى، (عمان: د.د.ن، ١٩٦٥م)، ١١٧؛ الحموري، مملكة الأنباط، ١٩-٢٠.

(٣) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٣، ٦٠؛ روبرت نينج، البتراء عاصمة على تخوم الصحراء، ترجمة محمد محفل، مجلة العلوم التي تصدر عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، العدد نوفمبر-ديسمبر، مراجعة عدنان الحموي، (٢٠٠٣م)، ص ١-٢؛ ربرت هيلند، تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي إلى صدر الإسلام ٣٢٠٠ ق.م-٦٣٠م، ط ١، ترجمة عدنان حسن، شركة قدمس، بيروت، (٢٠١٠م)، ص ٩٩-١٠١؛ سلمى محمد هوساوي، التنظيمات العسكرية في الولاية العربية الرومانية (١٠٦-٣٠٥م)، رسالة ماجستير، (الرياض: جامعة الملك سعود)، ١٩.

كلمة معربة لاسم ثان لهذه المدينة كان الإغريق يعرفونها به وهو Arke، فحرفها العرب، وقالوا: الرقيم، ولما كانت هذه الكلمة تعني النقش القديم فقد زعم الأخباريون أنها المدينة التي أقام فيها أهل الكهف^(١). واشتهرت أطلالها في العصر الأموي بوجه خاص، وكان ينزلها الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك^(٢). أما اليوم فالبتراء تعرف بوادي موسى أو باسم البتراء وهو الاسم اليوناني للعرب، وتقع موقعاً استراتيجياً هاماً على سطح هضبة قاحلة يصل ارتفاعها إلى ما يقرب من ٣٠٠٠ قدم، وتحيط بها الجبال من سائر الجهات بحيث يتعذر الدخول إليها إلا من الممر الضيق المعروف بالسائق.

وقد أشار المقدسي في كتابة أحسن التقاسيم إلى موضوع البتراء^(٣)، كما وصف الاصطخري بعض أبنيتها المنحوتة في الصخور^(٤). ولعله يقصد بهذه الأبنية الصخرية، البناء المعروف باسم الخزنة، وهو بناء منقور في الصخر شأنه شأن بقية منشآت البتراء. ويتميز الطابق العلوي منه بوجود إفريز مثلث الشكل يتوسطه جوسق مستدير، ويعلو الإفريز جرة كبيرة أحدثت فيها كسور كثيرة نتيجة لتعرضها لرصاص البنادق، إذ كان كثير من الناس يعتقدون أن بداخلها كنزاً من الذهب، ولهذا عرف البناء كله بالخزنة، والواقع أن الجرة المذكورة هي قطعة منحوتة من الصخر الأصم^(٥). أنا الطابق الأدنى

(١) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٣، ٦٠.

(٢) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٣، ٦٠.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ١٧٥.

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، كتاب المسالك والممالك، (لیدن: ١٩٢٧م)، ٦٤.

(٥) هاردنج، آثار الأردن، ١٢٦.

فمتوج بافريز ذي أشرطة بارزة تؤلف مثلثاً على نحو نظام واجهات المعابد الإغريقية، وتقوم الواجهة على أعمدة ضخمة، وتزدان بنقوش وكتابات نبطية، وكانت الخزنة فيما يظهر معبداً لكثرة ما كانت تزدان به من تماثيل.

وقد استغل الأنباط الإنقسام بين قواد الإسكندر، ومدوا مملكتهم من غزة إلى أيلة في مناطق صحرية، وازدهرت البتراء في نهاية القرن الرابع ق.م. وظلت زهاء أربعماية سنة تشغل مكاناً هاماً على طريق القوافل الذي يمتد ما بين اليمن والشام ومصر^(١).

وأقدم ما وصلنا في كتب التاريخ عن بلاد الأنباط ما ذكره ديودور الصقلي (المتوفي سنة ٥٧ ق.م.)، إذ يشير إلى غارة أنتيجوناس Antigonas، حاكم سوريا اليونياني، على مدينة البتراء في سنة ٣١٢ ق.م بسبب موالاته الأنباط لبطليموس، فذكر أنه أعد حملة تتألف من أربعة آلاف من المشاة وستمئة فارس يقودهم صديقه أثيناوس، لكي يرغمهم على التحالف معه، وقد أوصى أنتيجوناس قائد الحملة بأن يحرص على مفاجأة النبط، وأن يسلب منهم كل ما كانوا يمتلكونه من ماشية. ونفذ القائد تعاليم أنتيجوناس، وفاجأ البتراء بهجومه في منتصف الليل في غياب معظم شبابه، وتمكن من الاستيلاء على الصخرة (البتراء)، وقتل من قاومه من الأنباط، وأسر منهم عدداً كبيراً، ثم تراجع هو ورجاله يحملون ما غنموه من اللبان والمر والبخور والتوابل، ومن الفضة ما يصل وزنه نحو ٥٠٠ وزنه. فلما قطع مسافة مائتي استاديون وأدرك رجاله التعب، اضطر إلى التوقف، ونصب معسكر لإراحة عسكره، وكان شبان الأنباط قد عادوا إلى البتراء وشاهدوا ما أصاب أهلها على أيدي الإغريق،

(١) فيليب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ١، (بيروت: د.ن، ١٩٥٨ م)، ٨٢.

فبادروا باللاحاق بهم، ولم يكن الإغريق يتوقعون أن يعود العرب بهذه السرعة، فأهملوا الحراسة، وأغفلوا الرقابة، وبينما كانوا ينعمون بالنوم هاجمهم الأنباط، وأذرعوا فيهم بالسيوف قتلاً، فلم ينج من جيش انتيجوناس إلا خمسون فارساً استطاعوا النجاة بأنفسهم، واستولى الأنباط على معسكر الإغريق ونهبوه. ثم عادوا إلى الصخرة وكتبوا إلى أنتيجوناس يبررون له ما حدث رغبة في إزالة ما بنفسه، ويعتذرون له عما بدر منهم. وتظاهر انتيجوناس بالافتناع والرضا، وأعلن صداقته لهم، بينما كان في الباطن يعد عدته لمعاودة الكرة والانتقام من الأنباط^١.

ولم يمض وقت طويل حتى أعد حملة ثانية قوامها أربعة آلاف من المشاة وأربعة آلاف من الفرسان بقيادة ابنه ديمتريوس. ولم يكن النبط هذه المرة يهتمون بحراسة صخرتهم، فقد بثوا العيون والحراس في المناطق المشرفة للإنذار باقتراب العدو، فلما علموا بزحف ديمتريوس نحو صخرتهم أسرعوا بحمل أمتعتهم، وأمنوا أموالهم وما لم يستطيعوا حملة من متاعهم في مواضع غاية في الحصانة والمنعة، يصعب وصول الأعداء إليها، ووضعوها تحت حراسة قوية، ثم تفرقوا في الصحراء، فلما وصل ديمتريوس إلى الصخرة لم ينجح في اقتحامها، وانتهى به الأمر أخيراً إلى الرحيل عنها

(١) Diodrus of Siculus, Library of history, Books XIX.66-110 and xx, Wite an English Translation by

زيد زياد؛ Russel M. Geer, Cambridge, Massachusetts Harvard University Press, London, pp.93-105

مهدي السلامين، العلاقات النبطية الخارجية "دراسة في ضوء المصادر التاريخية والشواهد الأثرية، (الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م)، ٣٨، ٦٧، ٩٧-١٠٠؛ صالح إبراهيم الدغيم، التنظيمات العسكرية النبطية، (الجوف: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، ٢٩-٣٢؛ هوساوي، التنظيمات، ٢١-٢٢.

بعد أن قنع بها تلقاه من هدايا الأنباط^(١). ونستدل مما ذكره ديودور الصقلي على أن الأنباط بلغوا من القوة ما جعلهم يردون جيش أنتيجوناس على أعقابهم. كما نستدل مما ذكره على أن البتراء لم تكن قد بلغت من العمران بعد ما بلغت في العصور التالية، فلم تكن مدينة مسورة، ومن المرجح أن السوريين اللذين تم اكتشافهما بالبتراء قد أسسها الأنباط بعد أن عقدوا الصلح مع أنتيجوناس.

وأصبحت البتراء في القرن الأول قبل الميلاد أهم مراكز التجارة القادمة من جزيرة العرب، وساعد موقع البتراء على ازدياد أهميتها كمحطة تجارية في ملتقى الطرق التجارية من العراق شرقاً، واليمن جنوباً، وسوريا وفلسطين شمالاً، ومصر غرباً. وقد أثرى الأنباط ثراء فاحشاً بسبب اشتغالهم بالتجارة، فلما عمل البطالمة على احتكار التجارة البحرية والسيطرة على البحر الأحمر عن طريق إنشاء محطات وموانئ وسواحلهم، وإقامة علاقات مع عرب جنوب الذين يشتغلون بالتجارة في البحر الأحمر، أدرك الأنباط مدى الخطر الذي يتهددهم، كما أدركوا الأضرار الفادحة التي يمكن أن تصيب مصالحهم التجارية بسبب ذلك^(٢)، فاضطروا إلى التحرش بسفن

(١) Diodrus of Siculuss, Library of history, Books XIX.66-110 and xx, Wite an English Translation by

؛ Russel M. Geer, Cambridge, Massachusetts Harvard University Press, London, pp.93-105

السلامين، العلاقات النبطية، ٩٧-١٠٠؛ الذيب، نقوش نبطية قديمة، ١٦-١٧، هاردنج، آثار الأردن، ١١٩-١٢٠؛ صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، (بغداد: د.ن، ١٩٥٩م)، ج١، ٣٧؛ هوساوي، التنظيمات، ٢١-٢٢.

(٢) بفضل انشاء المحطات التجارية على البحر الأحمر أصبح البطالسة يسيطرون على البحر الأحمر والطريق التجاري الساحلي القريب منه، وضمنوا في نفس الوقت شراء جميع ما يلزمهم من منتجات جزيرة العرب عن طريق هذه المحطات. انظر: علي، المفصل، ج٣، ٢٠.

البطالمة، وقطع الطرق البحرية عليها والإستيلاء على محولاتها، الأمر الذي دفع بطليموس الثاني (٢٨٥-٢٤٦ ق.م.) إلى إنشاء قوة بحرية لحراسة السفن التجارية البطلمية، وتمكن بذلك من السيطرة على شمال البحر الأحمر وخليج العقبة^(١)، ولكن النبط انتهزوا فرصة اشتغال بطليموس بالحرب مع سلوقي سورية، فعاودوا مهاجمة سفن البطالسة.

وأول ملوك النبط الذين ورد ذكرهم في كتب التاريخ وفي الفصل الخامس من أسفار المكابيين هو الملك Aretas أريتاس الأول أو الحارث (١٦٩ ق.م-١٤٦ ق.م)، وكان معاصرًا لأنطيوخوس الرابع السلوقي ملك سوريا، وبطليموس فيلوماتر ملك مصر. وقد حالف الحارث النبطي جيرانه المكابيين بني حشمناي ضد السلوقيين^(٢)، ففي سنة ١٦٨ ق.م قام يهوذا المكابي بالثورة على السلوقيين ونجح في احتلال بيت المقدس^(٣).

ومن أشهر ملوك الأنباط الحارث الثاني الذي تولى مملكة الأنباط فيما بين ١١٠ ق.م و ٩٦ ق.م وكان يعرف باسم ايروتيموس Erotimus^(٤)، وفي عهده طلب يونانثان الذي تولى الأمر بعد مصرع أخيه يهوذا المكابي سنة ١٦١ ق.م من النبط أن ينصروه على أعدائه، وقد سير لهذا الغرض أخاه يوحنا "ليسأل النباطيين أوليائه أن يعيروهم

(١) علي، الفصل، ج ٣، ١٩؛ علي، محاضرات في تاريخ العرب، ج ١، ٣٨.

(٢) حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ٤١٩؛ محمد إسماعيل النصرات، مملكة الأنباط التاريخ السياسي، (عمان: بيت الأنباط، ٢٠٠٧م)، ٦٣-٦٤.

(٣) يوسف يوسيفوس، تاريخ يوسفوس، (بيروت: ١٨٧٢م)، ٧٠.

(٤) G.A. Cooke, Ency: Of Religion and Ethic, Article Nabataei, Vol. 9, . (1930), 121. (٤)

عدتهم الوافرة^(١) مما يدل على أن علاقة الأنباط بالمكابيين كانت حسنة للغاية، وأن الأنباط كانوا على درجة كبيرة من القوة. إلا أن جماعة من العرب الذين يسكنون ميدبا ويعرفون ببني يمري، غدروا ببوحنا المكابي وقتلوه.

ولكن سياسة حسن الجوار والتحالف القائمة بين الأنباط والمكابيين لم تلبث أن تبدلت إلى سياسة عدااء، فقد تبين للأنباط أنهم بسياستهم السابقة أضروا بمصالحهم الخاصة، فلم تكن سياسة المكابيين مقتصرة على طلب الاستقلال التام والخلاص من الحكم الأجنبي، بل كانت تنطوي على الاستيلاء على الأردن، والتوغل في مناطق النبط نفسها وإنشاء حكومة قوية قد تزاخم حكومتهم في يوم من الأيام، فرأى الأنباط أن من الخير لهم أن يدعوا هذا التأييد، وأن يقاوموا إن احتاج الأمر إلى مقاومة^(٢)، وقد أدت المنافسة بين المكابيين والأنباط إلى اصطدامات مسلحة^٣.

ويعتبر الحارث الثالث النبطي (٨٧-٦٢ ق.م) أشهر ملوك الأنباط على الإطلاق، فإسمه يقترن بفتوحات كبرى وانتصارات هيأت المجال للأنباط أن يوسعوا نطاق أملاكهم على حساب السلوقيين واليهود في آن واحد، ولذلك يعتبر الحارث الثالث المؤسس الحقيقي لسلطة الأنباط^(٤). استغل الحارث ضعف السلوقيين عند

(١) علي، الفصل، ج ٣ ، ٢٢؛ النصرات، مملكة الأنباط، ٦٥-٦٩؛ فرج الله أحمد يوسف، مسكوكات مملكة الأنباط، (الرياض: دار القوافل، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٢٣-٢٦.

(٢) علي، الفصل، ج ٣، ٢٣.

(٣) فتحية حسين عقاب، العلاقات بين الأنباط واليهود في ميزان الدولة الرومانية من أواخر القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي، (الرياض: الهيئة العامة للسياحة والآثار، ١٤٣٢هـ)، ١٥٣.

(٤) حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ١، ٤١٩؛ النصرات، مملكة الأنباط، ٧٧-٧٩.

بداية ظهور رومة على أعتاب الشرق، وعندما بدأ أنطيوخوس ديونيسوس هجومه على بلاد الأنباط، اصطدم مع الحارث الثالث في ٨٦ ق.م في معركة عنيفة حدثت عند قرية Cana الواقعة على ساحل يافا، وفيها انهزم السلوقيون هزيمة نكرا وسقط ملكهم صريعا. واستجاب الحارث بعد هذا الانتصار الكبير إلى دعوة سكان دمشق ليقم نفسه حاكما عليها وعلى الأقاليم الملحقة بها بما فيها من سهول مثل سهل البقاع، وذلك في سنة ٨٥ ق.م^(١)، وتخلص سكان دمشق بذلك من أسوأ مصير فيما لو سقطت في يد الأمير الإيتوري الذي يطمع في عرش سورية.

وهكذا ضيق الأنباط على مملكة يهوذا المتداعية من الشرق والجنوب، وأصبح من الطبيعي بعد ما ناله الحارث من انتصارات على اليهود والسلوقيين أن يدس أنفه في شؤون المكابيين في بيت المقدس، ولم يلبث أن اشتبك معهم في معركة حدثت عند موضع يعرف باسم Addida (الحديثة) على مقربة من اللد، وفيها تمزق جيش اليهود وانهزم هزيمة نكراء أرغمته على طلب الصلح بما يرتضيه الانباط من شروط^(٢).

وشهد الحارث الثالث استيلاء بومبي على دمشق في سنة ٦٤ ق.م، فكانت فترة تبعيتها له فترة قصيرة، وقد أحبه أهل دمشق ولقبوه بلقب محب الهلليين "Philhellene"^(٣). ونستنتج من أسلوب البناء في البتراء أن الحارث كان مغرما بالفن الهلنستي الشائع في سورية، وقد تابعة خلفاؤه في هذا السبيل. وعثر على عملات

(١) العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج ١، ٣٨.

(٢) عقاب، العلاقات بين الأنباط واليهود، ١٢٠.

(٣) علي، المفصل، ج ٣، ٢٦.

(٤) علي، المفصل، ج ٣، ٢٨؛ العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج ١، ٣٨؛ حتى، تاريخ سورية

ولبنان وفلسطين، ج ١، ٤٢٠.

نبطية نقش عليها اسم الحارث الثالث، وهى عملات متأثرة، بنظائرها التي ضربت بدمشق في أيام ديمتريوس الثالث.^(١)

وتولى مملكة الأنباط بعد الحارث ابنه الملك عبادة الثاني (٦٢-٤٧ ق.م)، وفي أيام عبادة هذا امتد نفوذ الرومان على الشرق، فاستولوا على آسيا الصغرى وسورية ومصر، وانتزع الرومان في الشام ما كان الحارث الثالث قد استولى عليه من قبل، والملاحظ أن سياسة الأنباط بعد الحارث الثالث كانت تهدف إلى المحافظة على استقلال مملكتهم وحمايتها من العواصف والأنواء التي أثارها الغزو الروماني لسورية، فارتبطوا منذ عهد عبادة الثاني مع الرومان برابطة الحلف والولاء، فاشتركوا في عهد مالك الأول Malichus (٤٧-٣٠ ق.م) بفرقة من الفرسان في حملة يوليوس قيصر على الاسكندرية في سنة ٤٧ ق.م^(٢) وفي عهد مالك الأول، تمكن الرومان، ويمثلهم أنطونيوس الذي عهدوا إليه بشؤون الشرق، من إسقاط الأسرة المكابية اليهودية في بيت المقدس، ووضعوا مكانها الأسرة الهيرودية المولوية لهم.

وفي عهد الملك النبطي عبادة الثالث (٣٠ ق.م-٩ ق.م) اشترك الأنباط في الحملة التي أرسلها أغسطس قيصر بقيادة اليوس جالوس لغزو بلاد اليمن، وتولى صالح Syllaues وزير عبادة مهمة إرشاد الجيش الروماني إلى الطرق التي يسلكها في بلاد العرب، ولكن الحملة انتهت بكوارث تعرض لها الجيش الروماني، وأخفق الرومان في الاستيلاء على اليمن. ويعزو استرابون هذا الفشل إلى خيانة سايلوس

١ (عقاب، العلاقات بين الأنباط واليهود، ٧٢-٧٣.

٢ (زيدان، العرب قبل الإسلام، ٨٨؛ حتى، تاريخ العرب، ٨٢؛ حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ١، ٤٢٠؛ العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج ١، ٣٩؛ النصرات، مملكة الأنباط، ٧٩.

(صالح) دليل الحملة، الذي سار بالجيش في أكثر مناطق العرب وعورة وأشدّها جفافاً حتى أن عدداً كبيراً من الرومان ماتوا عطشاً^(١).

وفي عهد مالك الثاني بن الحارث الرابع (٤٠-٧١م)، اشترك الأنباط بفرقة من الجيش عدتها ألف فارس وخمسة آلاف من المشاة، وفي سنة ٦٧، في الحملة التي سيرها الإمبراطور الروماني طيطس لمهاجمة بيت المقدس^(٢). وقد وصلت إلينا من عهده عملات فضية وبرنزية نقش عليها صورته وصورة شقيقه زوجته وأخته في آن واحد. ومن الملاحظ أن ملوك الأنباط بدأوا ينقشون صورهم وصور زوجاتهم منذ أيام عبادة الثالث، ومن الملاحظ أيضاً أن زوجات الأنباط كن شقيقاتهم على عادة الفراعنة والبطالمة.

وآخر ملوك الأنباط هو الملك مالك الثالث "رب إيل الثاني" (٧٠-١٠٦م)، وفي عهد قضي الإمبراطور الروماني تراجان على مملكة الانباط، ففي سنة ١٠٦م أنفذ تراجان حملة بقيادة كورنيليوس بالما نائب تراجان في سورية إلى البتراء، وعلى يدي تراجان سقطت مملكة الانباط، وأدجت هذه المملكة في الكورة العربية Provincia Arabia التي أسسها الرومان لتحمي سورية من هجمات البدو، وجعلوا عاصمتها مدينة بصرى التي ورثت البتراء اقتصادياً وسياسياً^(٣)، ومن خلال النقش اللاتيني

(١) حتى، تاريخ العرب، ٥٦؛ حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ٤٢٠؛ هاردنج، آثار الأردن، ١٢٣.

(٢) حتى، تاريخ سورية، ج ١، ٢٣.

(٣) كانت بصرى قديماً تجارية نبطية، فلما اتخذت هذه المدينة عاصمة للكورة العربية أصبحت مركزاً لشبكة من الطرق أقامها الرومان في حوران، فمن بصرى كان يمتد الطريق الجنوبي الذي يمر بعمان ويصل إلى خليج العقبة، ومنها أيضاً كان يبدأ طريق ثان يصل إلى اذرع، وطريق ثالث إلى دمشق، ورابع إلى صلخد فأعناك فقلعة الأزرق. انظر: (ديسو، العرب في سوريا قبل =

الذي وجد في دومة الجندل نستدل على أن الرومان بعد سيطرتهم على مملكة الأنباط مدوا نفوذهم إلى المراكز الحضارية في وادي السرحان.^(١)

ومع ذلك فقد واصلت البتراء ازدهارها فترة من الزمن بعد سقوط دولة الأنباط، وأصبحت في العصر الروماني مركزاً اقتصادياً هاماً. ولكنها أخذت تفقد مكانتها الاقتصادية تدريجياً وتتخلى عنها لتدمر. ثم انتشرت المسيحية في البتراء في القرن الثالث، وأصبحت البتراء مركزاً أسقفياً، وظلت مأهولة بالسكان حتى بداية العصر الإسلامي.

ومما لا شك فيه أن لغة الأنباط لهجة عربية شمالية، فكثير من الكلمات الواردة في النقوش النبطية المكتشفة عربية خالصة مثل قبر، بل إننا نلاحظ في بعض النقوش أن عبارات تكاد تكون عربية^(٢).

ومن حيث الديانة شارك الأنباط العرب في عبادة بعض الأصنام المعروفة في الحجاز في العصر الجاهلي مثل "ذي الشري"، المعروف عندهم "بذو شري" وهو الإله الرئيسي عندهم، ويعني أنه صاحب أرض بهذا الاسم لعلها الشراة، وهي منطقة جبلية حول البتراء. ويتمثل هذه الإله في صورة كتلة من الصخر أو عمود صخري، وذو شري هو إله الشمس. ومن آلهتهم اللات "الت" إلهة القمر وهي أم الآلهة، وقد تحولت إلى أثينا، ومنها أيضاً مناة "منوتن"، وهبل "هبلو"، و "شيخ القم"، أي حامي القوم وهو إله

= (الإسلام، ٨-٩)؛ الأنصاري وآخرون، العلا، ٧٣-٧٧، جيهان عبدالرحمن شاه، تأثير الاحتلال الروماني على الولاية العربية خلال الفترة من ١٠٦-٣٠٥م، (الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ١٢-١٣.

(١) <http://www.kapl.org.sa/details.as> 21/7/ 2016

(٢) G.A. Cooke. A text book of North semitic inscriptions، Oxford 1903)، 214.

دول شمال الجزيرة العربية

القوافل، ومنه العزى، ومعظمها آلهة ورد ذكرها في القرآن الكريم. وبعض هذه الآلهة انتقلت عبادته إلى مكة على يدي عمرو بن لحي الخزاعي بعد عودته من البلقاء^(١).

رابعاً: مملكة تدمر (٢٦٠-٢٧٣)

تقع آثار مدينة تدمر بالقرب من حمص وعلى مسافة تبعد نحو ١٥٠ كم إلى الشمال الشرقي من دمشق^(٢)، في منتصف الطريق تقريباً ما بين دمشق والفرات، ولذلك كانت تدمر مركزاً هاماً للقوافل التجارية التي تصل ما بين العراق والشام.



خريطة توضح موقع تدمر

(١) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ٧٩.

(٢) Enc. Britanica. (1964. Vol. 17), 161

وما زال أصل تسميتها بتدمير مجهولاً على الرغم من الأبحاث التي قام بها العلماء في هذا السبيل. واسم تدمير ورد لأول مرة في نقش يرجع إلى تاريخه أيام الملك تجلات بلاسر الأول على هذه الصورة "تدمير أمورو". وقد عرفت تدمير عند كتاب اليونان باسم بلميرا Palmyra، ولوحظ أن المقطع الثاني من بلميرا وهو "Myra" قريب من المقطع الثاني لكلمة تدمير "Mor" الأمر الذي دعا إلى التساؤل عما إذا كان هناك ثمة صلة بين التسميتين، وأن اليونانية أو اللاتينية حرفت اسم المدينة الأصلي من تدمير إلى Palmyra. ويعتقد بعض العلماء أن كلمة بلميرامشتقة من كلمة Palma اللاتينية بمعنى النخل، وأن تدمير سميت ببلميرة منذ أن تغلب عليها الإسكندر وذلك لكثرة ما كان يزرع فيها من أشجار النخيل^(١).

وقد ذكر بليوس مدينة تدمير، ووصفها بأنها مدينة شهيرة لها موقع ممتاز، ووصف أرضها بالخصب وكثرة الينابيع والعيون^(٢). والواقع أن موقع تدمير يدين شهرته إلى توافر مياهها الكبريتية، وخصوبة حداثتها، ثم إلى التباين بين الصحراء الكبرى العارية المترامية نحو الجنوب وبين سلسلة الجبال التي ترتكن عليها تدمير في الشمال^(٣).

وتاريخ تدمير السابق على التاريخ الميلادي غير معروف على وجه الدقة، فإن أقدم الكتابات التي عثر عليها في تدمير لا يتجاوز تاريخها سنة ٩ ق.م^(٤).

(١) علي، الفصل، ج ٣، ٧٢.

(٢) علي، الفصل، ج ٣، ٧٥.

(٣) Paul Collart, Selim Abdul Hak et Aramando Dillon, Rapport de la mission envoyée par l'Unesco à

Buhl. Art. Tadmur. ، (Paris 1954), P.24. Encyclopedie del l'Islam، la Syrie en 1953

Encyclop. Britanica, Vol. 17, 162. (٤)

وقد حافظ التدمريون على استقلال بلدهم إبان النزاع بين البارثيين والسلوقيين، ولكن الرومان طمعوا في الاستيلاء عليها منذ عام ٤١ ق.م. عندما حاول ماركوس أنطونيوس غزوها، فاضطر أهلها إلى الجلاء عنها حاملين معهم أموالهم وأمتعتهم. ولا ندري على وجه الدقة ما أسفرت عنه حملة أنطونيوس، وأغلب الظن أن تدمر اعترفت بسيادة رومة مع احتفاظها باستقلالها، ولكن من المرجح أنها دخلت في فلك الدولة الرومانية في أواخر القرن الأول الميلادي، إذ كانت من بين المدن التي أدخلها الامبراطور تراجان في الكورة العربية سنة ١٠٦ م. وفي سنة ١٣٠ م زارها الامبراطور هادريان ومنحها لقب Hadriana Palmyra، وأصبحت تسمى بهادريانا بلميرا أو هادريانوبولس Hadrianapolis، كما منح أهلها حقوق أهل رومة: مثل حق الملكية المطلق والحرية الكاملة في إدارة سياسة المدينة، وحق إعفاء تجارتهم من الضرائب^(١)، وكان للشروط التي وضعها هادريان عندما تنازل عن أشور العراق للبارثيين فاتحة عهد سلام طويل كان له أكبر الأثر في رخاء تدمر.

ومنحت تدمر في عهد هادريان، وقيل في عهد سبتيوس سفروس (١٩٣ - ٢١١ م)، وقيل في عهد كراكلا، درجة مستعمرة رومانية، بدأ التدمريون يتخذون منذ ذلك الحين أسماء رومانية تضاف إلى أسمائهم العربية أو الآرامية باعتبار أنهم أصبحوا من رعايا رومة مثل اسم سبتيوس الذي أضافته إحدى الأسرات التدمرية، واسم جوليوس أوريليوس^(٢). أما السلطة التنفيذية والإدارية التي تنحصر في مجلس الشيوخ والشعب فقد كان يتولاها رجال يحملون القاباً يونانية مثل Proedros، أي الرئيس، و Grammateus أي الكاتب، وأسماء وظائف مثل Archontes، Syndicus و Dekaproti،

(١) Encyclop. Britanica, Vol. 17, 162.

(٢) Cooke, Enc. Brit. Vol.17, 162 حتى، تاريخ سورية، ج ١، ٤٢٦.

وهي المجالس المحلية التي يتألف كل منها من عشرة أعضاء^(١). انتهز التدمريون فرصة اشتغال الدولة الرومانية بالغزوات الجرمانية التي كانت تهدد دولتهم في أوروبا الغربية وأخذوا يوسعون رقعة بلادهم، فأصبحت دولة تدمر تشمل عددًا من المدن الصغيرة التابعة لها مثل دورًا أوروبس، والرصافة التي كانت تسمى في الكتابات الآشورية باسم Rasappa والتي سميت بعد ذلك باسم سرجيوبولس نسبة للقديس سرجيوس الذي استشهد فيما يقرب من عام ٣٠٥م في عهد الامبراطور دقلديانوس^(٢)، ومع ذلك فقد ظل التدمريون أوفياء للرومان.

ولما قامت الدولة الساسانية في سنة ٢٢٦م على يد أردشير بن بابك، وتغلب أردشير على الملك البارثي ارتبانوس الخامس وعلى ملك أرمينيا، اشتبك مع الرومان واستولى على قلعتي حران ونصيبين، واستغلت إحدى أسرات تدمر العريقة النزاع بين الساسانيين والرومان، أحسن استغلال، وحظي رئيس هذه الأسرة سبتيوس أودوناتوس Odaenathus المعروف في المصادر العربية باسم أذينة بن السميدع، والذي نسبه وفقًا للطبري إلى هوبر العمليقي^(٣)، بمكانة كبيرة في المجتمع التدمري.

وأذينة هذه هو أذينة بن حيران بن وهب اللات، وكان أذينة هذا يطمع في أن يستقل بتدمر ويتلقب بلقب "ملك"، وقد نجح في خطته وأصبح ملكًا على تدمر في سنة ٢٥٠م، وفطن الرومان إلى ما ينتويه من نوايا توسعية بعد ذلك، فتآمروا على قتله، وتولى ابنه سبتيوس حيران رئاسة السناتو بعد مصرع أبيه^(٤)، ولما مات حيران خلفه

(١) Cooke, Enc. Brit. Vol.17, 162.

(٢) حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ١، ٤٣٦.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، المجلد ١، ج ٢، ٧٥٦.

(٤) أقيم له تمثال في سنة ٢٥١ نقش عليه اسمه ولقب فيه بلقب "رأس تدمر" أي زعيم تدمر =

أخوه أذينة الثاني في إدارة شؤون تدمر، وكان أذينة هذا فارسًا ممتازًا ومحاربًا جريئًا، وكان يحمل درجة قنصل في عهد الامبراطور فاليريانوس.

طالب أذينة الامبراطور بالانتقام لمقتل أبيه من قاتله روفينوس، فلم يستجب فاليريانوس لذلك المطلب، فغضب أذينة، وانتظر فرصة مواتية للثأر. وحدث في ذلك الوقت أن انتصر الفرس الساسانيون بقيادة ملكهم شابور الأول ابن أردشير (٢٤١-٢٧٢م) على الجيش الروماني بقيادة فاليريانوس، في موقعة دارت بالقرب من الرها، وقع فيها فاليريانوس أسيرًا في قبضة شابور^(١)، كما أسر الفرس سبعين ألفًا من الرومان في سنة ٢٦٠م، بسبب خيانة مكريانوس قائد الإمبراطور الروماني. واجتاح ملك الفرس بلاد آسيا الصغرى وشمال سورية، مخربًا ومدمرًا ومضرًا النيران في البلاد حق أنطاكية^(٢).

ولما بلغ أذينة نبأ انتصار شابور على الامبراطور أسره له، أرسل رسله إلى شابور يحملون إليه كتابًا يتودد فيه إليه ويظهر له رغبته في موادعته. ويظهر أن شابور استهان بأمر أذينة فأساء استقبال رسله إليه، وأمر بالقاء هدايا أذينة في النهر، وتوعد أذينة

= انظر: حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ١ ص ٤٣٦. وقد عثر على نقش كتابي لتمثال له نصه: (تمثال سبتميويس حيران صاحب السمو أذينة اقامته وليمة الدباغين وصناع القرب لسيدها عام ٥٦٩) والموافق ٢٥٧-٢٥٨م). Henri Seyrig, les fils du Roi Odainat, (dans les

Annales archeologiques de syrie, t. XIII, 159-172, 1963).

(١) أشار الدينوري إلى هذا الحادث بقوله: "فلما ملك سابور بن أردشير غزا أرض الروم، فافتتح مدينة قالوقه ومدينة قدوقية، وأثنخ في الروم. فكان سابور قد أسر إليه ملك الروم ناسًا من أرض الروم والأموال فبناها، فلما فرغ منها أطلقه" انظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٤٦.

(٢) Alios Musil. Palmyrena, (New York, 1928), P.247.

بالعقاب الشديد على جسارته في مخاطبته. وأثار ذلك التصرف ثائرة أذينة، فجمع فرسان تدمر بقيادة زبدا كبير قواده، وزبای رئیس القواسین ورماة السهام، وانضم إلى جيشه فلول جيش فالريانوس، وزحف على طيسفون، واصطدم مع جيش شابور في معركة عنيفة على ضفاف الفرات انتهت بهزيمة شابور هزيمة نكراء، وتبع أذينة فلول المنهزمين حتى أسوار عاصمتهم، ولكنه لم يستطع تخلص فالريانوس. وكافاً الامبراطور الجديد جالينيوس بن فالريانوس أذينة على هذا الانتصار الذي أحرزه على الفرس، فأنعم عليه بلقب قائد عام على جميع جيوش الشرق Dux Orientis في سنة ٢٦٢م^(١). وبدأ أذينة يسترجع أراضي الامبراطورية من الفرس، فهاجم شابور في طيسفون، ونجح في استرداد البلاد الشرقية. وكانت لهذه الانتصارات أثرها العميق في نفس الامبراطور، فكافأه على إخلاصه مرة ثانية في سنة ٢٦٤ بأن منحه لقب Imperator Totius Orientis أي "امبراطور على جميع بلاد المشرق"، ولك يكتف أذينة بما ناله من تكريم، فلقب نفسه أيضاً بلقب "ملك الملوك"، ومنحه مجلس الشيوخ الروماني لقب أغسطس، وهو لقب أباطرة الرومان^(٢).

لم ينس أذينة إهانة شابور له، فعزم على مواصلة الحرب ضد الفرس، فترك على تدمر نائباً عنه هو سبتيوس وورود^(٣)، ومضى مع ابنه سبتيوس هيرودس (من زوجه الأولى) لمحاربة الفرس، وحاصر أذينة وولده طيسفون فترة من الزمن، ولكنها

(١) Enc. Britanica, 163.

(٢) Buhl. Tadmur. Enc del Islam.

(٣) ورد اسمه في نقش كتابي على تمثال إقامة وورود حيران بن أذينة نصه: (تمثال سبتيوس حيران

صاحب السمو بن أذينة صاحب السمو القنصلي إقامة وورود عضو مجلس الشيوخ).

H. Seyrig, Les fils du Roi Odainat, 264.

اضطروا إلى العودة إلى الشام لمواجهة القوط الذين نزلوا بميناء هرقلية وزحفوا نحو قبادوقية. فلما علم القوط بعودة أذينة بادروا بركوب سفنهم من هرقلية، وقفلوا عائدين إلى بلادهم. وفي هذه اللحظات التي وصل فيها أذينة إلى ذروة مجده، ذهب ضحية الخيانة والغدر، إذ قتله معنيوس ابن أخيه حيران، وقتل معه هيرودس بن أذينة في سنة ٢٦٦-٢٦٧ م.

وكانت لأذينة من زوجته الثانية زنوبيا^(١) ثلاثة صبيان هم: وهب اللات الذي كان يعرف باسم اثينودورس Athenodorus، وحيران المعروف باسم هيرينيانوس وتيم اللات المعروف باسم تيمولاوس، فانتقل ملك تدمر بعد أذينة إلى ولده القاصر وهب اللات، فتولت زنوبيا الوصاية عليه. وشخصية زنوبيا من الشخصيات الهامة في تاريخ الشرق الأدنى القديم، فقد كانت تطمح في تكوين امبراطورية كبرى، وكانت شجاعة جريئة، ويذكر المسعودي أنها كانت رومية، وكانت تتكلم العربية وفقاً لبعض الروايات، وعربية من أهل بيت عاملة من العماليق الذين كانوا في سليح^(٢). وتبالغ الروايات العربية في الحديث عن الزباء.

فتزعم أن جنود الزباء من بقايا العماليق والعاربة الأولى وتزيد وسليح ابني حلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة، وإنما عندما استحكم لها الملك عزمت على

(١) اسمها بالآرامية بنت زباي أي ابنة العطية، وتسمى في المصادر العربية بالزباء بنت عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ٩٣. ويسمى الطبري نائلة، ويزعم أن لها أختاً يقال لها زبيبة. انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مجلد ١، ج ٢، ٧٥٧. ومن الواضح أن اسم الزباء مشتق من اسم أبيها زباي، فحذفت الياء وأبدلت بهمة، فأصبحت زباء.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ٩٣.

غزو خذيمة الأبرش، وهو جذيمة بن مالك بن فهم التنوخي، أول من ملك عرب الضاحية النازلين بين الحيرة والأنبار في بادية العراق، وكان قد قتل أباه عمرو بن ظرب، فأثنتها أختها عن قصده، وأقنعتها باصطناع الدهاء لاجتذابه إليها، فكتبت الزباء إلى جذيمة تدعوه إلى نفسها وملكها وأن يصل بلاده ببلادها، فلما بلغه ذلك طمع في ضم ملكها إلى ملكه، فأقبل إليها، فلما اجتمعت به قتلته، فانتقم عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة الأبرش منها، فسير إليها رجلاً يقال له قصير بن سعد اللخمي، فتحايل على قتلها، ونجح قصير في دخول تدمر بجنود الحيرة، فاضطرت الزباء إلى امتصاص خاتمها المسموم، فقتلت نفسها^(١) والقصة مليئة بعنصر الخرافة. وقد ورد اسم جذيمة في نص نبطي ويوناني عثر عليه في أم الجمال جاء فيه اسم جذيمة على أنه ملك تنوخ أي تنوخ^(٢). ولهذا النص أهمية خاصة إذ نستنتج منه وجود علاقة بين قبيلة تنوخ في الحيرة وبين عرب الشام، ولعل لهذه الحقيقة أثر كبير في الروايات العربية السابقة. ومن المعروف والثابت أن زينوبيا حملت أسيرة إلى رومة^٢، وأن الغزو الذي تعرض له بلادها كان غزوًا رومانيًا، فالروايات العربية لا تعدو أن تكون قصة خيالية اتخذ الأخباريون من الزباء وجذيمة وقصير أبطالاً لها.

ولقد أجمعت المصادر اليونانية واللاتينية والعربية التي تعرضت لذكر الزباء أو زينوبيا على أنها كانت على قدر كبير من الذكاء وسعة الحيلة، وأنها كانت قديرة على

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مجلد ١، ج ٢، ٧٥٧-٧٦٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ٩٣-٩٥.

(٢) علي، المفصل، ج ٣، ١٠٢.

(٣) خالد عبد البديع رضوان محمود، التنخيون في سوريا وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية، (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٣١-١٤٣٢هـ / ٢٠١٠م)، ٣٣٨-٣٣٩.

إدارة شؤون البلاد، وكان أذينة قد ترك لها ملكًا ممهدًا، وجيشًا قويًا على رأسه قائدان من أعظم قواد العصر هما "زبدا" قائد الخيالة الأكبر (رب حيله ربًا) وزبائي قائد خيالة تدمر (رب حيلًا دي تدمور)^(١).

وأشارت بعض الروايات إلى أن زنوبيا كانت تدعي انتسابها إلى مصر وقرابتها لقلبطة (كليوباترة) ملكة مصر، وأنها لذلك السبب كانت تجيد التخاطب باللغة المصرية، كما أنها صنفت كتابًا عن تاريخ مصر. وهناك من يزعم أنها أدومية من أصل يهودي، ولكن من المرجح أنها عربية، من سلالة العماليق وهم الطبقة الأولى من طبقات العرب (العرب البائدة)، وسبب اختلاف هذه الأقوال في أصلها يرجع فيما يظهر إلى تعدد اللغات التي كانت تجيد الحديث بها، فقد ذكروا أنها كانت تعرف الآرامية والإغريقية واللاتينية والمصرية^(٢). وذكر المسعودي أنها كانت رومية تتكلم العربية^(٣). ويفسر بعضهم ادعاءها بأنها من سلالة ملوك مصر، بأنها كانت بدوية بعيدة عن الحضارة والعمران، فأرادت أن تكتسب ود المصريين وأن تتقرب في نفس الوقت من الرومان، فيسهل عليها حينئذ تحقيق مشروعها الخطير الذي رسمته لنفسها وهو الاستيلاء على مصر^(٤). ونتقعد أن زينوبيا لم تكن تعلن تنصلها من أصلها العربي التدمري لمجرد أنها امرأة بدوية بعيدة عن مظاهر الحضارة والعمران أو لرغبتها في كسب ود المصريين، فقد كان عليها باعتبارها زوجة أذينة ملك الملوك، وامبراطور الشرق أن تعتز بانتسابها إلى عرب تدمر، والمسألة لا تعدو في نظرنا أن تكون مجرد

(١) علي، المفصل، ج ٣، ١٠٢.

(٢) علي، المفصل، ج ٣، ١٠٥.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ٩٣.

(٤) علي، المفصل، ج ٣، ١٠٣.

مظهر من مظاهر التنافس على الشهرة بينها وبين كليوباترا ملكة مصر التي طبقت شهرتها الآفاق، ولعلها كانت ترمي - بالإضافة إلى شعورها في أن تصبح في يوم من الأيام ملكة أكثر شهرة من كليوباترا - إلى الإيحاء بشرعية مسلكها الذي ستسلكه بضم مصر إلى دولتها، فتمهد المصريين نفسيًا التي ستخطوها وهي الاستيلاء على مصر، وتعبى نفوس المصريين لتقبل هذا العمل باعتبارها مصرية مثلهم ومثل كيلوباترا ملكتهم، وأنها تعمل على تخليص المصريين من السيطرة الرومانية، وهو أمر يعبر عن ذكائها الخارق وبعد نظرها. وقد اختارت زينوبيا وقتًا مناسبًا لهذه الأعمال الحربية عندما دب الضعف في كيان الإمبراطورية الرومانية بعد أن استنفذت قواها في حروب الساسانيين، ورأت زينوبيا أن الفرصة مواتية لها لتوسيع رقعة بلادها شمالًا وجنوبًا. ولم تكن رومة غافلة عن أهدافها التوسعية، ورأى الإمبراطور جالنيوس أن يبدأ بمهاجمتها في عقر دارها قبل أن تبدأ هي بالهجوم، فتظاهر بإرسال جيوشه لمحاربة الفرس، ووجهها إلى سورية لمهاجمة تدمر، فبلغ خبر ذلك إلى الزباء، فتصدت لهذا الجيش، وانتصرت عليه انتصارًا حاسمًا، وقتل هرقلينوس قائد الجيش الروماني في هذه الموقعة^(١).

وأخذت زينوبيا تتربح بعد ذلك رد فعل رومة، فلما بلغها مصرع جالنيوس سنة ٢٦٨م وانتقال عرش الإمبراطورية إلى أوريليوس كلوديوس، وارتباك الحالة في رومة بسبب غزوات الألمان والقوط ومهاجمتهم للقسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية، وخروج بروبوس حاكم مصر من قبل الرومان في أسطوله لمطاردة القراصنة، وسيرت جيشًا كثيفًا عدته سبعون ألف مقاتل إلى مصر.

(١) علي، المفصل، ج ٣، ١٠٥.

وقاتل الرومان قتالاً عنيفاً بقيادة بروبوس الذي كان قد عاد إلى مصر، ولكنهم انهزموا في النهاية، وآلت مصر إلى زنوبيا^(١) ويتضح مما سبق أن زنوبيا اتفقت مع رومة على بقاء جيوش تدمر في مصر نظير اعتراف تدمر بسيادة الرومان على مصر، فقد عثر على عملة تدمرية ضربت في الأسكندرية في سنة ٢٧٠، أي بعد اعتلاء الإمبراطور الروماني أورليانوس عرش الإمبراطورية، تحمل نقشاً نصه "Vir Consularis Romanorum imperator dux Romanorum" ونقشت صورة وجه وهب اللات إلى جانب صورة وجه أورليانوس^(٢) والجمع بين الصورتين يدل على أن وهب اللات أصبح يحكم مصر من قبل الإمبراطور الروماني.

وفي نفس الوقت تمكنت الزباء من بسط نفوذها على آسيا الصغرى، وأخذت تحصن حدودها مع الفرس، فأقامت مدينة على نهر الفرات عرفت باسم زنوبيا. والواضح أن سياسة الزباء التوسعية وما أشيع عن نيتها في أن تواصل فتوحاتها، وتحكم رومة نفسها^(٣)، وقد أقلق الإمبراطور أورليانوس، فعزم على وضع حد لذلك، وتأديبها. وأثار ذلك غضب الزباء، فأرادت أن تتحدى الإمبراطور- فأمرت بضرب عملات بالأسكندرية بدون نقش يمثل صورة وجه أورليانوس^(٤).

(١) Paul Bovier-Lapierre Preeis de l'hisorie d'Egypte, t.I. 1932), 399, Cooke, Enc. Brit, 163.

(٢) Cooke, Enc. Brit, 163

(٣) سليم عادل عبد الحق، "في الفن السوري قبل الإسلام"، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مجلد ١١، ١٢ (١٩٦٢م)، ٨.

(٤) Cooke. Enc Brit, 163.

كذلك أقام قائدهم زبدا وزباي تمثالا لأذينة المتوفى ولقبوه بملك الملوك. وقطعت تدمر بهذه التصرفات العدائية الجسر الذي كان يربطها برومة. وفي سنة ٢٧١م. وجهت إليها رومة أولى ضرباتها، وتمكن الجيش الروماني من إلحاق الهزيمة بجيش تدمر في مصر، وفي نفس الوقت كانت جيوش الرومان تحتاح آسيا الصغرى، وتدخل سورية^(١).

وحاولت جيوش تدمر بقيادة زبدا أن توقف تقدم الجيش الروماني في سورية، ولكنها أخفقت في أنطاكية وتراجعت إلى حمص. وفي حمص كانت الهزيمة الثانية التي منى بها جيش تدمر، وأصبح الطريق أمام الرومان إلى تدمر مفتوحاً. وحاصر أورليانوس مدينتي تدمر التي تركز فيها كل دفاع الزباء، وكانت الزباء تتوقع أن يقوم الفرس والأرمن بمساعدتها، ولكن الفرس كانوا في شغل شاغل عنها بسبب الاضطرابات التي أعقبت وفاة سابور الأول في عام ٢٧١م وعزل هرمز الذي تولى الملك من بعده بعد عام واحد من اعتلائه العرش. فلما رأت أنها عاجزة عن الدفاع، قررت أن تذهب بنفسها إلى ملك الفرس عله ينصرها بجيش يعينها على استرجاع بلادها، ودبرت خطة خروجها من تدمر بحيث لا يشعر به الرومان، ونجحت في الوصول إلى ضفاف الفرات عندما أحاط بها فرسان الرومان، فقبضوا عليها وهميهم بركوب زورق ينقلها إلى الضفة الشرقية من النهر^(٢).

(١) Cooke. Enc Brit, 163.

(٢) علي، المفصل، ج ٣، ١٢٠؛ ندى أبوالقاسم دراج، العلاقات السياسية بين روما ومملكة تدمر من القرن الأول قبل الميلاد إلى أواخر القرن الثالث الميلادي، رسالة ماجستير، (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م)، ٨٣-١٠٠.

Caussin de Perceval, Essai sur l'histoire des Arabes. (Paris. 1847), t. 2, 199.

وقت وقوع الزباء في قبضة الرومان في عضد المدافعين من أهل تدمر، ففتحوا أبواب مدينتهم للرومان في طليمة عام ٢٧٣م، ودخلها أورليانوس دخول الظافرين، فعفا عن أهلها باستثناء بعض خاصة الملكة الأسيرة وبعض القواد، فقتلهم^(١)، وأبقى على زنوبيا وابنها وهب اللات حتى يعود إلى رومة، ومضى أورليانوس إلى حمص ومعه الملكة الأسيرة وابنها وهب اللات في طريقه إلى رومة. وعندما وصل إلى تراقية وصلته أنباء بقيام أهل تدمر بالثورة على الحامية الرومانية، وتنصيبهم لأنطيوخوس ملكاً عليهم، وقيام أهل مصر بزعامة فيرموس بالثورة على الرومان^(٢). أسرع أورليانوس بالعودة إلى تدمر، وباغت الثوار فيها وتمكن من دخولها بدون مقاومة، وأباح أورليانوس لجنود تخريب المدينة وقتل سكانها، فدمرها جنوده، وهدموا أسوارها وقلاعها وسائر أبنيتها.

ولكنه أشفق بعد ذلك على من بقى حياً بها، فأصدر أمره إلى جنوده بالكف عن المذابح وأعمال التدمير، وأمر بترميم معبد الشمس والأسوار. ولكن المدينة فقدت عظمتها القديمة إلى الأبد، وأخذت تتوارى منذ ذلك الحين عن المسرح السياسي والحضاري، فلم تعد في عهد دقلديانوس سوى قرية صغيرة وحصناً أمامياً لسورية، وأقام بها دقلديانوس معسكراً للرومان في الحي الغربي، وذلك بعد أن عقد الصلح مع الفرس^(٣). وقد أجرت البعثة البولونية حفريات أثرية منذ عام ١٩٥٩ في موضع هذا المعسكر الروماني تحت إشراف كازيميرز ميخالوفسكي^(٤).

(١) Cooke, Enc. Brit, 163.

(٢) Paul Bovier Lapierre, op. cit, 400.

(٣) علي، الفصل، ج ٣، ١٢٦.

(٤) "الحفريات البولونية في تدمر"، مجلة الحوليات الأثرية السورية، المجلد العاشر، (١٩٦٠م).

وكانت المسيحية قد انتشرت في تدمر في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، وتعرض المسيحيون في عهد دقلديانوس لاضطهاد عنيف، وكان من بين أهل تدمر بعض الشهداء والشهيدات. ثم أصبح لتدمر أسقفية، ووصلت إلينا بعض أسماء أساقفتها في السنين الأولى من القرن الرابع الميلادي، منهم الأسقف مارينوس الذي حضر المجمع النيقاوي في سنة ٣٢٥، والأسقف يوحنا الذي ورد اسمه في سجلات أعمال مجمع خلقدونية سنة ٤٥١^(١).

وفي عصر الامبراطور جستنيان أصبحت تدمر على خط الحدود الداخلية للامبراطورية (Limes interior)^(٢)، وقد زارها الامبراطور في سنة ٥٢٧م، وزودها بجسر للمياه، وبنى لها سورًا، ما تزال بقاياها واضحة.

ثم افتتحت في خلافة أبي بكر، افتتحها خالد بن الوليد صلحًا وهو قادم من الحيرة إلى الشام^(٣). ويذكر البلاذري أن خالد "أتى تدمر فامتنع أهلها وتحصنوا، ثم طلبوا الأمان فأمنهم على أن يكونوا ذمة، وعلى أن قرروا المسلمين ورضخوا لهم"^(٤). وفي عهد مروان بن محمد ثار أهل تدمر وتحصنوا بأسوارها، وكان معظمهم من الكلبيين^(٥)، فقصدتها مروان بن محمد، وقتل أهلها، وهدم سورها^(٦).

(١) علي، المفصل، ج ٣، ١٢٧.

(٢) Musil, Palmyrena, 248- Enc. Brit, 163.

(٣) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، (لیدن: ١٨٨٥م)، ١١١.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ١٣٢.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، المجلد ٢، ١٧٩٦.

(٦) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٢، ١٧؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ١١٠.

وذكروا أنه وصل إلى بيت مخصص عليه قفل، ففتحه، "فإذا فيه سرير عليه امرأة مستلقية على ظهرها وعليها سبعون حلة، وإذا لها سبع غدائر مشدودة خلخالها وإذا في بعض غدائرها صحيفة ذهب فيها مكتوب: باسمك اللهم، أنا تدمر بنت حسان، أدخل الله الذل على من يدخل بيتي هذا. فأمر مروان بالجرف فأعيد كما كان، ولم يأخذ ما كان عليها من الحلى شيئاً"^(١)، فلم يملك مروان بعدها إلا أياماً حتى أقبل عبد الله بن علي، فقتل مروان، وفرق جيشه، وأزال الملك عنه وعن أهل بيته^(٢).
والقصة كما تبدو خيالية، لفقها الأخباريون تلفيقاً لتفسير كارثة سقوط الدولة الأموية على أيدي العباسيين. وهناك قصة مماثلة ترتبط بفتح العرب للأندلس وسقوط دولة القوط الغربيين^(٣).

وقد زار تدمر الرحالة والمتنقلون بين الشام والعراق في العصر الإسلامي، ومن هؤلاء أوس بن ثعلبة التميمي، الذي مر بها في عصر يزيد بن معاوية قادماً من البصرة، فشهد عدداً من التماثيل الرخامية، فأعجب بتمثالين لفتاتين قائمتين^(٤).

(١) الحموي، معجم البلدان، ١٧.

(٢) الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ١١٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ١٧.

(٣) طالع قصة بيت الحكمة في المراجع التالية: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج ٢ (بيروت: ١٩٥٠م)، ٤؛ أبو عبدالله محمد بن عبد المنعم الحميري، حشفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: ليفي بروفنسال، (القاهرة: ١٩٣٧م) ٦-٧؛ تقي الدين أحمد المقرئ، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: ١٩٤٩)، ج ١، ٢٣٥.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ١٨.

كذلك زارها الرحالة بنيامين التطيلي اليهودي فيما بين عامي ١١٦٠، ١١٧٣ م، فيقول: "وكذلك تدمر الواقعة في الصحراء، والتي بناها سليمان، فأبنيتها مقامة من أحجار غلاظ. ويحيط بمدينة تدمر سور في الصحراء بعيد جدًا عن أي منزل مأهول، وتبعد تدمر عن بعلبك بنحو أربعة أيام. ويعيش بتدمر نحو ألفين من اليهود، كلهم شجعان ومحاربين أشداء، ويقومون بالحرب في جانب العرب والنصارى التابعين للملك نور الدين، ويعملون على نصرة جيرانهم المسلمين، ومن رؤسائهم اسحق اليوناني، وناتان وأوزيل"^(١). وظلت تدمر مدينة مأهولة حتى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، فقد مر بها الرحالة ابن بطوطة في طريقه من بغداد إلى دمشق^(٢).

خامساً: ممالك الأطراف (الغساسنة والمناذرة)

أ- الغساسنة (٣٠٠-٦٢٨ م)

الغساسنة من أزد اليمن، نزحوا تحت قيادة زعيمهم عمرو بن عامر مزقياء من جنوب الجزيرة العربية إلى بادية الشام قبل أو بعد حادثة سيل العرم، وما سببه ذلك من تدهور نظم الزراعة وأعمال الري في اليمن، ويزعم نسابو العرب أن هؤلاء الأزد لم يرحلوا إلى الشام مباشرة، وإنما أقاموا حيناً من الوقت في تهامة بين بلاد الأشعرين وعك، على ماء يقال له غسان فنسبوا إليه، ويفسر المسعودي هذه النسبة بقوله: "وإنما غساء ماء شربوا منه، فسموا بذلك، وهو ما بين زبيد ورمع، وادي الأشعرين بأرض اليمن".

(١). (١). Viajes de Benjamin de Tudela, trad. Esanola por Ignacio Gonzalez, (Madrid. 1918), 81.

(٢) أبو عبدالله محمد اللواتي الطنجي ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، (بيروت: مطبعة صادر،

١٩٦٠ م)، ٦٥٠.

فالغساسنة ينتسبون إذن إلى آل عمرو المعروف بمزيقياء، وعمرو هذا هو ابن عامر ماء السماء بين حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن ابن الأزد بن الغوث^(١). ويفسر الأخباريون تسمية عمرو بمزيقياء تفسيرين مختلفين، يذكرهما حمزة الأصفهاني، أحدهما أن الأزد تزعم "أن عمراً إنما سمي مزيقياً لأنه كان يمزق كل يوم من سني ملكه حلتين لثلاً يلبسها غيره، فسمي هو مزيقياً، وسمي ولده المزاقية، فهذا قول. وقيل: إنما سمي مزيقياً، لأن الأزد تمزقت على عهده كل ممزق عند هربهم من سيل العرم، فاتخذت العرب افتراق الأزد عن أرض سبأ بسيل العرم مثلاً، فقالوا: ذهب بنو فلان أيادي سبأ"^(٢). ومن الواضح أن التفسير الأول تفسير خرافي، لعل المقصود به إظهار ثراء عمرو بن عامر وجاهه، ويرجح ثيودور نلدكه التفسير الثاني^(٣)، ويعتقد أن هذا التفسير مأخوذ أصلاً عن قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾^(٤).

ويسمى الغساسنة أيضاً بآل جفنة وبأولاد جفنة^(٥)، لأن أول ملوكهم "جفنة ابن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن ابن

(١) حمزة بن الحسن الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والانباء، (برلين، ١٣٤٠هـ)، ٧٧.

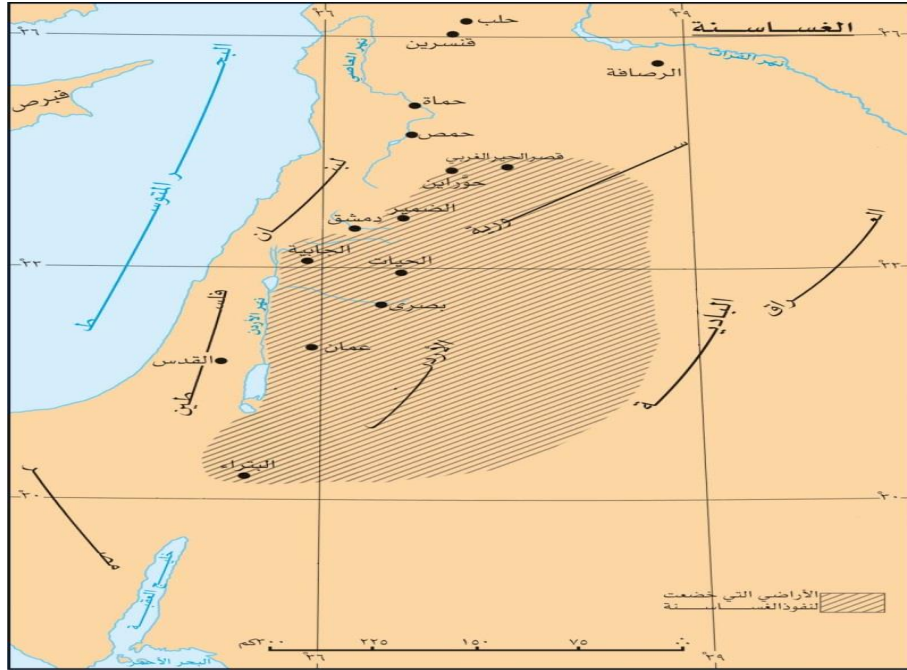
(٢) الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض، ٧٧.

(٣) ثيودور نولدكه، أمراء غسان، ترجمة: بندلي جوزي، قسطنطين زربق، (بيروت: د.ن، ١٩٣٣)، ١.

(٤) سورة سبأ ٣٤، آية ١٩.

(٥) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، (القاهرة: ١٣٢١هـ) ص ٨٠؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٢،

الأزد"^(١)، وإلى جفنة ينسب أحد أمراء الغساسنة، وهو الحارث الأول ابن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، الذي يسميه النابغة بالحارث الجفني.
كذلك يسمون بآل ثعلبة، نسبة إلى جد لهذه الأسرة يعرف بثعلبة بن مازن"^(٢).
وكان يسكن مشارف الشام قبل نزوح الأزد الغساسنة قوم يعرفون بالضجاعة من قبل بني سليح بن حلوان من قضاة"^(٣)، وقد غلبهم الغساسنة وحلوا محلهم.



(١) المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٨٦.

(٢) نولدكه، أمراء غسان، ٤.

(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ١٨٦.

ولم يكن دخول الغساسنة في الشام وتغلبهم على الضجاعة أمراً يسيراً تم بدون حرب، فحمزة يذكر أن غسان لما نزلت في جوار سليح بن حلوان، ضربت سليح عليهم الإتاوة، فلما طالب سبيط الضجعمي ثعلبة بن عمرو الغساني بالإتاوة، تحايل عليه حتى قتله أخوه جذع بن عمرو، فقامت الحرب بين سليح وغسان وانتهت بهزيمة سليح، وآل الملك إلى غسان^(١). غير أن تغلب الغساسنة على بني سليح الضجاعة لم يقض على هؤلاء نهائياً. ويشير نلدكة إلى أن الضجاعة ظلوا مقيمين في مواضع أخرى من الشام إلى زمن متأخر، ويستدل على ذلك من أن النابغة زار أحدهم في بصرى^(٢)، وأن جماعة من الضجاعم، حاربوا خالد بن الوليد في دومة الجندل^(٣)، وفي قصم^(٤).

وأول أمراء غسان وفقاً لأصفهاني هو جفنة بن عمرو مزيقياء، ويذكر حمزة أن جفنة هذا ملك في أيام نسطورس الذي ملكه على عرب الشام، فلما ملك جفنة قتل ملوك قضاة من سليح الذين يدعون الضجاعة ودانت له قضاة ومن بالشام من الروم، وبني جلق والقرية وعدة مصانع^(٥). وأورد اليعقوبي هذا الخبر مع تغيير بسيط هو أنه بدل نسطورس بنوشر^(٦)، والمقصود بنسطورس أو نوشر الإمبراطور الروماني

(١) الأصفهاني، سني ملوك الأرض، ٧٦؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٢، ٥٨٣.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، نشره: محمد جمال (بيروت: ١٩٢٩)، ١٨.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ٢٠٦٥.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ١٣٢.

(٥) الأصفهاني، سني ملوك الأرض، ٧٧.

(٦) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، كتاب البلدان، (نشره دي غوية مع الأعلام النفيسة لابن رسته،

(ليدن، ١٨٩٢م)، ج ١، ص ١٦٧.

أنسطاسيوس (٤٩١-١٥٨ م)^(١). ولكن المسعودي وابن قتيبة يخالفان حمزة واليعقوبي في اسم أول من ملك من الغساسنة، فيذكران أن أول من تولى ملك الغساسنة هو الحارث بن عمرو بن عامر^(٢).

ويذكر الأصفهاني أنه تولى بعد جفنة، ابنه عمرو بن جفنة الذي أقام عددا من الأديرة، منها دير حالي، ودير أيوب، ودير هند، ثم تولى بعد عمرو ابنه ثعلبة الذي ينسب إليه بناء عقّة وصرح الغدير في أطراف حوران مما يلي البلقاء، وخلفه ابنه الحارث المعروف بالحارث الجفني^(٣).

وإذا كان أول من ملك من أمراء غسان موضع خلاف عند الأخباريين فإن أول من نثق في صحة إمارته منهم هو جبلة بن الحارث بن ثعلبة الذي ذكره ثيوفانيس، تحت اسم جيلس، وذكر أنه غزا فلسطين فيما يقرب من ٥٠٠ م^(٤)، وقد نسب إليه حمزة بناء القناطر وأدرج والقسطل^(٥).

وأول أمراء الغساسنة العظام الحارث بن جبلة بن الحارث الجفني (٥٢٩-٥٦٩ م) الذي ذكره المؤرخ السرياني ايونيس ملالاس على أنه كان عاملاً للروم^(٦).

(١) نلدكة، أمراء غسان ، ٨.

(٢) أبو محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة، كتاب المعارف (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١١ م)،

ص ٢١٦؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ١٠٧.

(٣) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٧٧.

(٤) نولدكة، أمراء غسان ، ٩.

(٥) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٧٧.

(٦) نولدكة، أمراء غسان، ٩.

وتكاد المصادر العربية تجمع على أنه ابن امرأة تسمى مارية ذات القرطين بنت عمرو بن جفنة^(١) أو بنت أرقم بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو^(٢)، أو بنت ظالم ابن وهب بن معاوية بن ثور وهو كندة^(٣) أو بنت الهاني من بني جفنة^(٤).

وذكر ملالاس أن الحارث بن جبلة حارب المنذر Almundarus أمير عرب الفرس، والمقصود به المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، وانتصر عليه في أبريل سنة ٥٢٨م، وجاء في معرض حديثه هذا ذكر أميرين هما جنوفاس (جفنة) ونعمان، من أسرة الحارث بن جبلة^(٥). كان الحارث بن جبلة معاصراً للإمبراطور جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥م)، كما كان معاصراً لملكين من ملوك الفرس هما كسرى قباد (٤٤٨ - ٥٣١م) وكسرى انوشروان (٥٣١ - ٥٧٩م). وذكر بروكوبيوس أن جستنيان منح الحارث لقب ملك، وبسط سلطته على قبائل عربية متعددة، وكان جستنيان يهدف من وراء ذلك أن يجعل من الحارث خصماً قوياً في وجه المنذر ملك عرب الفرس، وذكر بروكوبيوس أن هذا اللقب لم يمنحه الروم لأحد من عمال العرب في سورية من قبل. وعلى الرغم من أن بروكوبيوس لم يحدد السنة التي رقي فيها الحارث إلى هذه الرتبة، فإن نلدكة يستنتج من سياق النص أن ذلك تم في سنة ٥٢٩م. ويشك نلدكة أيضاً في أن الحارث قد منح لقب ملك باعتبار أن هذا اللقب كان قاصراً على القيصر وحده، ويعتقد أن ما لقب به الحارث وغيره من آل جفنة لا يعدو لقب البطريق "Patricius"

(١) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٧٨؛ ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٢١٦.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ١٠٧.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ١٠٧.

(٤) ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٢، ٥٨٥.

(٥) نولدكة، أمراء غسان، ١٠؛ علي، الفصل، ج ٤، ١٢٨.

أو لقب شيخ القبيلة "فيلاركوس" Phylarch أو Phylarcos، استناداً إلى اللقب الكامل الوارد في نقش يرجع إلى ابن الحارث وخليفته ونصه: (فلابيوس المنذر البطريق الفائق المديح ورئيس القبيلة)، وعلى اللقب الرسمي الذي أطلقه المؤرخ ثيوفانيس على الحارث على النحو التالي (الحارث البطريق ورئيس القبيلة)، وعلى اللقب الرسمي للحارث الذي ورد في قرارات المجامع الكنسية وحفظته لنا الترجمة السريانية، ونصه (البطريق الفائق المديح الحارث)، وما ذكره يوحنا الإفسي ونصه (المنذر البطريق الأمجد)^(١). ولقب البطريق كان من أسمى الألقاب عند الروم حتى إن ملوك البرابرة المستقلين كانوا يغتبطون بالحصول عليه، ذلك لأن طبقة البطارقة كانت تعد عند البيزنطيين أعلى الطبقات الاجتماعية على الإطلاق، وكانت رتبهم أرقى من رتبة القناصل^(٢). أما لقب فلافيوس الذي تلقب به المنذر بن الحارث فكان من الألقاب التي ينعم بها أحياناً قياصرة الروم على بعض رعيّتهم، وقد دعي به أيضاً الإمبراطور جستنيان ومن سبقه من الأباطرة.

ويبدو أن الحارث بن جبلة الغساني قام بغزو بلاد المنذر بن النعمان ملك الحيرة، وأنه هزم جيش ابن النعمان وغنم غنائم كثيرة، وقد أدى ذلك إلى قيام الفرس بغزو شمال سورية واستولوا على مدن كثيرة مثل الرها ومنبج وقنسرين وأنطاكية.

و الواضح أن النزاع بين الغساسنة والمناذرة كان سببه الأراضي التي أطلق عليها الروم اسم Strata، وهي البادية الواقعة جنوبي تدمر على حد قول بروكوبيوس، ولكن نلذكة يرى أنها الأراضي الممتدة على جانبي الطريق الحربية من دمشق إلى ما بعد تدمر حتى مدينة سرجيوس، فقد ادعى كل منهما أن قبائل العرب الضاربة في هذه

(١) نولدكة، أمراء غسان، ١٢-١٤.

(٢) نولدكة، أمراء غسان، ١٤.

الأراضي تخضع لسلطانه، وأنها تدفع له الجزية، وعلى هذا النحو قامت الحرب بينهما^(١).

وفي سنة ٥٤١م اشترك الحارث في الحملة البيزنطية الموجهة لمحاربة الفرس تحت قيادة بليزاريوس، ولم يكد الحارث يعبر نهر دجلة حتى ارتد إلى مواقعه السابقة عن طريق أخرى غير الطريق التي سلكها معظم الجيش، وقد أثار تصرفه هذا الشك في إخلاصه الروم^(٢). ويبدو أن الحارث أنف من الاشتراك في حملة يقودها قائد بيزنطي، وأنه كان يعمل على الانفراد بالقيادة، ولعله انسحب لمجرد حدوث خلاف بينه وبين قائد الحملة. والأرجح أن انسحابه يرجع إلى أنفته من أن يكون تابعا لبليزاريوس، بدليل أنه لم يكد يمضي على حملة بليزاريوس ثلاث سنوات حتى اشتبك الحارث في قتال عنيف مع المنذر بن النعمان المعروف بابن ماء السماء^(٣) في سنة ٥٤٤م، وانتهى القتال بهزيمة الحارث بن جبلة، ووقع أحد أبنائه أسيراً في يد المنذر، فقدمه ضحية للآلهة العزي^(٤). ولم يسكت الحارث على تلك الهزيمة، فجمع جموعه واشتبك من جديد مع المنذر في موقعة انتهت هذه المرة بهزيمة المنذر، وفراره من المعركة تاركاً ولدين من أولاده أسيرين في أيدي الغساسنة^(٥).

(١) نولدكة، أمراء غسان، ١٨؛ علي، الفصل، ج ٤، ١٢٠.

(٢) نولدكة، أمراء غسان، ١٩.

(٣) ماء السماء اسم أمه ماوية بنت عوف بن جثم، وقد سميت بهاء السماء لجمالها وحسنها، انظر:

حمزة الأصفهاني، سني ملوك الأرض ٧٠؛ ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٢١٨.

(٤) نولدكة، أمراء غسان، ١٨؛ علي، الفصل، ج ٤، ٥٩.

(٥) علي، الفصل، ٦٠.

واستمر التوتر بين المعسكرين الغساني واللمحي على أشده حتى بعد أن عقدت الهدنة بين الروم والفرس في سنة ٥٤٦ م، ولم ينته هذا الصراع بينهما إلا بعد أن قتل المنذر ملك الحيرة نفسه في موقعة دارت بينه وبين خصمه الحارث بالقرب من قنسر في سنة ٥٥٤ م، وفيها سقط أحد أبناء الحارث ويدعى جبلة قتيلا، فدفنه أبوه في قلعة عين عوداجة بالقرب من قنسرين^(١)، وكانت تابعة لإقليم تدمر، ولعلها الموضع المعروف بعذبة في الوقت الحاضر، القريب من الطريق الروماني على رأي موسل^(٢). وذكر نلدكة أن هذه الموقعة حدثت بالقرب من الحيار، "لأن هناك رواية عربية تدين موقع المعركة التي قتل فيها المنذر في هذا المكان نفسه الذي يقع على وجه التقريب في منطقة قنسرين^(٣)، ولا يفرق نلدكة بين الموضع المسمى بالحيار وبين "ذات الحيار" التي يذكرها ابن الأثير^(٤) ويوم الحيارين الذي ذكره الحارث بن حازة في معلقته، ويعتقد أن ذات الحيار ويوم حليلة موقعة واحدة هي نفس الموقعة التي قتل فيها المنذر بن النعمان ملك الحيرة^(٥)، ويستبعد أن تكون هذه الموقعة هي نفس موقعة عين أباغ، التي وقعت قرب الحيرة^(٦).

(١) Note 1.، Musil, Palmyrena, 144

(٢) Note 1.، Musil, Palmyrena, 144

(٣) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٢١٨.

(٤) علي بن أحمد بن أبي الكرم ابن الأثير، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥ م)، ج ١، ٣٢٦.

(٥) نولدكة، أمراء غسان، ٢٠.

(٦) ديوان النابغة، ٣٧.

ويؤكد نلدكة أن حليلة اسم مكان لا اسم امرأة كما يزعم الأخباريون، إذ يعللون تسمية الموقعة بذلك بأن حليلة بنت الحارث كانت تطيب عسكر أبيها، وتلبسهم الأكفان والدروع^(١)، وقيل أنه سمي بذلك الاسم نسبة إلى مرج حليلة المنسوب إلى حليلة بنت الملك الحارث^(٢).

واعتقد أن نلدكة يتفق في رأيه مع ما ذكره ابن قتيبة الذي يجعل موقعة الحيار هي الموقعة التي قتل فيها المنذر بن النعمان، وموقعة عين أباغ هي الموقعة التي قتل فيها ابن المنذر ملك الحيرة من بعده^(٣)، كذلك أشار ابن قتيبة عند تعرضه للملوك الشام إلى أن المنذر ملك الحيرة لقي مصرعه في يوم حليلة^(٤) أي أنه يجعل موقعة الحيار ويوم حليلة موقعة واحدة.

ورأى الحارث أن يرحل إلى القسطنطينية ليفاض الحكومة البيزنطية فيمن يخلفه من أولاده في ولايته وما يمكن اتخاذه من خطط عسكرية لمواجهة عمرو بن المنذر (٥٤٤ - ٥٦٨ م)، فرحل إليها في سنة ٥٦٣ م، وبهرته مظاهر الحضارة في عاصمة البيزنطيين. ويبدو أنه لم يقابل هناك بما يجب أن يقابل به الأبطال المنتصرون من مظاهر الحفاوة والتكريم، فقد كان الحارث مسيحياً على المذهب المونوفيزيتي أي مذهب الطبيعة الواحدة، وكان يتولى الدفاع عن المونوفيزيين لتحريرهم من اضطهاد البيزنطيين لهم، ويقال إنه سعى لدى الإمبراطورة تيودورة في سنة ٥٤٢ - ٥٤٣ لتعيين يعقوب البرادعي - مؤسس الكنسية السورية اليعقوبية - ورفيقه ثيودوروس أسقفين

(١) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٢١٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٣٢٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٣٢٧ - ٣٢٩.

(٣) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٢١٨.

(٤) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٢١٦.

في المقاطعات العربية في سورية^(١)، ونشر بذلك المذهب المونوفيزيتي في بلاده. وظل الحارث طوال سني حكمه حاميا للكنسية المونوفيزية، ونجح في تحويل عرب الشام إلى منتصرة على المونوفيزية. وقد نهج ابنه المنذر من بعده هذه السياسية. وعلى الرغم من أن الغساسنة كانوا يحكمون في الجابية من أرض الجولان، فقد تمكنوا من التأثير على جميع القبائل العربية في الكورة الرومانية وفي فلسطين بل وعلى عرب سورية الشمالية^(٢). ويبدو أن انتصار الحارث للكنيسة اليعقوبية كان سببا في نظرة الشك التي كان ينظر إليه بها الإمبراطور البيزنطي، واستغل بطارقة القسطنطينية هذه الفرصة لإثارة المشاعر هناك حول أمير مونوفيزيتي^(٣).

وتوفي الحارث بن جبلة الذي يقال له أيضا الحارث بن أبي شمر في آخر سنة ٥٦٩م أو أول عام ٥٧٠م بعد أن قضى في إمارته أطول مدة في عهود أمراء الغساسنة، وهي أربعون عاماً. ويشغل الحارث مكانة عظيمة في نفوس العرب إلى حد أن كتساب العرب القدماء كانوا يطلقون على كل أمير غساني حقيقي أو من خيالهم لا يعرفون اسمه، اسم الحارث بن أبي شمر^(٤).

بعد وفاة الحارث بن جبلة انتقلت الإمارة إلى ابنة المنذر المعروف في المصادر اليونانية واللاتينية والسريانية باسم Alamundaros، ويذكر حمزة الأصفهاني أنه كان

(١) نولدكه، أمراء غسان، ٢٠-٢١.

Richard Bell, The origin of Islam, in its christian environment. London, 1926, 21.

Richard bell, The origin of Islam, 23. (٢)

Richard bell, The origin of Islam, 23. (٣)

(٤) نولدكه، أمراء غسان، ٢٣.

يلقب بالمنذر الأكبر تمييزاً له عن أخيه المنذر الأصغر^(١). والمنذر الأكبر هذا هو بطل موقعة عين باغ التي أشار بعض الأخباريين خطأ إلى أنها حدثت في سورية^(٢)، والواقع أن أباغ حدثت في موضع بعيد عن سورية، فقد ذكر ياقوت أن عين أباغ "ليست بعين ماء وإنما راد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام"^(٣)، وذكر ابن الأثير أن أمير الغساسنة (يذكر أنه الحارث ابن أبي شمر) أرسل جيشاً إلى الحيرة فانتهبها وأحرقها، وأن اللقاء تم في عين أباغ^(٤) مما يدل على أن عين أباغ حدثت بعيداً عن سورية، وفي موضع قريب من الحيرة. وفي هذه الموقعة - التي حدثت في سنة ٥٧٠م في أوائل إمارة المنذر - انهزم جيش للخميين هزيمة نكراء، وذكر بعض المؤرخين العرب أن ملك الحيرة قتل في هذه الواقعة^(٥)، ولكن ابن الأثير يعتقد أن الذي قتل من اللخميين هو المنذر بن ماء السماء في موقعة مرج حليلة، وأما عمرو بن المنذر فإنه لم يقتل^(٦) وعلى هذا نستبعد الرأي القائل بأن عمرو بن المنذر قتل في عين أباغ، والمعروف أن عمرو بن المنذر الذي يسمى أيضاً بعمرو بن هند نسبة إلى أمه هند بنت عمرو بن حجر الكندي^(٧) قتل على يدي عمرو بن كلثوم التغلبي^(٨)، وقد يكون مصيره التعس عاملاً

(١) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٧٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٣٢٦.

(٣) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤، ١٧٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٣٢٦ - ٣٢٨.

(٥) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٢١٨.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٣٣٠.

(٧) يعرف أيضاً باسم مضط الحجارة، تعباً عن قوته وشدة بأنه وقوة سياسته. انظر: ابن الأثير،

الكامل في التاريخ، ج ١، ٣٣٠.

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٣٣١.

على الخلط بين هزيمته في عين أباغ ومقتل أبيه في يوم ذات الحيار. والواضح أن الإمبراطور البيزنطي جستين الثاني (٥٦٥ - ٥٧٨ م) لم يكن راضيا عن المنذر بن الحارث، وأن العلاقة ساءت بينهما حتى انتهت إلى جفوة، والسبب في ذلك يرجع إلى تعصب المنذر الشديد للمذهب المونوفيزيتي. ويبدو أن العلاقة بينه وبين الإمبراطور تدهورت إلى حد أن جستين أو عز إلى البطريق مرقيانوس بأن يتحايل على قتل المنذر، ولم يكن المنذر غافلا عما يدبر له في بلاط الإمبراطور، ففر إلى البادية، وشق عصا الطاعة على الإمبراطور مدة ثلاثة سنوات. فانتهاز اللخميون هذه الفرصة وأغاروا على سورية وأفسدوا فيها، فاضطر الروم إلى استرضاء المنذر بن الحارث^(١). وتم الاتفاق أخيرا وبعد مفاوضات طويلة بين المنذر والبطريق جستينان مبعوث القسطنطينية، في بلدة الرصافة، عند ضريح القديس سرجيوس، وعقد الصلح بينهما في أواخر أيام الإمبراطور جستين^(٢).

وقد قام المنذر بزيارة الإمبراطور الجديد طيباربوس الثاني (٥٧٨ - ٥٨٢ م) في القسطنطينية في ٨ مارس سنة ٥٨٠ م، ورافقه ابنان له في هذه الرحلة، وقد استقبل في عاصمة البيزنطيين استقبالا حافلا، وأنعم عليه الإمبراطور بالتاج بدلا من الإكليل^(٣). غير أن العلاقات بين المنذر وموريق، قومس الشرق، الذي سيصبح إمبراطورا بعد ذلك، والمنذر لم تلبث أن ساءت من جديد، فعندما عزم موريق على غزو إحدى ولايات فارس في سنة ٥٨٠ م بالاشتراك مع المنذر، وجد الجسر الكبير على نهر الفرات مهدما، فأضطر إلى العودة خائبا، فأعتبر موريق أن في الأمر تواطئا بين المنذر وبين

(١) نولدكة، أمراء غسان، ٢٥.

(٢) نولدكة، أمراء غسان، ٢٦.

(٣) علي، المفصل، ج ٤، ١٢٦؛ حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ١، ٤٤٩.

الفرس، وعزا هدم الجسر إلى خيانة من جانب المنذر، وأبلغ موريق الإمبراطور طياريوس بهذه الخيانة. ولكن المنذر- إثباتا لبراءته من هذه التهمة الملفقة- خرج وحده على رأس جيش كبير من العرب، وأغار على بلاد اللخمين، وأحرق الحيرة، وعاد من غزوته بغنائم كثيرة. ولعل هذه الغزوة كانت سبباً في أن يطلق عليه مؤرخو العرب لقب المحرق، وأن كانوا قد أطلقوه خطأ على حفنة الأصغر ابنه^(١)، وبه سمي خلفاؤه بآل المحرق.

ولكن الروم اعتبروا هذا النجاح الذي أصابه المنذر تحدياً سافراً لجيشهم، فعزموا على الانتقام منه، فصدرت الأوامر إلى ماجنوس حاكم سورية الروماني بالقبض عليه، على الرغم من أن هذا الحاكم كان صديقاً للمنذر ووليه. ولم يجد ماجنوس بدا من تنفيذ الأمر، فأرسل إلى المنذر يدعوه إلى حضور حفل افتتاح كنيسة شيدتها في بلدة حوارين (بين تدمر ودمشق)، فانخدع المنذر بهذه الدعوة، ووقع في الكمين، وتم القبض عليه وإرساله إلى القسطنطينية مع ابنين له وإحدى نسائه^(٢). ولم يلبث طياريوس أن توفي وخلفه موريق (٥٨٢ - ٦٠٢ م)، عدو المنذر اللدود، فأمر بنفي المنذر إلى جزيرة صقلية، كما أمر بقطع المعونة السنوية التي كانت تقدمها الدولة البيزنطية لأسرة الغساسنة. وقد أثار هذا التصرف غضب الغساسنة، فقام أولاد المنذر بالخروج على دولة الروم، فتركوا ديارهم وتحصنوا في البادية، واتخذوها مركزاً لشن الغارات على حدود سورية، فينهبون ويخربون، وتعرضت بصري لغاراتهم. ولم يسمع موريق إلا أن بعد حملة لتأديب أبناء المنذر، جعل على قيادتها الحاكم ماجنوس، وسير

(١) الأصفهاني، سني ملوك الأرض، ٧٨؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٢، ٥٨٦.

(٢) نولدكة، أمراء غسان، ٢١؛ علي، المفصل، ١٣٨.

معه إبننا آخر للمنذر ليخلفه على إمارة الغساسنة^(١). ولكن هذا الأمير الغساني توفي بعد أيام، وفشلت الحملة على الرغم من أن ماجنوس تمكن بطريق الخدعة والدهاء من القبض على النعمان أكبر أبناء المنذر، وأرسله أسيراً إلى القسطنطينية في سنة ٥٨٣^(٢). ويذكر نلدكة نقلاً عن يوحنا الإفي أن عرب غسان بعد القبض على النعمان تفرقوا وانقسموا إلى (١٥) فرقة لكل منها رئيس، فدخلت بعض هذه الفرق في سلطان الفرس، ورحل بعضها إلى بلاد الروم، والبعض الآخر إلى قياذق بلاد الروم في ثلاثين ألفاً. فلما بلغ ذلك عمر ندم. وعاتبه عبادة بن الصامت فقال: لو قبلت منه الصدقة ثم تألفته لأسلم^(٣). وذكر ابن قتيبة أنه أسلم في خلافة عمر بن الخطاب ثم تنصر بعد ذلك، وأن سبب تنصره "أنه مر في سوق دمشق فأوطأ رجلاً فرسه، فوثب الرجل فلطمه، فأخذه الغسانيون فأدخلوه على أبي عبيدة بن الجراح، فقالوا: هذا لطم سيدنا، فقال أبو عبيدة بن الجراح: البيئة أن هذا لطمك. قال: وما تصنع بالبيئة، قال: إن كان لطمك لطمته بلطمتك. قال: ولا يقتل: قال لا. قال: تقطع يده، قال: لا إنما أمر الله بالقصاص، فهي لكمة بلطمة. فخرج جبلة ولحق بأرض الروم وتنصر ولم يزل هناك إلى أن هلك^(٤).

(١) نولدكة، أمراء غسان، ٣٣.

(٢) نولدكة، أمراء غسان، ٣٣.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ١٦١.

(٤) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٢١٧.

ب- المناذرة (٣٠٠-٦٢٨م)

كانت بداية العراق مفتوحة دائماً لهجرات العرب المقيمين بأطراف شبه الجزيرة العربية أو الوافدين من بلاد العرب الجنوبية، وكانت هذه الهجرات تزداد بصفة خاصة في الأوقات التي تضعف فيها الحكومات في العراق. وعلى هذا النحو أصبحت المنطقة المجاورة للفرات الجنوبي هدفاً لهجرة عربية في عصر الطوائف، وهي فترة الانتقال بين سقوط الدولة البارثية وقيام الدولة الساسانية، وينسب الأخباريون هذه الهجرة إلى قبائل تنوخ، وهي من القبائل العربية الجنوبية التي رحلت من اليمن على أثر تصدع سد مأرب وقبل أو بعد سيل العرم، وقد نزلت بادئ ذي بدء في البحرين، واستقرت هناك وتنوخت، وتحالفت فيما بينها، وأخذت هذه القبائل تتطلع إلى الاستقرار في مشارق العراق، وتنتظر فرصة مواتية لتحقيق هذا الغرض، فانتهزت فرصة الحرب الأهلية في بلاد الفرس في أواخر عصر الدولة البارثية، وتطاحن الملوك فيما بينهم، وهاجرت إلى منطقة الحيرة والأنبار، وقد أورد الأخباريون تفاصيل الهجرة التنوخية في روايات أشبه بالقصص التي تختلط فيها الحقيقة بالخيال والوهم، ولا تخلو هذه الروايات - على ما هي عليه من طابع خرافي - من تفاصيل مضطربة ومتناقضة، ومعظم هذه الروايات منقولة من روايات ابن الكلبي^(١) الذي يناقض نفسه في معظم ما رواه.

(١) من المعروف أن أبا المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ألف كتابين عن الحيرة، أحدهما بعنوان "كتاب الحيرة"، والثاني بعنوان "كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين". انظر: فرانز روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ٢٩٠، محمود، التنخيون في سوريا، ٣٣٠-٣٣٢.

تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم



خريطة للمدن العربية زمن المازدة

ومن المعروف أن تنوخ اسم قبيلة عربية يمنية ورد ذكرها في جغرافية بطليموس تحت اسم Tanucitac^(١)، وكانت منازلهم في جنوب جبال Zametes وهي السلسلة البلية الممتدة حسب رأي لاسر من اليمامة إلى السراة، وحسب رأي سبرنجر هي نفس الجبال شمر^(٢)، ولكن الأخباريين يرجعون منازلهم إلى تهامة. ومدينة الأنبار التي هاجر إليها عرب تنوخ قديمة البنيان، وقد تبين من دراسة آثارها أنها من المواقع السابقة على عصر الدولة الساسانية. وقد ازدهرت هذه المدينة وعمرت في عصر شابور الثاني (٣١٠ - ٣٧٩م)، الذي حصنها بالقلاع والأسوار لكي تسهم في مقاومة غارات الروم على بلاده. وحفر إلى الجنوب منها نهراً يصل

(١) محمود، التنوخيون في سوريا، ٣٣٢.

(٢) علي، المفصل، ج٣، ٣٦٩.

الفرات بدجلة كان يعرف باسم Naarsares أي نهر عيسى. واكتسب الأنبار بفضل هذا النهر أهمية عظيمة، إذ أصبحت مركزاً تجارياً هاماً ومخزناً للأموال، واسم الأنبار القديم Ham-bar بمعنى المخزن، يعبر عن هذه الشهرة التجارية التي أصابتها^(١). وقد تعرف الأخباريون العرب على هذا المعنى ففسروها به، فالطبري يذكر أنه "إنما سميت الأنبار أنبار لأنها كانت تكون فيها أنابير الطعام وكانت تسمى الأهراء، لأن كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها"^(٢).

ويذكر جواد علي أن إسم الأنبار لم يرد بين المدن والمواقع التي أوردتها إيزيدور الكركسي الذي طاف في إمبراطورية البارثيين في العام الأول للميلاد، ولذلك يرى بعض الباحثين أن الأنبار لم تنشأ إلا بعد أيام إيزيدور، ومن المحتمل أن تكون أسست في القرن الأول الميلادي لخصن المواد والأقوات لتزويد الحاميات بما تحتاج إليه، ثم اتسعت مرافقها وعمرت في العصر الساساني حتى أصبحت المدينة الثانية في إقليم بابل بعد طيسفون^(٣). وعلى هذا الأساس يمكننا أن نعتبر بناءها متفقاً في الزمن مع عصر البارثيين.

أما الحيرة فهي مدينة قديمة البنيان أيضاً، وتاريخ إنشائها مجهول، فلم نتوصل بعد إلى العثور على أي نص تاريخي مدون يتضمن ما يشير إلى هذا التاريخ، وأقدم كتابة تتضمن اسم الحيرة "حيرتا" نص يرجع إلى شهر أيلول من سنة ٤٤٣ من التاريخ السلوقي، الموافق لشهر سبتمبر من سنة ١٣٢ من التاريخ الميلادي^(٤). ونستدل

(١) علي، المفصل، ج ٣، ٢١ - ٢٣.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ٧٤٨.

(٣) علي، المفصل، ج ٤، ٢.

(٤) علي، المفصل، ج ٣، ٨١، ج ٤، ٦.

أخرى^(١). ولا نعرف شيئاً يذكر عن عمرو بن فهم، فالأخبار عنه لا تزيد على ذكر اسمه، أما جذيمة الأبرش، فقد اهتم به الأخباريون اهتماماً خاصاً، ورو أخباره بشيء من التفصيل.

وجذيمة الأبرش هو جذيمة الصباح في رواية للمسعودي^(٢)، وأبوه هو مالك ابن فهم بن غانم بن دوس الأزدي، ويرفع ابن الكلبي نسبة إلى كهلان بن سبأ^(٣)، ويرفعه آخرون إلى العرب العاربة الأولى من بني وبار بن أميم بن لوذ بن سام^(٤).
تولى عمرو بن عدي الإمارة على عرب الحيرة والأنبار بعد جذيمة (٢٦٨ إلى ٢٨٨م)، وعمرو هذا "هو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب، وأول من مجده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق، وإليه ينسبون، وهم ملوك آل نصر"^(٥).

ويرجع إلى عمرو بن عدي الفضل في تمصير الحيرة بعد أن كانت قد خربت رماناً وأقفرت من سكانها. والحيرة مدينة قديمة زعم الأخباريون أنها من بناء نبوخذ نصر الثاني، ثم خربت بعد وفاته إلى أن نزلها تنوخ وغيرها^(٦)، ولكن استيفان

(١) اليعقوبي، كتاب البلدان، ج ٢، ١، ١٦٩؛ الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٦٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ٩٠.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ٩٠.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ٧٥٠.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ١٩٦؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٢، ٥٤٠.

(٥) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٦٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ٧٦٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٢٠٢.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ٨٢١-٨٢٢؛ الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٦٥-٦٦.

البيزنطي يشير على أنها "Ertha" مدينة بارثية^(١)، ويؤكد هذا ما ذكره بعض الأخباريين من أنها عمرت زمن الأردوان من ملوك الطوائف^(٢)، وقيل عند مرور تبع أبي كرب بالحيرة^(٣).

وقد اختلف المؤرخون في تفسير اسم الحيرة ومصدر اشتقاقه، فالأخباريون العرب يزعمون أنه مشتق من الحيرة لأن تبعاً لما أقبل بجيوشه ضل دليله فتحير في هذا الأمر^(٤). وقيل سميت الحيرة لأن تبعاً الأكبر لما خلف ضعاف جنده في ذلك الموضع قال لهم: حيروا به أي أقيموا به^(٥). وفي رواية للزجاجي أنه لما نزلها مالك بن زهير جعلها حيراً وأقطعه قومه فسميت الحيرة بذلك، وقيل أن الأردوان بني حيراً أنزله من أعانه من العرب فسمى ذلك الخير الحيرة^(٦)، وقيل من الحائر أي بركة من الماء أو حوض يسبب إليه مسيل ماء وسمي بذلك لأن الماء يتحير فيه، وأكثر الناس يسمون الحائر حيراً^(٧). ولدينا من أمثلة القصور المسماة بالخير، قصر الخير الشرقي وقصر الخير الغربي اللذين أسسهما هشام بن عبد الملك في بادية الشام بالقرب من الرصافة^(٨)، وحير

(١) علي، المفصل، ج ٤، ٦-٧.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ٨٢٢؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ٣٢٩.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ٧٤٩.

(٤) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٢، ٣٢٩.

(٥) البكري، معجم ما استعجم، ج ٢، ٤٧٨؛ الحموي، معجم البلدان، ٣٢٩.

(٦) الحموي، معجم البلدان، ٣٢٩.

(٧) الحموي، معجم البلدان، ٢٠٨؛ أبو الفيض مرتضى بن محمد الزبيدي، تاج العروس، ج ٣، (مصر: ١٣٥٦هـ) ٢٦٨.

(٨) greswell, a short account of early muslim architecture, penguin books, 1958, 111 – 123.

الزجالي في شمال قرطبة الذي ينسب إلى بني الزجالي^(١)، وقصر الحائر من قصور قرطبة. والخير في اللغة العربية هو موضع محاط بالأسوار، وهو الحمى أو الحظيرة^(٢). وهناك من العلماء من يذهب إلى أن الحيرة كلمة من كلمات بني إرم، وأنها حرتا herta، وحيرتو السيريانية الأصل ومعناها المخيم والمعسكر، وأن حيرتا herta وحيرة hira في التواريخ السريانية التي تعرضت لذكر الغساسنة تقابل كلمة عسكر عند العرب^(٣). ويرى الأستاذ يوسف رزق الله غنيمه أن الحيرة الأرامية والخير العربي من أصل سامي واحد، إذ أن المضرب والمعسكر والحمى ألفاظ يدل أصلها على معنى واحد^(٤). ونحن نؤيد الأستاذ رزق الله فيما ذهب إليه، ونستدل على صحة هذا الرأي مما نستخلصه من وصف اليعقوبي لخطط سر من رأى والخير الذي أقيم بها وجعل حظيرة للوحش من الظباء والحمير الوحش والأيايل والأرانب والنعام^(٥). وتقع الحيرة على مسافة تبعد نحو ثلاثة أميال جنوبي الكوفة^(٦)، على موضع يقال له النجف، ويروى بها نهر كافر ويسمى نهر الحيرة وقيل اسم قنطرتة^(٧).

-
- (١) أبو مروان حيان بن خلف ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، القسم الثالث، (باريس: نشرة ملثور انطونية، ١٩٣٧م)، ٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ١٨٢.
- (٢) الزبيدي، تاج العروس، ج ٣، ١٧٠.
- (٣) علي، الفصل، ج ٤، ٥-٦.
- (٤) يوسف رزق الله غنيمه، الحيرة المدينة والمملكة العربية، (بغداد: دن، ١٩٣٦م)، ١١.
- (٥) اليعقوبي، كتاب البلدان، ٢٦٣.
- (٦) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٢، ٣٢٨؛ يوسف رزق الله غنيمه، الحيرة المدينة والمملكة العربية، ١٠؛ صالح أحمد العلي، "منطقة الحيرة دراسة بلوغرافية مستندة على المصادر الأدبية"، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، العدد الخامس، نيسان ١٩٦٢ م، ٢٨.
- (٧) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤، ٤٣١.

وقد اشتهرت الحيرة برقة هوائها وصفاء جوها وعذوبة مائها، حتى قيل "يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنة"^(١)، وذكر حمزة أن العرب كانت تقول: "ليته ليلة بالحيرة أنفع من تناول شربة ثادر يطوس"^(٢)، وذكر الاصطخري أن هواءها وتراها أصبح من الكوفة^(٣).

وكان يسكن الحيرة بعد أن مصرها عمرو بن عدي ثلاثة طوائف: عرب الضاحية والعباد والأحلاف. أما عرب الضاحية فهم أصحاب المظال وبيوت الشعر والوبر والأخبية الذين لم يسكنوا بيوت المدر في الحيرة^(٤)، وهم التنوخيون الأوائل الذين هاجروا من اليمن^(٥)، وكانوا ينزلون فيها الحيرة والأنبار.

والعباد وهم الذين كانوا قد سكنوا الحيرة وابتنوا بها، وذكر ابن العبري أن العباد "قوم من نصارى العرب من قبائل شتى اجتمعوا وانفردوا عن الناس في قصور ابتنوها بظاهر الحيرة، وتسموا بالعباد لأنه لا يضاف إلا إلى الخالق. وأما العبيد فيضاف إلى المخلوق والخالق"^(٦). والعباد قبائل شتى تعبدوا للملوكها^(٧). أما الأحلاف فهم الذين لحقوا بأهل الحيرة، ولم يكونوا من تنوخ الوبر ولا من العباد^(٨)، ولعلمهم قوم

(١) الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ١٨١.

(٢) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٧٥؛ غنيمه، الحيرة المدينة والمملكة العربية، ١٥.

(٣) الاصطخري، مسالك الممالك، ٨٢.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ٧٤٩.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ٨٢٢.

(٦) غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري، تاريخ مختصر الدول، (بيروت: د.ن، ١٩٥٨ م)، ١٤٤.

(٧) الحموي، معجم البلدان، ٣٣١.

(٨) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٦٦.

من العرب حالفوا المناذرة واعترفوا بسيادتهم، ويرجح جواد علي أن المقصود بتنوخ من كان يشتغل بالزراعة ومن كان يعيش عيشة أهل البادية من سكان المنطقة ما بين الحيرة والأنبار، ويعتقد أن العباد يتألفون من ثلاثة قبائل مختلفة: تميم ولخم والأزد، وأنهم رغم اختلافهم في النسب جمعتهم وحدة الدين، ولذلك لم يطلق اسم العباد إلا على نصارى الحيرة تمييزاً لهم عن السكان الوثنيين. فلما أصبحت المسيحية دين الحيرة، وتحول معظم أهلها إلى النصرانية، أصبح هذا الاسم يطلق على جميع مسيحييها تمييزاً لهم عن بقية مسيحي العرب من غير أهل الحيرة^(١).

وإلى جانب هذه الطوائف الثلاث، كان يقيم في الحيرة جماعة من النبط العراقيين، وهم بقايا أهل العراق القدامى من الكلدانيين والبابليين والآراميين^(٢)، وكانوا يشتغلون بالزراعة، كذلك كان يقيم بها جماعة من اليهود، وطائفة من الفرس سادة البلاد الحقيقيين، إذ كان الأكاسرة يبعثون المزاربة والدهاقنة من قبلهم ليحكموا الحيرة في عصر ملوكها من آل نصر^(٣). وقد اشتهر العباديون بمعرفتهم القراءة والكتابة، مثل ذلك "أن عمرو بن هند كتب للملتمس الشاعر وطرفة بن العبد كتابين إلى عامله بالبحرين، وقال لهما: أحملهما إليه، ففيهما حبائي لكما، وخرجا، فمرا بصي في الحيرة، فقال له الملتمس: أتقرأ؟ قال: نعم. ففك كتابه وقال له: أقرأ. فلما نظر فيه الصبي، قال له: أنت الملتمس؟ قال: نعم، قال: النجاء، ففي هذا الكتاب هلاكك، فألقاه في نهر الحيرة، فقال لطرفة: أعطه كتابك ليقرأه،

(١) علي، الفصل، ج، ٤، ١٥-١٦.

(٢) غنيمة، الحيرة المدينة والمملكة العربية، ١٨.

(٣) زيدان، العرب قبل الإسلام، ٢٢٤-٢٢٥؛ غنيمة، الحيرة المدينة والمملكة العربية، ١٨؛ علي،

محاضرات في تاريخ العرب، ج ١، ٧٢-٧٣.

فأني أظنه مثل كتابي، فقال: ما كان ليتجرأ علي، فمضى الملتمس. ومضى طرفه بكتابه إلى البحرين فقتل^(١).

واشتهر من أهل الحيرة بعض الشعراء أمثال عدي بن زيد العبادي الحيري^(٢) الذي قتل على يدي النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة، وكان عدي من تراجمة كسرى أبرويز^(٣). ومنهم أيضا الشاعر عدي بن مرينا من بني مرينا اللخمين^(٤)، أشرف بيوتات العرب الحيريين، وكانت ديارهم بين دير هند والكوفة، وفي هذه الديار قتل رهط من بني آكل المزار في عهد المنذر^(٥).

ومن بيوت الحيرة الكبار بيت بقليلة العباديين من الأزد، وينسب إليهم قصر بني بقليلة في الحيرة^(٦).

ومن أشهر أمراء المناذرة بعد عمرو بن عدي إمري القيس (٢٨٨ - ٣٢٨م) ابن مارية بنت عمرو أخت كعب بن عمرو الأزدي^(٧)، ويعرف إمري القيس عند الاخباريين بإمري القيس البدء أي الأول، وهو أول من تنصر من ملوك آل نصر بن

(١) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤، ٤٣١.

(٢) وكان أبوه زيد ابن حماد شاعرا وخطيبا وقارئا لكتب العرب والفرس. انظر: الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ١١٩.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مجلد ١، ١٠١٦؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٢، ٥٥٥.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مجلد ١، ١٠١٩.

(٥) غنيمه، الحيرة المدينة والمملكة العربية، ١٧.

(٦) الشابشتي، الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، (بغداد: دن، ١٩٥١م)، ١٥٤.

(٧) الأصفهاني، سني ملوك الأرض، ٦٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ٨٣٤؛ عبدالرحمن

الطيب الأنصاري، فرج الله أحمد يوسف، القطيف والأحساء آثار وحضارة، (الرياض: دار

القوافل، ١٤٣٢هـ)، ٢٩.

ربيعة وعمال ملوك الفرس. وذكروا أنه عاش مملكا ١١٤ سنة، وأنه عاصر سابور بن أردشير، وهرمز بن سابور، وبهرام بن هرمز، وبهرام بن بهرام^(١)، وواضح أن مدة حكم امرئ القيس البدء على ما رواه ابن الكلبي مبالغ فيها للغاية، وذكر اليعقوبي أنه حكم ٣٥ سنة^(٢). وقد لقب امرئ القيس بمحرق العرب أو محرق، وأصبحت هذه الصفة تطلق على بني نصر فيقولون آل محروق، وفيهم يقول الشاعر الأسود بن يعفر^(٣).
ثم جاء من بعد النعمان الأول بن امرئ القيس الثاني (٣٩٠ - ٤١٨)^(٤)، وقد حظى النعمان الأول بشهرة كبيرة بين ملوك الحيرة، فهو النعمان الأعور^(٥)، وهو النعمان السائح^(٦) لأنه زهد في الدنيا في آخر عمره، فتخلّى عن الملك ولبس المسوح وساح في الأرض^(٧)، وذلك بعد ٢٩ سنة وأربعة أشهر من الحكم وفقا لرواية الطبري عن هشام ابن الكلبي، وثلاثين سنة وفقا لرواية حمزة، وهو أيضا النعمان الذي بنى الخورنق والسدير^(٨). وذكر الطبري وغيره أنه "صاحب الخورنق"^(٩) فقط، وقالوا أيضا أنه

(١) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٦٦-٦٧.

(٢) اليعقوبي، كتاب البلدان، ج ١، ١٧٠.

(٣) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٢١٨.

(٤) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٦٨.

(٥) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٦٨؛ ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٢١٨.

(٦) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٦٨.

(٧) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٦٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ٨٥٤؛ ابن قتيبة،

كتاب المعارف، ٢١٨.

(٨) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٢١٩.

(٩) اليعقوبي، كتاب البلدان، ج ١، ١٧؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ٨٥٠؛ ابن قتيبة،

كتاب المعارف، ٢١٨.

"فارس حليلة"^(١)، وهو قول مردود لأن يوم حليلة حدث في عهد المنذر بن ماء السماء.

ثم تولى المنذر بن أمريئ القيس المعروف بابن ماء السماء: (٥٠٦ - ٥٥٤م)، كما يعرف أيضا بذي القرنين. وماء السماء هو لقب أمه مارية بنت عوف بن جشم ابن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان بن الخزرج بن تيم الله بن النمر ابن قاسط، وقد سميت بماء السماء لجمالها وحسنها^(٢)، وسبب تسميته بذي القرنين فيرجع إلى ضفيريّين برأسه^(٣). وفي عهده اغتصب الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ملك الحيرة، فيما بين ٥٢٤ و ٥٢٨^(٤).

كان المنذر بن أمريئ القيس محاربا شجاعا، قضى حياته في غزو لبلاد الروم والعرب، ففي سنة ٥١٩م أغار على بلاد الروم، وتمكن في بعض حروبه من أسر قائدين هما ديموستراتوس ويوحنا، فأرسل إليه جستين الأول وفدا من إبراهيم بن أوفراسيوس وشمعون الأرشامي وسرجيوس اسقف الرصافة سنة ٢٥٤م للمفاوضة في إطلاق سراح القائدين المذكورين^(٥). وفي سنة ٥٢٨م هاجم المنذر بلاد الروم مؤيدا

(١) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٦٨؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ٨٥٠.

(٢) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٧٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ٩٠٠.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ٩٠٠.

(٤) علي، الفصل، ج ٤، ٧١.

(٥) يوسف غنيم، الحيرة المدينة والمملكة العربية، ١٦٨؛ حمد بن صراي، البيزنطيون ومنطقة الخليج

العربي، (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٣١-١٤٣٢هـ/٢٠١٠م)، ٣١٥-٣١٦؛ نورة

عبدالله النعيم، سفارة عمرو بن هند ملك الحيرة إلى الإمبراطور جستين الثاني، (الرياض:

جامعة الملك سعود، ١٤٣١-١٤٣٢هـ/٢٠١٠م)، ٣٧٩-٣٨١.

الفرس، وتوغل في بلاد الشام، وغنم غنائم كثيرة، ثم عادوا لبلاد الشام في العام التالي، ويوغل في البلاد حتى يبلغ حدود أنطاكية، ولم تنقطع المناوشات بين المنذر وبين الحارث الجفني بسبب تنازعهما على الإتاوة التي كانت تجبي من عرب منطقة تدمر، ولم تنته هذه الحروب إلا بمصرع المنذر بن أمريء القيس في موقعة حليلة أو موقعة خيار في سنة ٥٥٤م، على النحو الذي أوضحناه عند دراستنا للغساسنة^(١).

وجاء من بعده عمرو بن المنذر (أو عمرو بن هند): (٥٥٤ - ٥٧٤م)، ويعرف عمرو أيضا بعمرو مضرط الحجارة ومحرق^(٢). ويذكر الأخباريون أن عمرا قضى حياته يحارب العرب والروم، ويذكرون أنه غزا تميمًا في دارها فقتل من بني دارم ١٥٠ شخصا في يوم أوراة الثاني^(٣)، وذكروا أنه ألقى بالقتلى في النار ولهذا عرف بمحرق. وفي سنة ٥٦٣م أغار عمرو بن هند على بلاد الشام، وكان على عربها الحارث ابن جبلة الغساني^(٤)، ثم عهد إلى أخيه قابوس بمواصلة غزو ديار الغساسنة في عامي

(١) يخلط الأخباريون بين يوم حليلة ويوم عين أباغ، ويذكرون أن المنذر لقي مصرعه في عين أباغ. انظر: الأصفهاني، سني ملوك الأرض، ٧٠. وقد سبق أن تحدثنا عن هذا الخلط، وأشرنا إلى أن عين أباغ حدثت بعد يوم حليلة، وأن المنذر قتل في يوم حليلة الذي يعرف أيضا بيوم الخيار اعتمادا على ابن قتيبة، المعارف، ٢١٦.

أما عمرو بن هند الذي ذكر ابن قتيبة أنه قتل في عين أباغ، فهو عمرو مضرط الحجارة الذي قتله عمرو بن كلثوم التغلبي. انظر: الأصفهاني، سني ملوك الأرض، ٧٢؛ ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٢١٨.

(٢) الأصفهاني، سني ملوك الأرض، ٧٢؛ ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٢١٩؛ النعيم، سفارة عمرو بن هند، ٣٨٦-٣٨٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٣٣٥-٣٣٦.

(٤) c. de Perceval, t. ii. P. 117.

٥٦٦، ٥٦٧ م لتأديب الروم الذين أساءوا إلى رسوله في القسطنطينية لمفاوضة القيصر على دفع الإتاوة^(١). ونسبت إلى عمرو جملة غزوات منها غزوة لتغلب، وغزوة لطية^(٢). وبعد تولى المنذر بن المنذر (٥٧٩ - ٥٨٣ م) ملك الحيرة أربع سنوات، وكان له عشرة أولاد بخلاف النعمان، وكانوا يسمون الأشاهب لجمالهم^(٣)، نخص بالذكر منهم الأسود. وكان المنذر قد دفع ابنه النعمان من زوجته سلمى بنت وائل بن عطية من كلب^(٤) إلى عدي بن زيد ابن حماد التميمي ليربيه وينشئه نشأة أميرية، ودفع ابنه الأسود من زوجته مارية بنت الحارث بن جلهم إلى عدي بن أوس بن مرينا من أشراف الحيرة اللخمين المقدمين عند كسرى. ويذكرون أنه لما دنت ساعة وفاته أوصى إياس بن قبيصة الطائي بأولاده، وملكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى هرمز رأيه، فمكت إياس مملكا على الحيرة أشهر^(٥). ونستنتج من هذا أن سلطة أمراء اللخمين قد ضعفت ضعفا واضحا بحيث أصبح تنصيب أمراء الحيرة أمرا من صميم اختصاص الأكاسرة.

ثم جاء النعمان بن المنذر (٥٨٣ - ٦٠٥ م) أكبر أبناء المنذر من سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فدك^(٦)، ونسبها بعضهم إلى كلب^(٧). وذكر الطبري أنها كانت

(١) c. de Perceval, t. ii. p. 118.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٣٣١.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٢٨٥.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ٩٩.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ١٠١٧.

(٦) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٧٤.

(٧) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ٩٩.

أمة للحارث ابن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب من كلب^(١). ونستدل من هذا على أن أم النعمان كانت من طبقة وضيعة لا تليق بأسرة من الملوك^(٢)، ولعلها من أصل يهودي، لأن معظم أهل فدك من اليهود بالإضافة إلى أن جدها كان صائغا، وهو أمر يزيد احتمال كونها يهودية، فإن حرفة الصياغة كانت من الحرف الرئيسية التي يحترفها اليهود، وكان النعمان أحمر الوجه، أبرشا، قصير القامة، دميم الخلقة^(٣)، بخلاف إخوته الآخرين الذين كان يقال لهم الأشاهب لجمالهم^(٤).

ويروي لنا هشام بن محمد الكلبي أنه لما توفي المنذر دعا كسرى أبرويز عدي ابن زيد فقال له: "من بقي من بني المنذر؟ وما هم؟ وهل فيهم خير؟ فقال: بقيتهم في ولد هذا الميت المنذر بن المنذر، وهم رجال، فقال ابعث إليهم، فكتب فيهم، فقدموا عليه". ولما قدموا مثلوا واحدا بعد واحد أمام كسرى ليختبرهم ويختار واحدا منهم فيوليه ملك الحيرة، فاخلى عدي بن زيد بأولاد المنذر، وتظاهر بأنه يؤثرهم على النعمان، وأوصاهم أن يجيبوا جوابا واحدا على سؤال النعمان، فإذا سألهم: أتكفونني العرب، يجيبونه: يكفيكمهم إلا النعمان. ثم اختلى بالنعمان وأوصاه بأن يجيب على كسرى بهذه العبارة: "إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز"، أما عدي بن أوس بن مرينا فقد نصح ربيبه الأسود بن المنذر بأن يجيب على سؤال كسرى إجابة تختلف عن إجابة إخوته، فلم يبد الأسود اهتماما بنصحه. ولما أدخلوا على كسرى اختار من بينهم

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ٩٩.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ١٠١٧.

(٣) علي، الفصل، ج ٤، ٨٥.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ١٠١٧ - ١٠١٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١،

النعمان بن المنذر، إذ سر بإجابته "فملكه وكساه وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم فيه اللؤلؤ والذهب". فلما آل أمر الحيرة إلى النعمان غضب عدي بن أوس، وأضمر الكيد لعدي بن زيد فما زال يشي به في الخفاء، ويتظاهر بمحبته أمام النعمان، ثم تأمر عليه فوضع كتاباً على لسان عدي إلى قهرمان لعدي فيه مؤامرة بالنعمان، فلما اطلع النعمان على تفاصيل الكتاب عزم على قتل عدي بن زيد. فطلب منه أن يزوره لاشتياقه إليه، وكان عدي بن زيد في طيسفون فاستأذن كسرى، فأذن له. فلما وصل إلى الحيرة أسرع بالتوجه إلى قصر النعمان إذ كان متلهفاً لرؤيته، فلم يكد يدخل عليه حتى أمر به فأدخل سجناً بصنين^(١)، لا يدخل عليه فيه أحد، فكتب في سجنه أشعاراً تضرع فيها إلى النعمان.

ولم تؤثر أشعار عدي بن زيد في النعمان، ولم تجدي شيئاً، فلما يئس عدي كتب إلى أخيه أبي الذي كان يعمل مترجماً لكسرى.

ثم مضى أبي إلى كسرى فأخبره بما كان من أمر أخيه، فبعث كسرى كتاباً إلى النعمان حملاً إليه رسول من قبله، وكان للنعمان عند كسرى نائباً عنه، فبادر بالكتابة إلى النعمان يخبره بخبر رسول كسرى، كما أرسل إلى أعداء عدي ابن زيد من بني ببيعة يعلمهم بتدخل كسرى، ولما علم بنو ببيعة أسرعوا بالذهاب إلى النعمان وطلبوا منه أن يقتله في التو واللحظة قبل أن يصل إليه رسول كسرى، وحذروه من خطر الإبقاء على حياته، فأذن لهم النعمان بقتله فقتلوه، ثم دفنوه. ولما أبلغ رسول كسرى بموته ذهب إلى النعمان ليسأله تفاصيل موته فأكرمه وزاده جائزة "واستوثق منه أن لا يخبر كسرى، إلا

(١) الصنين بلد كان بظاهر الكوفة بقرب السيلحون من منازل كسرى. انظر: العلي، منطقة الحيرة،

انه قد مات قبل أن يقدم عليه"^(١). فعاد الرسول إلى كسرى وأخبره ان عديا مات قبل أن يصل إلى الحيرة بأيام.

ندم النعمان على موت عدي، واجترأ أعداء عدي عليه، فهاهم، وخاف أن يشوا به عند كسرى، وخرج يوما في بعض صيده فلقي ابنا لعدي يقال له زيد، فقربه إليه واعتذر إليه من أمر أبيه، ثم أرسله إلى كسرى، وأعطاه كتابا يحمله إليه، أشار فيه إلى مكانه عدي منه وإلى خسارته بوفاته، ثم وصى كسرى بزيد بن عدي، فلما مثل زيد امام كسرى، وطالع هذا كتاب النعمان، قلده وظيفة أبيه وارتفعت منزلته عنده، وهناك أخذ زيد ينسج خيوط مكيدة للانتقام من قاتل أبيه. فذكر لكسرى جمال نساء آل المنذر ووصفهن له، فكتب إلى النعمان مع زيد يأمره أن يبعث إليه بإحدى نساء بيته، فلما قرأ النعمان كتابه قال لزيد بن عدي: يا زيد، أما لكسرى في مها السواد كفاية حتى يتخطى إلى العربيات؟ فقال زيد: إنما أراد الملك إكرامك - أبيت اللعن - بصهرك، ولو علم أن ذلك يشق عليك لما فيه. وأعذر بك بما يقبله، فقال له النعمان: فافعل، فقد تعرف ما على العرب في تزويج العجم من الغضاضة والشناعة"^(٢).

فلما انصرف زيد قص عليه امتناع النعمان عن تلبية طلبه، وبالع في ذلك، وأدى إليه قول النعمان في مها السواد على أقبح الوجوه، وأوجده عليه. فسأل كسرى: "ما المها؟ فقال: البقر، فأخذ عليه، وقال: رب عبد قد صار في الطغيان إلى أكثر من هذا"^(٣). وذكر الطبري هذا القول بصورة أخرى، قال: "رب عبد قد أراد ما هو أشد

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ١٠٢٤.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ١٠٠.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ١٠١.

من هذا فيصير أمره إلى التباب^(١). فلما بلغت هذه العبارة إلى النعمان تخوفه وأخذ يتأهب ويتوقع الشر، حتى أتاه كتاب كسرى يأمره فيه بالقدوم إليه، فأدرك النعمان سوء المصير، فحمل سلاحه وما قوي عليه، ثم مضى إلى بني طيء لصهر كان له فيهم، وأراد النعمان أن يمنعوه، فأبوا ذلك خوفا من كسرى. وأخذ يطوف بقبائل العرب يطلب المنعة إلى أن نزل بذي قار في بني شيبان سرا، فلقي هانئ بن مسعود بن عامر بن عمرو ابن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، وكان سيدا منيعا، فاستودعه سلاحه وأولاده، وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن هانئ هذا هو هانئ بن قبيصة بن هانئ ابن مسعود^(٢).

ثم أقبل النعمان إلى المدائن، فصف له كسرى ثمانية آلاف جارية عليهن المصبغات صفين، فلما سار بينهن قلن له: أما فينا للملك غنى عن بقر السواد. فأدرك النعمان أنه غير ناج منه. ولقيه زيد بن عدي على قنطرة ساباط^(٣) فقال له النعمان: أنت فعلت هذا بي، لئن تخلصت لأسقنيك بكأس أبيك، فقال له زيد: امض نعيم فقد أخيت لك أخيه لا يقطعها المهر الأرن^(٤). وأمر كسرى بالنعمان، فسجن بساباط المدائن، وقيل بخانقين^(٥)، ثم أمر به فرمي تحت أرجل الفيلة، وقيل بل مات في محبسه بساباط^(٥).

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ١٠٢٧.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ١٠٢٩.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ١٠٢٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ١٠١.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ١٠٢٩.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ١٠٢.

غزا النعمان بن المنذر قرقيسيا^(١)، وتعرضت الحيرة في زمنه، وفي أثناء غيابه بالبحرين لغارة قام بها حفنه بن النعمان الجفني^(٢)، وذكر ثيوفلكتس أن عرب غسان أغاروا على دولة اللخمين في سنة ٦٠٠ م أي أثناء الصلح الذي عقد بين الروم والفرس^(٣). ويبدو أن النعمان بن المنذر لم يكن موفقا في حروبه التي خاضها مع العرب، ففي يوم طخفة هزمه بنو يربوع، وكادوا يقتلونه^(٤)، وفي يوم السلان انهزم جيش النعمان، هزمه بنو عامر بن صعصعة، وأسر وبرة ابن رومانس الكلبي أخو النعمان، فافتداه بألف بعير وفرس من يزيد بن الصعق^(٥).

وقد فتح النعمان بن المنذر أبواب قصره لقصاده من الشعراء أمثال النابغة الذبياني والمنخل الإشكري والمثقب العبدي والأسود بن يعفر وحاتم الطائي. وعرف النعمان بأنه "صاحب النابغة"^(٦) إذ كانت صلاته به وثيقة للغاية، ويبدو أن صداقته له أثارت أحقاد خصوم النابغة الذين ساءهم قربهم من النعمان وتمتعه بجوائزه، فسعوا به حتى تغير عليه وكاد يقتله، ففر النابغة إلى ملوك جفنة بالشام، وأقام في ظلها فترة ثم عاوده الشوق إلى صاحبه، فاعتذر إليه وتبرأ مما قالوه عنه ظلما، فعفا عنه النعمان، وعاد النابغة إلى الحيرة. وكان المنخل الإشكري من ندماء النعمان وأصحابه، وكان يمدح النعمان بقصائده، وينعم بجوائزه، ولكنه لم يبلغ من قبله مثل ما بلغه النابغة، فسعى

(١) الأصفهاني، سني ملوك الأرض، ٧٣.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ١٠٢١.

(٣) علي، الفصل، ج ٤، ٩١.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٣٩٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٣٩١ - ٣٩٢.

(٦) الأصفهاني، سني ملوك الأرض، ٧٣.

للإيقاع به وأوغر صدر النعمان عليه حتى هم بقتله، فهرب النابغة بنفسه، وحل المتخل محله واختص بمجالسه النعمان، ولكن النعمان لم يلبث أن انقلب عليه، فدفع به إلى عكب صاحب سجن النعمان فسجنه وعذبه ثم قتله^(١).

ويزعم بعض الأخباريين أن النعمان دخل في النصرانية، وكان عابد وثن، ويرجعون فضل ذلك إلى عدي بن زيد، الذي تولى تشيئته^(٢).

وأعتقد أن لأمهات أمراء لخم أثر كبير في تحول بعضهم إلى المسيحية، فامرئ القيس بن عمرو بن عدي كان أول من تنصر من ملوك آل لخم لأن أمة مارية بنت عمرو كانت فيما يظهر مسيحية، وكانت أم عمرو بن امرئ القيس مارية البرية أخت ثعلبة بن عمرو غسانية، والغساسنة سبقوا المناذرة في اعتناق المسيحية لاتصالهم بنصارى الشام ووجودهم بالقرب من فلسطين مركز المسيحية الأولى.

ومن المعروف أيضا أن النعمان بن امرئ القيس المعروف بابن الشقيقة كان فد تنصر في أواخر أيامه وأنه ساح في الأرض وتنسك في الجبال. وكانت أم المنذر ابن النعمان بن امرئ القيس أميرة غسانية. وكانت أم المنذر بن امرئ القيس الثالث وهي مارية بنت عوف - كما يظهر من اسمها - مسيحية، ومن المرجح أن ابنها المنذر كان مسيحيا لأنه أنف من اعتناق المزدكية، فعزله كسرى قباذ، ويروون أن إبطاله لسنة

(١) علي، الفصل، ج ٤، ٩٥.

(٢) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ص ٧٤. وذكر ابن فضل الله أن النعمان كان يصلي في دير هند ويتقرب فيه وأنه علق في هيكله خمسمائة قنديل من ذهب وفضة، وكانت أدهانها في أعياده من زنبق وبان وما شاكلهما من أدهان. انظر: شهاب الدين بن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في الممالك والأمصار، تحقيق: أحمد زكي باشا (القاهرة: د.ن ١٩٢٤م)، ٣٢٣. وينسب إلى النعمان بناء دير اللج بالحيرة. انظر: غنيمة، الحيرة المدينة والمملكة العربية، ٤٥.

الغريين كان مرتبطا بتنصره، وذكروا أنه أقام في الحيرة الكنائس العظيمة. وكذلك كان عمرو بن هند مسيحيا، بتأثير امه هند الكبرى صاحبة الدير المشهور. فالنعمان بن المنذر ليس أول من تنصر من ملوك لخم.

وقد ترك النعمان من البنات أربعاً هن هند وحرقة وحرقة وعنقير^(١) وهند هي أشهرهن جميعاً، فقد ذكروا أنها كانت زوجة لعدي بن زيد، وقد عاشت طويلاً حتى أدركت قيام الدولة الأموية، وكانت ما تزال حية في أيام عبد الملك بن مروان. وذكر أن المغيرة بن شعبة ركب إلى هند بنت النعمان ابن المنذر وهي في دير لها في الحيرة مترهبة، وكان المغيرة وقتئذ أميراً على الكوفة، وكانت هند قد فقدت بصرها، فلما جاء المغيرة إلى الدير استأذن عليها فرحبت به، وسألته عن سبب مجيئه، فذكر لها أنه أتاها ليخطبها فقالت له: "أما والصليب لو أردتني لدين أو جمال ما رجعت إلا بحاجتك، ولكنني أخبرك الذي أردت ذلك له. قال: وما هو؟ قالت: أردت أن تتزوجني حتى تقوم في الموسم في العرب فتقول: تزوجت ابنة النعمان. قال: ذلك أردت"^(٢).

وذكر الشابشتي أن سعد بن أبي وقاص عندما فتح العراق أتى هند في ديرها، فخرجت إليه فأكرمها وعرض عليها نفسه في حوائجها، "فقالت: سأحييك بتحية كانت أملاً كنا تحيا بها (مستك يد نالها فقر بعد غنى ولا مستك يد نالها غنى بعد فقر، ولا جعل الله لك إلى لئيم حاجة، ولا نزع الله عن كريم نعمة إلا جعلك سبباً لردّها عليك)^(٣)، ويبدو أنها عاشت حتى بعد سنة ٧٤ هـ^(٤).

(١) الأصفهاني، سني ملوك الأرض، ٧٤.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ٣٤.

(٣) الشابشتي، الديارات، ١٥٧-١٥٨.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ٥٤١. وذكر ياقوت أن خالد بن الوليد دخل عليها لما فتح الحيرة =

أما حرقة بنت النعمان فبعضهم يخلط بينها وبين هند. وذكر المسعودي أنه لما وفد سعد بن أبي وقاص على القادسية أميرا عليها بعد أن هزم جيش الفرس، أته حرقة بنت النعمان في حفدة من قومها وجواربها وهن في زيها عليهن المسوح والمقطعات السود، مترهبات تطلب صلته، فلما وقف بين يديه أنكرهن وسأل عن حرقة، فعرفته بنفسها، فدهش لرؤيتها في حالتها تلك، فقالت له: "إن الدنيا دار زوال ولا تدوم على حال، تنتقل بأهلها انتقالا وتعقبهم بعد حال حالا، كنا ملوك هذا المصر يجبي لنا خراجهم، ويطيعنا أهلهم مدى المدة وزمان الدولة، فلما أدبر الأمر وانقضى صاح بنا صائح الدهر، فصدع عصانا وشتت شملنا، وكذلك الدهر يا سعد أنه ليس يأتي قوما بمسرة إلا ويعقبهم بحسرة" فأكرمها سعد وأحسن جائزتها^(١).

ثم تولى إياس بن قبيصة الطائي (٦٠٥ - ٦١٤)، وكان من أسرة من أشرف أسر الحيرة، عهد إليه كسرى بامارة الحيرة بعد أن قتل النعمان ابن المنذر، وكان المنذر يثق به ويعهد إليه بإدارة شؤون الحيرة حتى يختار كسرى من شاء من أولاده على إمارتها. ولقد كان سبب اختيار كسرى ابرويز لإياس ملكاً على الحيرة أن كسرى لما هرب من بهرام مر بإياس بن قبيصة، فأهدى له فرساً وجزوراً، فشكر له كسرى ذلك^(٢). وظل يحفظ له هذا الصنيع حتى جاءت اللحظة التي كافأ فيها بتوليته على

= فسلمت عليه، فعرض عليها الإسلام حتى يزوجه رجلًا شريفًا مسلمًا، فقالت له: "أما الدين فلا رغبة لي فيه غير دين آبائي، وأما التزويج فلو كانت في بقية لما رغبة فيه، فكيف وأنا عجوز هرمة أترقب المنية بين اليوم وغد". فأكرمها وأكرم ذويها وأمر لها بمعونة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ص ٥٤١.

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ١٠٤.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ١٠٢٩؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٢٨٩.

الخيرة. وذكر حمزة الأصفهاني أنه أقام معه عليها البحرجان الفارسي ^(١) وقيل النخيرخان ^(٢) وقيل النخيرجان ^(٣)، ويظن بعض المؤرخين أن هذا الاسم هو اسم وظيفة تولاه إياس في الخيرة ^(٤). وكانت مدة حكم إياس سبع سنوات وفقاً لرواية حمزة ^(٥)، وتسع سنوات في رواية الطبري ^(٦)، وأربع عشرة سنة في رواية ابن الأثير ^(٧)، وثمانية أشهر في رواية ابن قتيبة ^(٨)، ونميل إلى الأخذ برواية الطبري. وقد ساعد إياس كسرى في حربه ضد الروم، فوجهه كسرى أبرويز لقتال الروم بساتيدما وهو نهر يقع بالقرب من أرزن، فهزمهم إياس ^(٩). وأعظم الأحداث التي وقعت في عهد إياس وأشهرها على الإطلاق حادث يوم ذي قار. وذو قار ماء لبكر بن وائل يقع قريباً من الكوفة، بينها وبين واسط ^(١٠). وبالقرب من هذا الموضع يقع حنو ذي قار على بعد ليلة من ذي قار ^(١١).

(١) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٧٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٢٩٢.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ١٠٣٨.

(٤) علي، المفصل، ج ٤، ١٠٢.

(٥) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٧٤.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ١٠٣٨.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٢٩٢.

(٨) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٢١٩.

(٩) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٣، ١٦٩.

(١٠) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤، ٢٩٣.

(١١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ١٠٣٠.

انتصار العرب على الفرس في ذي قار:

يطلق الأخباريون على هذا اليوم أسماء عدة منها يوم قراقر و يوم الحنو أي حنو ذي قار، ويوم حنو قراقر، ويوم الجبابات، ويوم ذي المجرم، ويوم الغدوان ويوم البطحاء أي بطحاء ذي قار^(١).

وتفصيل خبر الواقعة أن كسرى طالب بتركة النعمان، فأخبره إيس بن قبيصة بأنها وديعة عند بكر بن وائل، فأمره كسرى بضمها إليه، فأرسل إياس إلى هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيباني يأمره برد ودائع النعمان الفرس على هذا النحو كسرة لم يعرفوها من قبل، وقتل أكثرهم^(٢). وفي انتصار العرب على الفرس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "هذا أول يوم انتصفت العرب فيه من العجم وبني نصر"^(٣). وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ الواقعة، فالبعض يجعلها بعد أن هاجر النبي إلى يثرب^(٤)، وبعضهم يحددها بعد وقعة بدر بأشهر^(٥)، وبعضهم يجعلها عند منصرف الرسول من وقعة بدر، وآخرون يرون أنها حدثت لتمام أربعين سنة من مولد الرسول، وهو بمكة أن بعث^(٦) وقيل أنها حدثت يوم ولادة رسول الله صلى الله عليه

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ١٠١٦.

(٢) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٣، ٢٩٤.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ٢٧٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٢٨٥.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ٢٧٨.

(٥) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٣، ٢٩٤.

(٦) الأصفهاني، سني ملوك الأرض، ٧٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ١٠٣٨؛ المسعودي،

مروج الذهب، ج ١، ٢٧٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٩٢؛ أبو الفداء، المختصر،

ج ١، ١٠١.

وسلم^(١). ويذهب رتشتاين إلى أنها وقعت فيما يقرب من سنة ٤٠٦م، بينما ذهب فلدكة إلى أنها وقعت بين عامي ٤٠٦، ٦١٠م^(٢).

أما كوسان دي برسيغال فيعتقد أنها حدثت بعد أن اكتمل عمر النبي صلى الله عليه وسلم أربعين عاماً أي في يناير سنة ٦١١م، استناداً إلى ما ذكره المسعودي وأبو الفداء اللذان حدداً تاريخها بعد أن بعث بمكة لتهام أربعين سنة من مولده^(٣).

ويرى نيكلسون أنها حدثت في سنة ٦١٠م^(٤). ويميل معظم المؤرخين إلى القول بأنها حدثت في ٦١١م وأعتقد أن الموقعة حدثت فيما يقرب من عام ٦٠٩ أو بعد ذلك بأشهر، فإن المصادر تكاد تجمع على أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث على رأس أربع سنين من ملك إياس بن قبيصة، وروى قوم أنه بعث وهو ابن أربعين سنة^(٥)، ولما كان من المعروف أن الرسول عليه الصلاة والسلام توفي في ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ (٨ يونيو ٦٣٢م) وهو في سن الثالثة والستين على أرجح الآراء^(٦) فإن بعثته تكون قد حدثت في سنة ٦٠٩م وهو أربعين سنة^(٧)، وتكون وقعة ذي قار حدثت بعد سنة

(١) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤، ٤٩٣.

(٢) علي، المفصل، ج ٤، ١٠٤.

(٣) Caussin de Perceval t.II, 184

(٤) Nicholson. A literary history of the Arabs, 70.

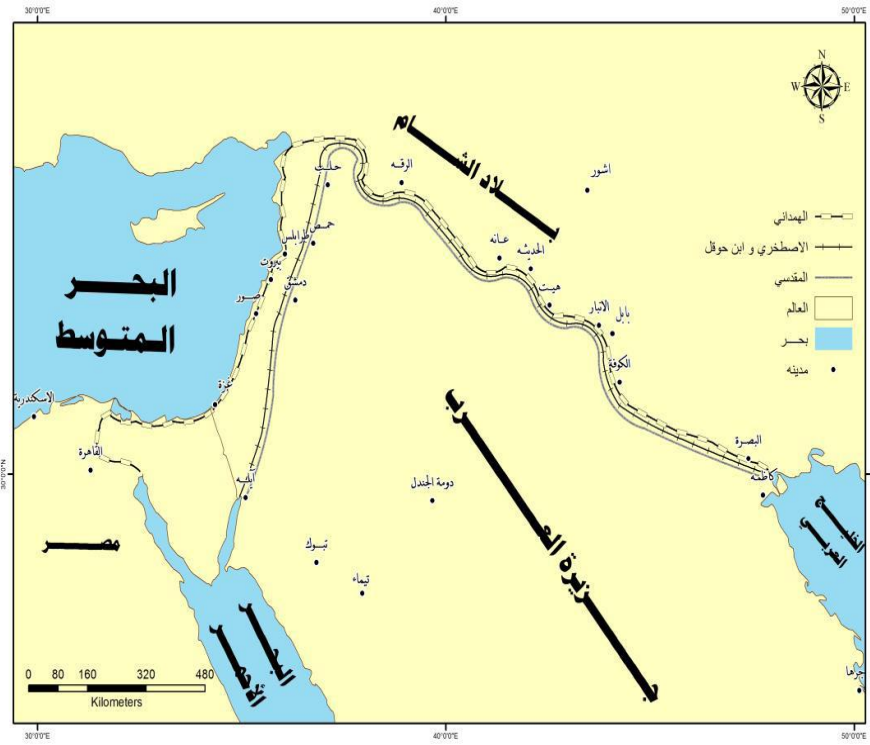
(٥) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٩٨.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥٧٩.

(٧) أبو عبدالله محمد ابن سعد، الطبقات الكبرى، (ليدن: ١٣٢٢)، ج ١، ١٢٩؛ ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ٢٤٩؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ١٠٤؛ علي بن أحمد بن أبي الكرم ابن الاثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد صبيح، (القاهرة: د.ن، ١٩٦٤ م)، ج ١، ٣٤.

تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

٦٠٩ م بقليل، أو على أبعد تقدير في سنة ٦١٠ م. ويسجل مصرع المنذر بن النعمان (المغرور) (٦٣١ - ٦٣٢ م)، على يدي كسرى فارس نهاية حكم اللخمين في الحيرة، ولكن ابن الكلبي يجعل في آخر قائمتهم أميراً منهم هو المنذر بن النعمان الأخير ويدعوه المغرور، الذي قتل بالبحرين يوم جواثا^(١)، وذكر أن ملكه إلى ورود خالد بن الوليد إلى الحيرة ثمانية أشهر^(٢).



خريطة توضح الحدود الشمالية للجزيرة العربية من تصميم الباحثة بالاعتماد على برنامج GIS

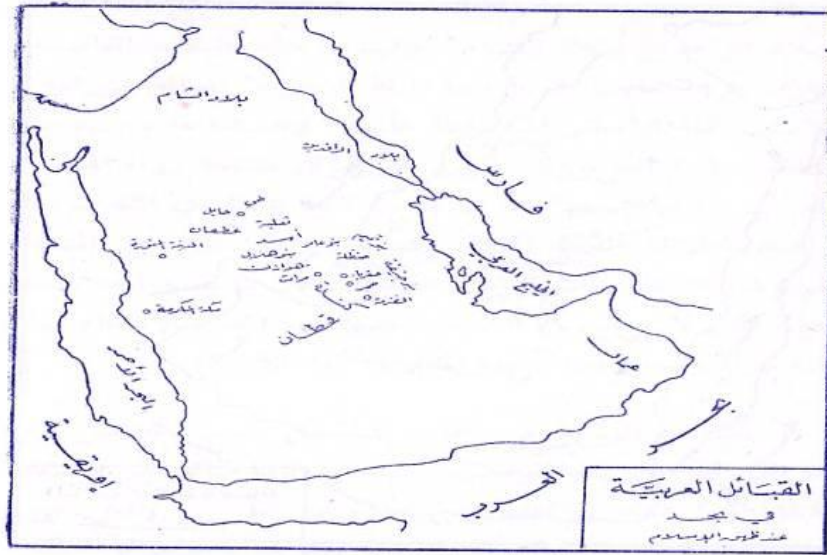
(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ١٠٢٩.

(٢) الأصفهاني، سني ملوك الأرض، ٧٥.

سادساً: مملكة كندة (وسط الجزيرة) (٤٨٠-٥٢٩م)

قبيلة كندة قبيلة عدها الإخباريون من القسم الكهلاني من القبائل القحطانية وجد القبيلة هو ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن يشجب بن زيد بن عريب بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح^(١).

سمي كندة لانه كند نعمة أباه ويرى البعض ان مساكن كندة كانت في مأرب وبعد انهيار السد هاجروا الي نجد وحضر موت والبحرين^(٢)



موقع مملكة كندة القحطانية النجدية (وهي منطقة نجد بكاملها) والقبائل التي كانت تسكن فيها

(١) ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٢، ص ٢٧٦؛ القرشي، جمهرة العرب، ٤١٩، ٤٨٥؛ عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ٢٧٠.

(٢) A. Jamme, Sabaeen Inscriptions From Mahram Bilqis "Marib", 318, 372.

وقد ذكرت كندة في نقش مقرونة بأسم قبيلة اخرى هي قحطان وهم تحت حكم رجلا واحد يدعي ربيعة من ال ذي ثور “ وال ذي ثور هم كندة ” وذلك في عهد الملك شعر أوتر^(١) ذكر في النقش “ بعلي ربعت ذا ثورم ملك كدت وقحطن ”^(٢).

وفي عهد الملكين السبئيين الشرح يحضب واخيه يأزل بين قامت ثورة من قبل امير امارة صغيرة تدعي “ امارة خصصتن ” وتلقى هذا الامير ويدعي “ مراقيس ” امرئ القيس بن عوف تلقى المساعدة من قبل الملك مالك ملك كندة مما جعل ملوك سبأ يجيشوا الجيوش على الامير والملك الكندي حتى هزموهم وجاءوا برهائن من اولادهم واولاد اعيان كندة لضمان عدم العصيان مرة اخرى^(٣). وقد رأى البعض ان امرئ القيس هو نفسه ملك الشمال الذي حارب الملك شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان فيما بعد^(٤).

وقد لعبت كندة دورا هاما في حروب ملوك اليمن في شمال الجزيرة العربية وساعدتهم فقد ورد في نقش عن قصة غزوة احد قادة الملك شمر لسواحل الخليج والاحساء وارض قبائل تنوخ التي كانت تحت حكم الفرس من بني ساسان وغزا القطيف وهي منطقة علي ساحل خليج فارس وتحت الحكم الفارسي يقول صاحب المفصل لا بد ان يكون شمر يهرعش على اتفاق مع اعراب نجد ولاسيما سادة كندة اذ كان من العسير عليه غزو الاحساء وساحل الخليج لو لم يكن على صلات حسنة

(١) علي، المفصل، ج ١، ٣٥١.

(٢) علي، المفصل، ج ٢، ٤٧٢.

(٣) علي، المفصل، ج ٢، ٤٣٢.

(٤) علي، المفصل، ج ٢، ٥٥٠.

بهم^(١). وتعد الافلاج من مواطن كندة منذ زمن الملك شعر اوتر سنة "١٨٠م" وقد عبر عنهم بـ "ذال ثور أي ال ذي ثور" وهم كندة^(٢) وذكر في تاريخ بليونس مايشير اليهم بـ "ذي ال ثور في عين الجبل". وقد ربط البعض هجرة كندة من نجد الي اليمن مع هجرات قبائل مذحج وقد استفاد منهم ملوك حمير اليمن في تجنيد رجال هاتين القبيلتين في جيوش عرفت بجيوش الاعراب فقد اسس التبابعة ملوك حمير جيوش من افراد البدو وتولى قيادتهم رجال من حمير منهم مثلاً القائد وهب اوم في عهد الملك شمر يهرعش والقائد سعد تالب الجدني في عهد الملك ياسر يهنعم الثالث والملك ذمر علي يهبر^(٣).

وكان القائد وهب اوم يحكم حضرموت وكندة ومذحج وباهل وحدان ورضوم واطلم وامرم. والبعض من هذه الاسماء مازال معروفاً، وكانت كندة ضمن الجيش الحميري الذي احتل حضرموت وضمها الي مملكة سبأ وذي ريدان وكانت الحملة بقيادة القائد سعد تالب الجدني^(٤).

وقد أكدت النقوش ما أورده بعض الإخبارين من غزوات ملوك اليمن إلي شمال أرض العرب وغزو أملاك فارس مثل نقش غزوة الإحساء في عهد الملك شمر يهرعش وماورد في نقش بعهد الملك ابوكرب اسعد وابنه حسان يهأمن "حسان اليماني" من غزو الملكين علي وادي مأسل بارض قبيلة معد وان كانت ذاكرة العرب التي نقلت تلك الاحداث قد اعترها ما تموج به الانفس في عهد الامويين من عنصريات

(١) .A. Jamme, Sabaeen Inscriptions, 164

(٢) .F. Altheim And R. Stiehl, Op. Cit. Ii, 322

(٣) علي، الفصل، ج٢، ٥٥٢.

(٤) بافقية، تاريخ اليمن القديم، ١٤٤.

فظهرت مبالغت من قبل البعض في حجم هذه الغزوات وزعمهم بوصولها الي مناطق أبعد من جزيرة العرب وبعض الادعاءات التي تقلل كثيرا من شان ملوك اليمن التي اطلقها المعسكر الثاني.^(١)

وقد كان لقبيلة كندة دورا فاعل في جميع حروب اليمن في شمال ارض العرب . وفي اخر عهد الدولة الحميرية ورد ذكر لكندة كاحدى القبائل التي ساعدت الاحباش ضد الملك يوسف الحميري سنة ٦٣٣ حميري الموافق ٥١٨ ميلادية^(٢). مما ورد من ذكر لكندة انها كانت ضمن احلاف تنوخ في العراق^(٣).

فروع قبيلة كندة القديمة:

انقسمت كندة الي فروع حسب الاتي:

- ١ - بنو معاوية بن كندة "ثور" بن عفير القحطاني.
- ٢ - وبنو اشرس بن كندة "ثور" بن عفير القحطاني ومنهم السكسك والسكون.

مساكن كندة القديمة :

صرح البعض بكون كندة قد سكن اول امرها في مأرب بالقرب من السد ثم انتشرت في ثلاث مواضع هم نجد والبحرين وحضرموت . وسكنت فروع كندة حضرموت منذ القدم وانتشرت في وديانه وسواحله وصحاريه فقد ورد ان الصدف وهم من كندة على اصح الاقوال قد سكنت منطقة عندل وهو الوارد في شعر لإمرئ القيس الكندي وقالوا وعندل وقدون ودمون

(١) عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ٢٦٥-٢٧٠.

(٢) علي، المفصل، ج٢، ٥٩٦.

(٣) علي، المفصل، ج٣، ١٦٧.

وهدون مدن للصدف والهجرين وكذا سكنت بطون كندة منطقة هينن وسكنت كندة مناطق شبوة والشحر وكانوا يسكنوا صيلع وهي منطقة بالقرب من الهجرين اسس قريتها السلطان بوطويرق، ويسكنوا ايضا وادي العين ووادي دوعن وغيرها من مناطق حضرموت ووديانها بل قيل ان مدن مثل سيئون وسواها كانت مدن كندية، ويسكنوا أيضا النجير وهو موضع غرب حضرموت بالقرب من العبر، في البحرين وقد سكنها قبيلة السكاسك من كندة قال الهمداني في الصفه قرى السكسك الجند والدم والشرار في نجد.^١

وقد اوردنا فيما سبق وجود كندة في منطقة غمرة ذي كندة والافلاج بنجد ويسكنها من كندة ال معاوية الاكرمين وقد اسسوا ملك لهم فيها.

مملكة كندة القديمة:

اذ ما اردنا ان نعرف ابتداء تملك كندة فأنا سوف نذهب الي ابعد ما ذهب اليه الكثيرون ونذهب الي مالمح به صاحب المفصل^(٢) وما اوردناه في ما سبق من قيام مملكة كندة منذ عهد الملك شعر اوتر وكان ملكها يدعي ربيعة من ال ذي ثور وهم كما سبق كندة وكان تحت حكمه أيضا قبيلة اخرى تدعى قحطان .

وبعد عهد الملك الشرح يحضب والهزيمة التي حاقت بمملكة كندة القديمة في عهد ملكها مالك الذي ساند ثورة امرئ القيس كما سبق وانتصار جيوش سبا عليهم فقدت كندة استقلالها وصارت تابعة للوك سبا وذي ريدان وكانت ضمن اعراب

١ (عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ٢٦٥-٢٧٦؛ الذيب، منطقة الرياض، ٤٢-٤٤؛ عبدالعزيز بن سعود الغزي، مملكة كندة في وسط الجزيرة العربية "دراسة تاريخية آثارية"، (الرياض: دار الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥-١٤٢٦هـ)، ١١-١٢.

(٢) علي، المفصل، ج ٣، ٣١٦.

الدولة أو جيوش البدو الذي كان يدرهم قادة من ملوك سباء وحمير^(١). وقد ذكرهم المورخ "نونوسوس" وذكر معهم قبيلة معد وذكر أن ملكهم رجلا واحد هو قيس وعلى الأغلب ان يكون هذا الملك كندي وان لم يوجد لدينا دليلا ثابتا بذلك انما هو العادة في تملك كندة دائما على قبائل الشمال العربي^(٢).

مملكة كندة الاولى بحضرموت :

يذكر ان كندة قد اسست لها ملك بحضرموت جنوب الجزيرة العربية من القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي^(٣)، وكان اول ملوكها مرتع بن معاوية بن كنده وهذا القول يبين ان كندة قد هاجرت من مأرب الى حضرموت ثم انتقلت الى نجد والبحرين، واسم الملك مرتع هو عمرو قيل له مرتع لانه يرتع الناس بارضه . ويقال ان ملكه كان عشرين سنة ثم ملك بعده ابنه ثور بن مرتع ثم هلك وملك بعده ابنه معاوية ثم ملك ابنه الحارث بن معاوية وملك اربعين سنة ثم ملك وهب بن الحارث عشرين سنة، وقد سميت مملكة كندة الاولى بحضرموت لوجود ممالك بعد ذلك بحضرموت سواء بعد رحيل جزء منها الى نجد او بعد رجوعهم ووجود ملوك لكندة بحضرموت ايام البعثة المحمدية المباركة^(٤).

(١) . 57, 164, 318،A. Jamme, Op. Cit.

(٢) G. Olinder, The Kings Of Kinds, 1927, 114 الغزي، مملكة كندة، ١١-١٢؛ الذيب، منطقة

الرياض، ٤٢-٤٣؛ .

(٣) الأنصاري، القصيم، ٢٤؛ الغزي، مملكة كندة، ١٢ .

(٤) عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ٢٧٦-٢٧٧؛ الذيب، منطقة الرياض، ٤٥ .

مملكة كندة العربية بنجد والجزيرة العربية:

وهي اعظم ملك لكندة لآتساعه وشموله في فترات القوة مناطق كثيرة في شبة جزيرة العرب ولاشتهاره بين العرب . وقالوا عن سبب هجرة كندة انها حدثت حرب بينها وبين قبيلة حضرموت نزحت بعدها كندة الي أرض معد.^(١)

وقد بين لنا الاخباريون العرب ان ملك كندة اساسه تعيين من ملوك اليمن وخاصة التبابعة وقد بينا فيما سبق وجود نفوذ وغزوات للملوك حمير وسبأ في شمال الجزيرة العربية فقد جاءت النقوش تبين ما اورده الاخباريون العرب من وجود غزوات للملوك حمير الي سواحل الخليج الفارسي وارض العراق .^(٢)

كان اشهر ملوك هذه الدولة الملك حجر "اكل المرار" بن عمرو بن معاوية الكندي، تولى الحكم عام ٤٨٠م تقريباً،^(٣) أو في الفترة ما بين ٤٣٠-٤٥٠م / ٤٤٢-٤٥٠م^(٤) ويقال ان الملك حجر كان اخا للملك حسان بن تبع ابو كرب الحميري لذا فقد عينه ملك على قبائل العرب في شمال الجزيرة العربية كما رواه العالم ابن خلدون منقولاً عن الطبري. واتسع ملك حجر ليشمل مناطق باليمن والحجاز والبحرين ونجد ودومة الجندل وغمر ذي كندة واليهامة. وكان ملكه عشرين سنة وهو الذي حالف بين كندة وقبائل ربيعة العدنانية .^(٥)

(١) الغزي، مملكة كندة، ١٣-١٤ .

(٢) الغزي، مملكة كندة، ١٣-١٥ .

(٣) الأنصاري، القصيم، ٢٧ .

(٤) الذيب، منطقة الرياض، ٤٦ .

(٥) الذيب، منطقة الرياض، ٤٦-٤٧ .

وحجر هو اول من تملك من كندة في نجد ويقال ان سبب ذلك ان طلب عقلاء ووجهاء بكر بن وائل من الملك تبع ان يملك عليهم رجلا من غيرهم ليستقيم امرهم فملك عليهم حجرا الكندي، وكان ملكه بمنطقة بطن عاقل.^(١)

وان كانت هذه الرويات غير موثوقة بسبب محاوله البعض في عصر العصبية تلطيف تملك اليمن عليهم بزعم ان ذلك جاء بنا علي طلبهم وهو امر يحتاج الي المزيد من البحث ولا سيما بعد اكتشاف نقوش تثبت بدليلا قاطعا وجود نفوذ يماني في شمال الجزيرة، وحجر هو اكل المزارق بذلك لقصة وردت بغزوة قام بها زياد بن الهبولة من قبائل سليح بن حلون القضاعية فقد اغار على غمر ذي كندة وكان الملك حجر في غزوة على البحرين في قبائل كندة واتباعها من ربيعة.^(٢)

نهب زيادة وسبي النساء وكانت هند زوجة الملك حجر من بين النساء وعندما سألت عنه قالت " انه والله لن يدع طلبك حتى تعين القصور الحمر " قصور الشام " وكأني به في فوارس من بني شيبان يذمرهم ويذمرونه وهو شديد الكلب تزيد شفتاه كأنه بعير اكل مزارق " سمي بذلك في قصة طويلة مع زياد ومع زوجته هند.^(٣) ويذكروا ان حجر قتل زياد بن الهبولة ولكن صاحب المفصل يقول ان الفترة الزمنية بعيدة بين الرجلين، ويذكر ان حجر قد توفي ببطن عاقل ويرى "اوليندر" انه حكم في الربع الاخير من القرن الخامس للميلاد.^(٤)

(١) الغزي، مملكة كندة، ١٥-١٧.

(٢) الغزي، مملكة كندة، ١٥-١٧.

(٣) الذيب، منطقة الرياض، ٤٧.

(٤) الذيب، منطقة الرياض، ٤٧؛ الغزي، مملكة كندة، ١٦-١٧.

الملك عمرو بن حجر الكندي ٤٤٢-٤٩٠ م:

وهو المقصور لقب بذلك لإقتصاره على ملك أبيه واكتفائه به وهو لم يتلقب بلقب الملك بل قيل له سيد كندة . وتملك اخوه معاوية الجون في البحرين،^(١) وقد قيل ان علاقة المقصور مع مراكز القوى في زمانه حسنة فقد تزوج بنتا للملك حسان الملكي الحميري صاحب القوة في الجنوب وارتبط ايضا بعلاقة زواج مع المناذرة جيرانه في الحيرة فقد زوج ابنته لالاسود بن المنذر الذي اعقب النعمان بن الاسود الذي حكم الحيرة اربع سنوات (٤٩٩-٥٠٣ م) ، وارتبط ايضا بزوجه هند الهنود بنت ظالم بن وهب وكانت اختها ماريًا زوجة للحارث الاكبر الغساني، وحاول تعميق علاقته بالقبائل التي يحكمها فتزوج من ام اياس بنت عوف بن ملحم الشيباني من بكر بن وائل.^(٢)

ولكن كان نفوذ كندة يضعف في تلك الفترة فنهض ضدها كليب وائل وانتزع من المقصور ملك ربيعة وبذلك لم يبقى للمقصور الا كندة فقط، وقد قيل ان مقتل المقصور حصل على يد ربيعة بعد ان دخل المقصور في حرب بمساندة مرثد بن عبد ينكف الحميري . وقيل ان قاتله هو الحارث بن ابي شمر الغساني في حرب مع الغساسنة.^(٣)

الملك الحارث بن عمرو بن حجر اكل المرار الكندي:

وهو اكبر ابناء الملك المقصور وقد اختلف في تاريخ توليه مقاليد الحكم ما بين (٤٩٥-٥٢٨ م)، أو (٤٩٥-٥٢٤ م)، أو (٤٩٠-٥٢٧ م)،^(٤)

(١) الأنصاري، القصيم، ٢٧-٢٨؛ الغزي، مملكة كندة، ١٧-١٨ .

(٢) الذيب، منطقة الرياض، ٤٧-٤٨؛ الغزي، مملكة كندة، ١٧-١٨ .

(٣) الذيب، منطقة الرياض، ٤٧-٤٨؛ الغزي، مملكة كندة، ١٨ .

(٤) الأنصاري، القصيم، ٢٩؛ الذيب، منطقة الرياض، ٤٨ .

واخوانه حمير التابعة اجتمع به سلالة الملك في اليمن من جده اكل المرار الكندي ملك شمال الجزيرة ومن جده ابو امه الملك تبع حسان بن تبع الاكبر ابوكرب اسعد الكامل الحميري ملوك العرب وحكام جنوب الجزيرة التي بلغ حكمهم في فترات قوتهم الى سواحل الخليج واطراف بلاد فارس "حسب ما كشف حتى الان من اثار ونقوش".^(١)

وكان الملك الحارث عالي الهمة ملك به صفات الملك مجتمعة استطاع النهوض بكندة من جديد واعاد سلطانها المهيب فقد ارغم قبائل العربان من ربيعة على الخضوع له فقد رجعوا الى حكم كندة مهابة من قوة الملك الحارث ورهبة منه.^(٢)

وقد غزا اطراف مملكة الروم طمعا في ملك حلفاءها الغساسنة فقد ارسل الحارث جيشا لحرب الروم في فلسطين بقيادة ابنه حجر ولكن القائد الروماني في فلسطين رومانوس هزم حجر . وذلك نحو سنة ٤٩٧ م.^(٣)

في فترة حكم ملك الفرس قباذ (٤٨٨ - ٥٣١ م) حصلت في بلاد فارس فتنة المزدكية ويقال انه دعى المنذر ملك الحيرة لدخول هذا المذهب فرفض المنذر فعزله قباذ وعين الحارث الكندي ملك للحيرة.^(٤)

فما يرى ابن خلدون ان الامر ليس ذلك فقد ثارت قبائل العرب على المنذر مستغلة ضعف فارس ايام قباذ فطرده الى اباد فمات بها وملك الحارث في الحيرة في

(١) الغزي، مملكة كندة، ١٨-٢٣.

(٢) الذيب، منطقة الرياض، ٤٩.

(٣) الغزي، مملكة كندة، ١٨-٢٣.

(٤) الأنصاري، القصيم، ٢٩.

الفترة من (٥٢٤م-٥٢٨م) ففرق الملك بين أبناءه.^(١) وفي رواية لابن الكلبي أن الحارث قد غزا أرض العراق واستدعى ملوك اليمن لحرب الفرس فقدم الملك تبع واخية شمر الجناح وحاربا قباذ وهزمه . وان كانت هذه الرواية لابن الكلبي لم يثبتها التاريخ بعد.^(٢)

وقد اختلفت الروايات في نهاية الملك الحارث وهذا الاختلاف جاء كما قال ابن محفوظ في كتاب كندة مانصه، ولاتخلو الروايات المتعلقة بموت الحارث ونهايته من مؤثرات العواطف القبلية التي صبغت كل الاخبار التي يرويها الإخباريون. فقد روي أن قباذ قد توفي وخلفه كسري أنوشروان ولم يكن علي رأي ابيه في المزدكية فابعد الحارث وجاء بالمنذر فانتقم المنذر وقتل الحارث واسر ثمانية وأربعين من بنو آكل المزار وأعدمهم في ديار بني مرينا.^(٣)

فما يروي اخرون أن بني كلب هم من قتل الحارث ويرى اخرون ان الحارث خرج يصطاد فتعرضت له طريدة فاقسم ان لا يأكل شئ قبل كبدها فطارته الخيل ثلاثة أيام واتي به وقد كاد ان يموت من الجوع فشويت له الكبدة فاكل منها وهي حارة فمات، وهنا تبين صدق ما قاله ابن محفوظ في روايات موت الملك الحارث فالمناذرة يدعون انهم قد اخذوا حقهم من الحارث فانتقموا منه وقتلوه وكتب تدعي الشرف بقتلها للحارث فيما تروي كندة رواية تزعم بها ان لم يقتل احد الملك الحارث انما مات بسبب كبدة حارة اكل منها فمات.^(٤)

(١) الغزي، مملكة كندة، ١٨-٢٣.

(٢) الغزي، مملكة كندة، ١٨-٢٣.

(٣) الأنصاري، القصيم، ٢٩؛ الذيب، منطقة الرياض، ٥٢-٥٣.

(٤) الذيب، منطقة الرياض، ٥٢-٥٣.

تقلص مملكة كندة:

وهكذا انتهت حياة اخر امراء كندة في نجد شريدا طريداً غريباً فسبحان مقلب الاحوال فمن رأى بداية حياة الفتى الامير لم يكن يتصور أبدا ان تكون نهايته هكذا وقبل الانتهاء من عصر كندة النجدي نشير الى الاكيدر وهو من نسبه الناس الى كندة من السكون وكان يحكم دومة الجندل وهي سوق جاهلية معروفه ومنطقة مهمة في شمال بلاد العرب^(١).

كندة حضر موت:

وحضر موت موطن قديم من مواطن كندة ومنها ذهبوا الى نجد وغيرها وانما رجع جموع معاوية الاكرمين الى موطنهم الأصلي بحضر موت بعد سقوط دوله كندة في نجد بعد تلك الحروب مع القبائل والممالك الشمالية ولا سيما مع مناذرة الحيره . قام فيهم عمرو اقحل بن ابي كرب بن قيس بن سلمة بن الملك الحارث الكندي وقال “يامعشر كندة انكم قد اصبحتم بغير دار مقام وقد ذهب اشرافكم واخرق ملككم ولا امن العرب عليكم فالحقوا بحضر موت^(٢).”

وبعد مقتل ملك كندة في البحرين معاوية بن الجون يوم شعب جبله وصل حضر موت سبعا وثلاثين الف من قبائل كنده . وانتقلت رئاسة كندة من بنى اكل المرار الى بنى جبله بن عدي بن ربيعة بن معاوية الاكرمين “ حتى بعد الاسلام وكان زعيمهم الاشعث بن قيس الكندي “رضى الله عنه” التي توجهته كنده ملك عليها^(٣).

(١) علي، المفصل، ج٣، ٣٧٨.

(٢) علي، المفصل، ج٣، ٣٥٧.

(٣) علي، المفصل، ج٣، ٣٥٧.

دولة بني الحارث بن معاوية الاكرمين الكندية:

بعد خروج كنده من نجد انتقل الملك من بني اكل المرار الي بني الحارث بن معاوية كما اسلفنا وكان اول من ساد منهم قيس بن معد يكرب الكندي وقد لقب بالاشج لأثر شج في وجهه وعرف بالاعشى وقيل له بطريق اليمن وتفسر كلمه بطريق بمعنى الحاذق في الحرب والعارف بامورها^(١).

وقد تقاتل مع قبائل مراد ويشكر وبني الحارث بن كعب (٢٣٠-٢٥٥م) ملك قبيلة أسد،^٢ وبعض قبائل العرب الشماليه، ثم ملك ابنه الاشعث بن قيس وقد قيل انه من الجرارين باليمن وهم من يقودوا الفا من الرجال . ويقال ان الاشعث قد ملك رقاب اهل نجران وملك بلادهم وانفسهم وقد خاصمهم عند عمر رضى الله عنه في أيام خلافة الفاروق فاحتجوا عليه ان ذلك كان في الجاهلية فلما اسلموا سقطت تلك العبودية عنهم^(٣).

ومن ملوك كنده بحضر موت الملوك من بني عمرو وهم مخصوص ومشرح وحمد وابضعة بنو معد يكرب بن وليعة بن شرحبيل . وقد تلقبوا بلقب الملوك ووفدوا علي رسول الرحمة صلى الله عليه واله وصحبه وسلم . وقد لعنهم وقتلوا يوم الردة^(٤) .

(١) علي، المفصل، ج٣، ٣٥٧.

٢ (السيد محمد جاد، الملوك العرب والقبائل العربية وبداية الذاكرة التاريخية العربية في النقوش الرومانية المتأخرة، (الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)، ١٨.

(٣) علي، المفصل، ج٣، ٣٥٩.

(٤) علي، المفصل، ج٣، ٣٨١.

الفصل الرابع

أوضاع الجزيرة العربية في العصر الجاهلي

- أولاً: الوضع السياسي في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي.
- ثانياً: الأوضاع الدينية.
- ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية.

أولاً: "الأوضاع السياسية في العصر الجاهلي

أنظمة الحكم والحرب والسلام"

تعتبر القبيلة الوحدة السياسية عند العرب قديماً، وكانت مصدر القوة السياسية والدفاعية^(١)، وكان الوعي السياسي فيه ضيقاً محدوداً، لا يتجاوز حدود القبيلة أو حدود القبائل المنتمية إلى الجد^(٢).

(١) حتي، تاريخ العرب، ص ٣٤؛ علي، الفصل، ج ١، ص ٣٦٥؛ الشريف، مكة والمدينة، ٥٠.

(٢) علي، الفصل، ج ٤،

ولذا كان الوضع السياسي للعرب مفتتاً من الناحية السياسية إلى وحدات سياسية متعددة، قائمة بذاتها، تمثلها القبائل المختلفة، إذ أن العصبية فيه قضت على فكرة الترابط السياسي، حتى في حالة الانتساب إلى إحدى المجموعتين الكبيرتين: العدنانية و القحطانية، مما أدى إلى قيام صراع بين هاتين العصبيتين.

والقبيلة في البادية دولة صغيرة، تنطبق عليها مقومات الدولة، باستثناء الأرض الثابتة التي تحدد منطقة نفوذها، فمن المعروف أن أهل الوبر لم تكن لهم أوطان ثابتة بسبب تنقلهم الدائم وراء مصادر الماء والعشب، وكان ضيق أسباب الحياة في الصحراء حافزاً لهذه القبائل المتبدية على التنقل والتحرك، كما كان سبباً في اعتزائهم بالعصبية، التي أملت الظروف الصعبة المحيطة بهم. وبفضل العصبية أمكن لهذه القبائل أن تدافع عن كيانهما، والتغلب على غيرها، لتضمن لنفسها مورداً لحياتها. ولذلك كانت حياة القبائل المتبدية صراعاً دائماً، والصراع هجم ودفاع، فالهجوم يتم بقصد الحصول على مزيد من الرزق، والدفاع يقومون به للحفاظ على وجد القبيلة، والدفاع والهجوم يتطلبان التكتل والدخول في أحلاف مع القبائل الأخرى. ولهذا اعتبر قانون البادية قانون الغاب، وقوامه (الحق في جانب القوة)، فمن كان سيفه أمض وأقوى، كانت له الكلمة والغلبة وكان الحق في جانبه^(١)، وكان النظام القبلي أيضاً دعامة الحياة السياسية في الممالك العربية والامارات التي قامت في جنوب جزيرة العرب، وفي حواضر الحجاز وفي الإمارات العربية على تخوم الشام والعراق، فلم تنصهر القبائل التي نزلت في هذه المدن والحواضر في شعب واحد، كالشعب الروماني أو الشعب الفارسي، وإنما ظلت تحتفظ بتنظيمها القبلي^(٢)، على الرغم من اختلاط أنسابها وتداخل شعوبها، بحكم اختلاطها بغير العرب

(١) علي، المفضل، ج ٤، ٢١٤.

(٢) الشريف، مكة والمدينة، ٢٤.

ممن لا يعتبر بالمحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم^(١). ومن الملاحظ أن احتفاظ القبائل ببدايتها ووحشيتها يضمن لها الاحتفاظ بقوتها والتغلب على غيرها، وذلك لأنها تعتمد في حياة البادية على العصبية، مصدر قوتها. أما إذا اختلطت هذه القبائل بمناطق متحضرة، فإن خشوتها لا تلبث أن تتلاشي وتزول^(٢). والسبب في ذلك يرجع إلى عوامل منها: الزواج من أعجميات، أو بالنقل من قبيلة إلى أخرى أو بالأوستلحاق أي بانتساب عبد من العبيد لقبيلة عن طريق زواجه بامرأة من نساءها أو عن طريق إلحاق أبناء أم ولد بنسب رجل عربي. ومن هذه العوامل أيضا الولاء، وهو دخول خليع، أي شخص خلعت قبيلته، في قبيلة أخرى بقصد أن تحميه فيصبح مولى لها، ويدخل نسبه بمرور الزمن في نسبها، منها أيضا الحلف، وهو تحالف فريقين من قبيلتين مختلفتين وتعايشهما وانصهار أحدهما وهو الاضعف في الفريق الآخر وهو الأقوى^(٣).

وعلى الرغم من اعتزاز أهل القبيلة في البادية بفرديتهم، فإنها فردية منسجمة ومتماسكة مع الجماعة، بحكم رابطة العصبية، فالفرد يلبي نداء قبيلته إذا دعت إلى نصرتها في ساعات الخطر، فينصرها وينصر إخوانه ظالمين كانوا أم مظلومين، ثم إنه يقبل تحمل بعض مسؤولية أعمال غيره، فيساهم في دفع روح الديموقراطية والمساواة كانت الأساس الذي يقوم عليه المجتمع القبلي، وكان لكل قبيلة مجلس من شيوخها يرأسه شيخ يختارونه من بينهم^(٤)، وكانوا يسمونه بالرئيس أو الشيخ أو الأمير أو

(١) ابن خلدون، المقدمة، ٤٢٦.

(٢) علي، الفصل، ج ٢، ٤٣٨.

(٣) فروخ، تاريخ الجاهلية، ١٥٠.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ٥٥.

السيد^(١)، وكانوا يشترطون في اختياره أن يكون من أشرف رجال القبيلة، وأشدهم عصبية، وأكثرهم مالا، وأكبرهم سنًا، وأعظمهم نفوذًا، وكذلك كان من الضروري أن تتوافر فيه صفات محمودة كالسخاء والبيان والحلم الحنكة والحكمة والشجاعة، فرب هفوة صغيرة تصدر منه تثير حربًا أو تسبب كارثة للقبيلة وللحلف الذي تنزعمه، ذلك لأن أعصاب رجال البادية مرهفة حساسة تثيرها أقل الكلمات، لا سيما إذا كان الامر يتعلق بالشرف والجاهة^(٢)، ولهذا السبب كانت القبيلة تعتز بكرامتها، وقد يؤدي هجاء شاعر من الشعراء لشيخ من شيوخها أو لفرد منها إلى قيام الحرب بين قبيلة هذا الشيخ أو الفرد وبين قبيلة الشاعر، وكان للشاعر لذلك شأن كبير في حياة القبيلة، ومنزلة^(٣)، وكان إذا نبغ في إحدى القبائل شاعر أتت القبائل، فهنأتها بذلك.

كذلك كان للخطباء أثر كبير في الدفاع عن القبيلة، وفي تعظيمها عند غيرها، أو في دفعها إلى الحرب^(٤)، ففصاحة الخطيب، وقدرته على الإقناع تدفع الناس إلى الانقياد إليه والامتثال لأوامره، والناس في الجاهلية كانوا أحوج إلى ما يستنهض همهم، ويفتح أعينهم، ويقيم قاعدهم، ويشجع جبانهم، ويشد جنانهم، ويثير أشجانهم، ويستوقد نيرانهم، صيانة لعزهم أن يستهان، وتشفيًا بأخذ الثأر، وتحذرًا من عار الغلبة وذل

(١) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، (القاهرة: د.ن، ١٩٦٧م)، ج ١، ٤٩؛ أحمد الشريف، مكة والمدينة، ٢٥.

(٢) علي، المفصل، ج ٤، ٢١٥.

(٣) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ٨٤؛ ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ٥١؛ الشريف، مكة والمدينة، ٢٦.

(٤) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ١٥١.

الدمار، فكانوا أحوج إلى الخطب بعد الشعر لتخليد مآثرهم وتأيد مفاخرهم^(١). وكان على شيخ القبيلة أيضًا أن يعين الضعفاء، ويفتح بيته للنزلاء والأضياف ويدفع الديات عن فقراء قبيلته. وإذا كان من حق شيخ القبيلة أن يكن حكمه نافذًا على جميع أفراد قبيلته إلى جانب امتيازاته الأخرى في المرباع (أي ربع الغنيمة)، والصفايا (أي ما يصطفيه شيخ القبيلة من الغنائم قبل أن يجري القسمة)، والحكم (أي إمارة الجند)، والنشيطه، (أي ما أصيب من المال قبل اللقاء)، والفضول (ما لا يقبل القسمة من مال الغنيمة)^(٢)، فقد كان من النادر أن يستبد في حكمه وفي رئاسته للقبيلة، لأنه كان مضطرًا إلى مبايعة أهل الرأي في القبيلة. ولا يتخلف المر عن ذلك كثيرًا في المجتمعات الحضرية، فمن المعروف أن مجتمع الحاضر كان ينقسم إلى قسمين:

١ - القبيل أو الجماعة، هم جمهور القبيلة عامتها .

٢ - الملاء، وهم عليّة القوم وأشراف القبيلة وكبار أعيانها .

ويجتمع الملاء في مجلس يعرف بدار الندوة، أو المنتدى، أو النادي (كما جاء في القرآن الكريم) لتصريف أمور قبيلتهم، وكان مجلس القبيلة أو دار الندوة في الحاضرة يجتم للفصل في الخصومات، والتباحث في مشاكل القبيلة.

كان حب القتال مغروسًا في نفوس العرب في الجاهلية، حتى تحول إلى شغف بالسيطرة والغلبة عن طريق البغي والبطش والمبادرة بالعدوان، ولا يمكن التوصل إلى الحق والسيطرة إلا عن هذا الطريق^(٣).

(١) الألويسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ١٥١.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٣٧٥.

(٣) أحمد بن الأمين الشنقيطي، تراجم أصحاب المعلقات العشر، معلقة عمرو بن كلثوم، (القاهرة: ١٣٢٩هـ)، ٥٦.

وقد ذهب العرب في الجاهلية إلى اعتبار الظلم البغي الطريق الوحيد الذي يصل المرء بواسطته إلى الحق، فالحق هو القوة أو الحق في جانب القوة.^(١)

وفي سبيل التوصل إلى الحق استطاب العربي الموت في ساحة الوغى، وازدري الموت حتف الأنف، وأنف منه، فالميتة الكريمة هي أن يموت الرجل في ميدان الحرب.^(٢)

وقد ظلت هذه الروح الجاهلية مغروسة في قلب الجاهلي حتى جاء الإسلام فحمد أوارها بعض الشيء، ثم انبعثت في أقل من نصف قرن عندما تنازعت العصبيتان المضرية واليمينية.^(٣)

النظم الحربية في العصر الجاهلي:

لم يكن عند قبائل العرب المتبدية جيوش منظمة، ولكن جميع أفراد القبيلة شيوخاً وشباناً كانوا يلبون نداء القبيلة عندما يستنفرهم رئيسها، وقد رأينا أن العرب، كانوا يندفعون في ذلك وراء العصبية. وكانت النساء يشاركن الرجال في الحرب، إما لبعث الحمية والحماسة في قلوب الرجال، كما فعلت نساء شيان وبكر بن وائل وعجل في يوم ذي قار،^(٤) وكما فعلت مذحج يوم فيف الريح، وكان بين عامر بن صعصعة

(١) أبو العباس الشيباني، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، (القاهرة: د.ن، ١٩٤٤)، ٣٠؛ تراجع أصحاب المعلقات العشر، ٣٣.

(٢) أبو عبادة الوليد بن عبيد البحر، كتاب الحماسة، تحقيق: لويس شيخو اليسوعي، (بيروت: د.ن، ١٩١٠)، ٣٩.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٢٩٠.

والحارث بن كعب^(١)، عندما حملت معها النساء والذراري حتى لا يفر الرجال من المعركة.^(٢)

أيام العرب:

وقصد بأيام العرب الوقائع والمعارك التي نشبت بين قبائل العرب في الجاهلية، وهي وقائع كانت تنشب لأسباب متعددة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية، فبعض القبائل كانت ترى الغزو أمراً طبيعياً لتسود وتسيطر وتستأثر بالرياسة والسؤدد، كالحرب التي قامت في يثرب بين الأوس والخزرج، أو لتتخلص من حكم أجنبي، كالحرب التي قامت بين ربيعة واليمن بقصد رغبة ربيعة في التحرر من طاعة اليمن. وقد يكون الهدف اقتصادياً، فإن ضيق أسباب الحياة في الجزيرة العربية أوجد حركة مستمرة نحو الماء والمرعى، والتسابق على موارد المياه ومنابت العشب كان سبباً في قيام الحرب بين المتسابقين^(٣)، أو بين الوافدين والنازلين بهذا الموضع من قبلهم. وقد يكون الدافع للحرب مجرد الرغبة في الغزو كالوقائع التي قامت بين تميم وبكر في يوم النجاج وئتل^(٤)، أو الاستجابة لما تتطلبه التبعية للروم أو للفرس مثل يوم عين أباغ ويوم حليمة. وقد تكون لأسباب نفسية نابعة من الرغبة في الدفاع عن الكرامة والشرف، أو بسبب اعتداء على ضيف أو حليف، أو بسبب قصيدة في الهجاء، أو بسبب المصيبة.

(١) محمد أحمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب، (القاهرة: د.ن، ١٩٤٢م)، ١٣٢.

(٢) الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ٢٦٠.

(٣) علي، المفصل، ج ٤، ٢١٤.

(٤) زيدان، العرب قبل الإسلام، ٢٥٧.

وهكذا كانت حياة العرب قتال في قتال، دماء تسفك، ودماء تراق. ولم يكن يطفئ الدم إلا سفك دم جديد، ويتعدد القتل والثأر، وتتوارث القبائل المتخاصمة الثارات، حتى إذا تفاقم الأمر وأتت الحرب على الحرث والنسل، تداعوا إلى الصلح، وتحمل الديات والمغارم^(١). ولكثرة سفك الدماء اصطلاح العرب على أشهر أربعة حرم فيها القتال تعرف بالأشهر الحرم وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب^(٢)، ومع ذلك فقد كان النساء ينسئون الشهور أي يؤخرونها ويحرمون مكانها أشهرًا يحل فيها القتال، وأول من نسأ الشهر حذيفة ابن عبد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة^(٣).

وأيام العرب كثيرة للغاية، وعلى الرغم من كثرة ما رواه الأخباريون عنها، فإنهم لم ينقلوا منها إلا عددًا قليلًا من الأيام التي كان لها أهمية خاصة وأهملوا الأيام التي لم تكن لها آثار هامة في حياة العرب. وذكروا أن أبا عبيدة (ت سنة ٢١١هـ) صنف كتابًا أفرده لرواية ١٢٠٠ يوم من أيام العرب، وللاسف لم يصل إلينا^(٤). ومعظم هذه الأيام تحمل أسماء المواضع التي قامت بجوارها أو قريبًا منها مثل يوم ذي طلوح، ويوم النجاج، ويوم خزاز، ويوم جدود، ويوم ذي قار، ويوم فلج، ويوم أوراة، ويوم الوقيط، ويوم عين أباغ، ويوم قشاوة، ويوم الشيطان، ويوم الرحرهان، ويوم الذنائب. وقد تسمى بعض أيام العرب بأسماء من تسبب

(١) ضيف، العصر الجاهلي، ٦٢.

(٢) ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ج ١، ٥١.

(٣) ابن هشام، ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ٤٦-٤٧.

(٤) وذكر الألوسي، أن أبا الفرج الاصفهاني استقصى حسب امكانه أيام العرب في كتاب أفرد

لذلك فكانت ألفًا وسبعمائة يوم. انظر: الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٢، ٦٨.

في قيامها، مثل حرب البسوس، وحرب داحس والغبراء أو بالمناسبة التي تحدث فيها مثل حرب الفجار.

وتختلف أيام العرب بحسب وقوعها بين المتخاصمين، فهناك أيام حدثت بين القبائل القحطانية وحدها، وأيام وقعت بين العدنانية وحدها، وأيام وقعت بين القبائل القحطانية والعدنانية، وأيام وقعت بين الغساسنة أتباع الروم والمناذرة أتباع الفرس، ومنها يومان وقعا بين العرب والفرس هما يوم ذي قار ويوم الصفقة. وأيام العرب غير منسقة وفقاً لترتيب وقوعها تسلسل أزمانها، بحيث يصعب على الباحث تنظيمها على أساس تاريخي. وسنقتصر هنا على تلخيص بعض الأيام المشهورة:

١ - يوم خزاز (أو خزازي): ذكر ياقوت أن خزاز جبل بطخفة بنجد ما بين البصرة إلى مكة^(١) ويوم خزاز من الوقائع الكبرى التي وقعت بين العدنانية والقحطانية، بين معد ومذجع وانتهت بانتصار معد، إلى هذه الواقعة يرجع الفضل في تحرر عرب عدنان من التبعية لحمير. وسبب هذا اليوم أن مضر وربيعه اجتمعوا على أن يجعلوا منهم ملكاً يقضي بينهم، فكل أراد أن يكن منهم، ثم تراضوا على أن يكون من ربيعة ملك، ومن مضر ملك، ثم اختلفت بطون مضر وربيعه على ذلك، وأخيراً اتفقوا على أن يتخذوا ملكاً من اليمن، فملك بنو عامر شراحيل بن الحارث ابن عمرو المقصور الذي يرتفع نسبه إلى كندة، وملك بنو تميم وضبة محرق بن الحارث، وملك وائل شرحبيل بن الحارث، وملك تغلب وبكر سلمة بن الحارث، وملك بقية قيس غلفاء وهو معد يكرب بن الحارث، ملك بنو أسد

(١) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ٣٦٥.

وكنانة حजर بن الحارث، ثم ثار بن أسد بحجر وقتلوه، ونهضت بنو عامر على شراحيل فقتله، وقتل بنو تميم محرّقا، وقتلت وائل شرحبيل، ولم يتبق من بني آكل المرار غير سلمة .

وأراد سلمة بن الحارث أن يثأر لإخوته، فجمع جموع اليمن وزحف إلى الشمال ليقتل نزارا، بلغ ذلك نزارا فاجتمع منهم بن عامر بن صعصعة وبنو وائل تغلب وبكر، وبلغ الخبر إلى كليب وائل وهو " وائل بن ربيعة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل " ، فجمع ربيعة، وقدم على مقدمته السفاح التغلبي واسمه سلمة بن خالد، وأمره بأن يعلو جبل خطاطي، فيوقد به النار ليهتدي الجيش بناره، وأوصاه أن يوقد نارين إذا غشيه العدو، واقتل سلمة ومعه جموع قبائل مذحج، وهجمت مذحج على خزازي ليلاً، فرفع السفاح نارين، فأقبل كليب في جموع ربيعة إليهم، فصحبهم بخزازي، واشتبك الفريقان وانتهى ذلك بانتصار ربيعة وهزيمة اليمن .

ويوم خزاز على حد قول أبي زياد الكلابي أعظم يوم التقتة العرب في الجاهلية، ففيه تحررت معد من سيطرة حمير، ظلت معد ممتنعة قاهرة لليمن حتى جاء الأوسلام^(١) .

٢ - حرب البسوس:

تعتبر من الحروب الهامة في تاريخ العرب في الجاهلية، فقد كانت حرب البسوس معارك متفرقة حيناً ومتباعدة حيناً آخر، ودامت وقائعها نحواً من أربعين سنة منذ نشبت في العشر سنين الأخيرة من القرن الخامس الميلادي إلى أن انسحب

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ١ ، ٣١٠ ؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٢ ، ٣٦٦ ؛ زيدان، العرب قبل الإسلام، ٢٥٤ ؛ فروخ، تاريخ الجاهلية، ٩٧-٩٨ .

عدي بن ربيعة المعروف بمهلhel فيما يقرب من سنة ٥٢٥ م^(١). وقد ضرب العرب بحرب البسوس المثل، فقالوا: (أشأم من سراب).

وتفصيل حرب البسوس أن لواء ربيعة بن نزار كان يتوارث بين بنيه من الأكبر إلى الأكبر من ولده، فكان اللواء في عنزة بن أسد بن ربيعة، ثم تحول اللواء في عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد، ثم تحول إلى النمر بن قاسط بن هنب، ثم إلى بكر بن وائل ثم إلى تغلب، فوليه وائل بن ربيعة، المعروف بكليب^(٢)، بطل يوم خزازي، وكانت معد قد شرفته فجعلت له التاج والطاعة وأصبح سيد بني معد، فدخله وهو شديد وبغي على قومه، وكان لكليب حمى من العالية لا يقربه أحد قط، ولا يتجرأ شخص أن يطأه، وجعل في حمايته بعض أنواع الوحش حتى كان يقول: (وحش أرض كذا في جوارى فلا يصاد)^(٣).

وأصبح الناس لا يراعون إبلهم مع إبله، ولا يوقدون نارًا مع ناره، ولا يتجرأ أحد أن يمر بين بيوته، ثم تزوج كليب امرأة من شيبان من بكر هي جليلة بنت مرة بن شيبان أخت جساس بن مرة، واتفق أن رجلاً يقال له سعد بن شمس ابن طوق الجرمي نزل بالبسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس، وكان للجرمي ناقة اسمها سراب تركها ترعى مع نوق جساس في حمى كليب. فخرج كليب يومًا يتعهد الإبل ومراعيها، فأتاها وتردد فيها، وكانت إبله وإبل جساس مختلطة، فنظر كليب إلى

(١) فروخ، تاريخ الجاهلية، ٩٨.

(٢) لقب بكليب لانه كان اذا سار اخذ معه جرو كلب، فاذا مر بروضة أو بموضع أعجبه ضربه ثم ألقاه في ذلك المكان وهو يصيح ويعوي، فلا يسمع عواءه أحد الا تجنبه. انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٣١٢.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٣١٣.

سراب، فأنكرها وسال جساساً، وكان في صحبتته، عن أمرها، فأخبره بخبرها، فأمره كليب بإبعادها عن حماء، فاستاء جساس من ذلك لأن الجرمي نزيله وضيغه وله عليه حق الجوار، فلم يملك غضبه وقال لكليب، (لا ترعى إيلي مرعى إلا وهذه معها)، فقال كليب: (لئن عادت لأضمن سهمي في ضرعها)، فرد عليه جساس بقوله: (لئن وضعت سهمك في ضرعها لأضمن سنان رمحي في لبتك)^(١). وافترقا، فذهب كليب إلى زوجته وقص عليها ما حدث بينه وبين أخيها جساس، فخافت عاقبة التنافر والتحدي، وأصبحت إذا أراد الخروج إلى الحمى منعه ناشدته الله أن لا يقطع رحمه، وكانت تنهى أخاها جساساً أن يسرح إبله. وخرج كليب يوماً إلى الحمى، وجعل يتصفح إبله، فرأى ناقة الجرمي، فرمي ضرعها، فأنفذه، فولت ولها عجيج حتى بركت بفناء صاحبها. فلما رأى ما بها صرخ بالذل، وسمعت البسوس صراخ جارها، فخرجت إليه، فلما رأت ما حل بناقته، وضعت يدها على رأسها وصاحت: (واذلاه)، وكان جساس حاضراً، فأسكتها وسكن الجرمي، قال لهما (إني سأقتل جملاً أعظم من هذه الناقة، سأقتل غلالاً)، وكان غلال فحل إبل كليب، وكان جساس يقصد بمقالته كليياً، وخرج جساس يتحين الفرص لينال مرامه من كليب فخرج كليب يوماً آمناً، فلما بعد عن البيوت، ركب جساس فرسه وحمل رحمه وسار في أثره يتعقبه، حتى أدركه، وقال لكليب: (يا كليب الرمح وراءك)، فقال: (إن كنت صادقاً فاقبل إلى من أمامي)، فلم يعبأ جساس بما قاله، وطعنه من الخلف فأرداه قتيلاً، ولما علم قوم كليب بمقتله دفنوه. وقد شقوا الجيوب وخشوا الوجوه، وخرجت الأبقار وذوات الخدور إليه، وطردها جليلة بنت مرة لأنها أخت قاتل كليب. وكان لكليب أخ اسمه المهلهل،

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٣١٣.

يضرِب به المثل في الشجاعة، وكان يوم مقتل أخيه عاكفًا على الشراب، فلما بلغه مقتله جز شعره، وقصر ثوبه وهجر النساء، وترك الغزل، وحرم القمار والشراب، وجمع قومه للثأر، ولأرسل منهم وفدًا إلى بني شيبان وعليهم مرة بن ذهل بن شيبان في نادي قومه، فقالوا له: إنكم أتيتم عظيمًا بقتلكم كليبًا بناقة، وقطعتم الرحم، وانتهكتم الحرمة. وإنا نعرض عليك خللاً أربعا لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع: إما أن تحيي لنا كليبًا، أو تدفع إلينا قاتله جساسًا فنقتله به أو همامًا فإنه كفء له، أو تمكنا من نفسك، فإن فيك وفاء لدمه). فقال لهم: (أما إحيائي كليبًا فلست قادرًا عليه، وأما دفعي جساسًا إليكم فإنه غلام طعن طعنة على عجل وركب فرسه فلا أدري أي بلاد قصد، وأما همام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، كلهم فرسان قومهم، فلن يسلموه بجريرة غيره، وأما أنا فما هو إلا أن تجول الخيل جولة فأكن أول قتيل، فما أتعجل الموت. ولكن لكم عندي خصلتان: أما إحداهما فهؤلاء أبنائي الباقون، فخذوا أيهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم، وأما الأخرى، فإني أدفع إليكم ألف ناقة سود الحدق حمر الوبر^(١). فغضب القوم، ونشبت الحرب بينهم، فكان أول قتال بينهم، في قول، يوم عنيزة عند فلج تكافاً فيه الفريقان، ثم التقوا بعد فترة في ماء يقال له النهى، ثم التقوا بالذئاب وهي أعظم وقائع البسوس، فظفرت بنو تغلب وقتل شراحيل بن مرة بن همام بن ذهل وقتل الحارث بن مرة، وقتل عمرو بن سدوس ابن شيبان، وغيرهم من رؤساء بكر، فقتل همام بن مرة.

ومن أيام البسوس أيضًا، يوم القصيات، يوم قضة، ويوم النقية، ويوم الفصيل، دامت الحرب أربعين سنة قتل فيها جساس على يدي الهجرس بن كليب. ولم

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٣١٨.

تنته الحرب إلا بعد أن قام قيس بن شراحيل بن مرة بالصلح بين بكر وتغلب، بعد أن ترك مهلهل ديار قومه إشفافاً عليهم من استمرار الحرب، ومضى إلى اليمن، ونزل في جنب وهي حي من مذحج^(١).

٣ - حرب داحس والغبراء:

تعتبر هذه الحرب من أيام العدنانية المشهورة، وحدثت بين بني عبس وبين بني ذبيان وبني غطفان، وكانت مناوشات استمرت زهاء أربعين سنة (من ٥٦٨ إلى ٦٠٨ م). وكان سببها أن حذيفة بن بدر الفزاري كانت له خيل كثيرة، فقدم إليه فتى من عبس يقال له ورد بن مالك، وقال له: (لو اتخذت من خيل قيس، فحلاً يكون أصلاً لخليك. فقال حذيفة: خيلي خير من خيل قيس)، يقصد هنا "قيس بن زهير العبسي سيد عبس"، ولجا في ذلك حتى تراهنا على فرسين من خيل قيس هما الخطار والحنفاء، وفرسين من خيل حذيفة هما، داحس والغبراء، قيل هما الخطار والحنفاء، وفرسين من خيل حذيفة هما، داحس والغبراء، وقيل أن الرهن على التسابق كان على فرسي داحس والغبراء. واتفق حذيفة وقيس على أن يكون السباق قدر مائة وعشرين غلوة، والسبق مائة بعير، فخاف حذيفة أن يظفر قيس بالرهن فأقام رجلاً من بني أسد في الطريق، وأمره أن يعترض داحساً والغبراء في وادي ذات الاصاد ويعقهما عن السباق، فلما وصل داحس إلى الثنية، وكان سابقاً، اعترضه الأوسدي، ثم وصلت الغبراء بعده مصلية (أي الثانية)، وتجنب راكبها طريق الثنية حتى لا يعترضه الأوسدي وانتهى السباق بسبق الغبراء، وتبعها الخطار فرس حذيفة، ثم الحنفاء فرسه أيضاً ثم جاء داحس بعد ذلك، واختلف قيس وحذيفة في السبق، طالب حذيفة

(١) القلقشندي، صبح الأعشي، ج ١، ٣٩١.

بالرهن وأرسل ابنه إلى قيس يطالبه به، فقتله قيس، فقامت الحرب بين عبس وذبيان فكانت أولى الوقائع بينهما على ماء يقال له العذق، ومن أيامها يوم البوار ويوم ذات الجراجر، ولم تتوقف الحرب إلا بعد أن تدخل الحارث بن عوف بن حارثة المري، وهرم بن سنان، وتم الصلح بين عبس وذبيان^(١).

ثانياً: الأوضاع الاقتصادية

ازدهرت الحياة الاقتصادية في الجزيرة العربية قديماً، فقد كان يشقها «شريان رئيسي من شرايين التجارة العالمية، تتفرع منه شرايين تتجه صوب الشرق والشمال الشرقي، وفي موازاته شريان رئيسي آخر كان له خطره في عالم تجارة ذلك الزمن»^(٢)، ونقصد بهذا الشريان الثاني طريق البحر الأحمر الموصل إلى الهند، ولذلك كانت الحجاز جسراً يربط بلاد الشام وحوض البحر المتوسط باليمن والحبشة والصومال والسواحل المطلة على المحيط الهندي، وكان لذلك أعظم الأثر في قيام مدن تجارية بالحجاز تعتبر محطات تجارية واقعة على هذا الطريق البحري، وفي قيام ثغور تجارية تتمير منها سفن الروم بالبضائع ومنتجات الهند مثل ثغر الشعيبية^(٣) مرفأ مكة القديم قبل ظهور ثغر جدة، وثغر ينبع مرفأ يثرب. أما من الناحية الدينية، إن المعروف أن بلاد الحجاز كانت لها أهميتها الدينية، ففيها تلاقت جميع الأديان الوثنية إلى جانب اليهودية والنصرانية، وفيها ظهر الإسلام كدين ودولة.

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٣٤٣-٣٥٥.

(٢) علي، المفصل، ج ٤، ص ١٦١.

(٣) أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرق، أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، نشره: الأستاذ رشدي

الصالح ملحس، (مكة: د.ن، ١٣٥٢هـ)، ج ١، ص ١٠١.

تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم



ولما ضعف شأن الحميريين تخلصت بلاد الحجاز من نفوذ اليمن، ولكن الأنباط استغلوا هذه الفرصة، وأخذوا يفرضون سلطانهم على شمال الحجاز، ويدل عثورنا على كتابات نبطية في العلا ومدائن صالح ترجع إلى القرن الأول الميلادي على أن الأنباط توغلوا في الحجاز، وبسطوا سلطانهم المادي والروحي عليها، وفرضوا على أهلها حضارتهم ثقافتهم، فاتخذ الحجازيون آلهة الأنباط مثل: ذو الشرى واللات والعزى ومناة وهبل، آلهة لهم، كما أخذوا يكتبون بالخط النبطي^(١). ويؤيد ذلك أن بلاد العرب كانت تنقسم عند الجغرافي استرابون إلى قسمين: الشمالي بلاد العرب الصخرية، والجنوبي بلاد

(١) نامي، أصل الخط العربي، ١٠٥، عجلوني، حضارة الأنباط، ١٠٩-١١٣.

العرب السعيدة، ويستتج الأستاذ يحيى نامي من هذا التقسيم أن القسم الشمالي من بلاد العرب كان تابعاً لسلع أي بلاد الأنباط^(١). ولقد أدرك الرومان أهمية بلاد الحجاز، فأخذوا يتطلعون إلى السيطرة على الطريق التجاري إلى الهند عبر البحر الأحمر وذلك بالاستيلاء على اليمن، فاستغلوا تبعية شمال الحجاز للأنباط، وسيروا حملتهم بقيادة اليوس جالوس، استعانوا فيها بفرقة من الأنباط عدتها ألف مقاتل نبطي، كما استعانوا بوزير الأنباط ويدعي سليوس أو صالح ليكون مرشداً لهم ودليلاً عبر مفاوز الحجاز^(٢). ثم تجددت منذ أيام جستنيان فكرة السيطرة على الطريق التجاري إلى الهند^(٣)، ويذكر بروكويوس أن ملك الحبشة المسيحي كان يسعى إلى تحريض الأقطار المطلة على البحر الأحمر ضد فارس، و السيطرة بمساعدتهم على منسوجات الحرير المستوردة من الصين^(٤). ولكن فارس التي كانت تسيطر على وادي الرافدين ومصبتها ظلت تحتفظ بمفتاح المواصلات في آسيا الوسطى، على الرغم من المحاولات الفاشلة التي قام بها البيزنطيون لتحطيم الستار الحديدي^(٥). ومع أن البيزنطيين أثبتوا نجاحهم في السيطرة على الطريق البحري عبر البحر الأحمر بفضل حلفائهم الأحباش الذين استولوا على اليمن، فانهم أخفقوا عندما حاولوا مد نفوذهم على الحجاز عن طريق الأحباش كذلك، وفشلت حملة أبرهة فشلاً ذريعاً^(٦)، كما فشلت حملة ايليوس جالوس قبل ذلك بقرون.

(١) نامي، أصل الخط العربي، ١٠٥؛ عجلوني، حضارة الأنباط، ١٠٩-١١٣.

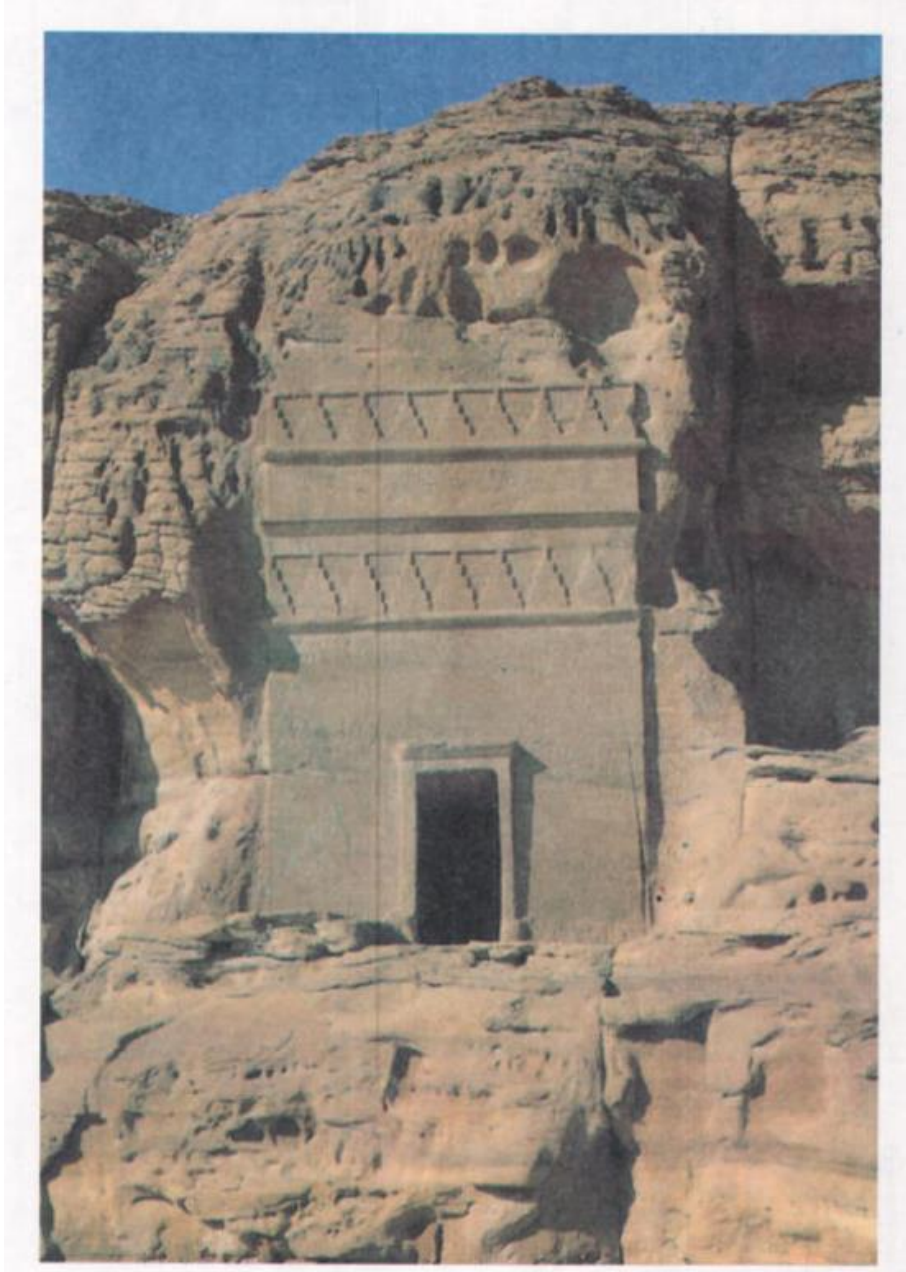
(٢) عجلوني، حضارة الأنباط، ٨٧-٨٩.

(٣) Lammens, La Mecque à la veille de l'Hégire, Beyrouth, (1924), 9.

(٤) Percy Neville Ure, Justinian and his age, Penguin Books series to London, (1951), 67.

(٥) Lammens, La Mecque à la veille de l'Hégire, 9.

(٦) علي، المفصل، ج ٤، ١٦٥.



مدائن صالح

أوضاع الجزيرة العربية في العصر الجاهلي

ولم يطل مقام الأحباش في اليمن، إذ حل محلهم الفرس، وتقلص نفوذ البيزنطيين، وأصبح يقتصر على فلسطين، وعاد للطريقين البريين إلى الهند عبر الفرات ودجلة من جهة وعبر اليمن والشام عن طريق مكة من جهة ثانية مكانتهما الأولى، وجنت الحيرة في ظل المناذرة، ومكة في ظل بني النضر من وراء ذلك مكاسب هائلة. أما الطريق البحري عبر البحر الأحمر، فقد أصبح خالياً من سفن الروم، ولم تعد البحرية الحبشية تقوى على سد الفراغ فيه، وأصبح ميداناً لسفن القراصنة بالإضافة إلى صعوبة الملاحة فيه^(١).



(١) الشريف، مكة والمدينة ١٤٤.

ومنذ نهاية القرن السادس الميلادي احتكرت قريش تجارة الهند بفضل جهود زعيمها هاشم بن عبد مناف، الذي يعتبر أول من سن رحلتي قريش: رحلة الشتاء إلى الشام ورحلة الصيف إلى الحبشة^(١)، وقيل، رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، ورحلة الصيف إلى الشام^(٢)، ويذكر اليعقوبي في ذلك أن تجارة قريش كانت لا تعدو مكة، فكان القرشيون يعانون ضيقاً بسبب ذلك، إلى أن رحل هاشم إلى بلاد الشام التابعة لبلاد قيصر، وشاع عنه الكرم والسماحة، وبلغ ذلك قيصر، فأرسل إليه، فلما رآه وسمع كلامه أعجب به، فقال له هاشم: «أيها الملك لي قوم وهم تجار العرب، فتكتب لهم كتاباً يؤمنهم ويؤمن تجارتهم حتى يأتوا بما يستطرون من أدم الحجاز وثيابه، ففعل قيصر ذلك، فجعل كلما مر بحي من العرب أخذ من أشرافهم الإيلاف (أي العهد) أن يأمنوا عندهم وفي أرضهم، فأخذوا الإيلاف من مكة والشام»^(٣). وذكر البلاذري أن هاشم ابن عبد مناف أخذ لقريش وعصماً من ملوك الشام، فتجروا آمنين، ثم إن أخاه عبد شمس أخذ لهم عصماً من صاحب الحبشة، وإليه كان متجره، وأخذ لهم المطلب بن عبد مناف عصماً من ملوك اليمن، وأخذ لهم نوفل بن عبد مناف عصماً من ملوك العراق، فألفوا الرحلتين في الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، وفي الصيف إلى الشام^(٤) وقد ساعد على احتكار قريش لتجارة الهند والحبشة واليمن الحروب المتواصلة بين فارس وبيزنطة، وهي حروب انتهت بتغلب الفرس على

(١) اليعقوبي، كتاب البلدان، ج ١، ٢٠٢.

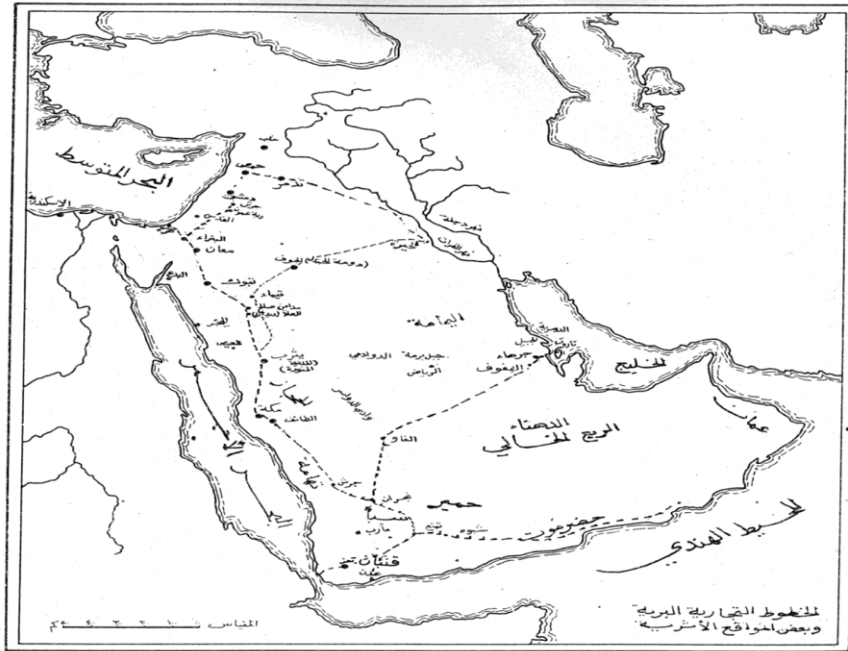
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥٩.

(٣) اليعقوبي، كتاب البلدان، ج ١، ٢٠١.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ٥٩؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ٨٤-٨٥.

أوضاع الجزيرة العربية في العصر الجاهلي

الروم^(١)، وبإغلاق المسالك التجارية عبر آسيا الغربية، وهكذا أصبحت الحجاز ملتقى القادم إلى اليمن أو المجتاز إلى الطائف أو المتوجه إلى الشام والمشرق^(٢)، وساعد موقع الحجاز بين الشام واليمن على طريق التجارة بين الشمال والجنوب على قيام مدن تجارية ينزلها التجار، ويحطون بها للراحة، فازدهرت مكة والطائف ويثرب.



وهناك عامل آخر ساعد على ازدهار هذه المدن، هو قربها من الأسواق التجارية المشهورة التي كانت تعقد في الأشهر الحرم لتأجير الناس أثناءها على أموالهم

(١) سورة الروم رقم ٣٠، آية ١ - ٢.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ٤١ - ٤٢.

وأنفسهم^(١)، مثل سوق عكاظ الذي كان يقام في بسيط من الأرض بين مكة والطائف ويلز لها قريش وسائر العرب وأكثرهم من مضر، وسوق مجشة وكانت سوقاً بأسفل مكة لبني كنانة، وسوق حباشة بالقرب من بارق وكانت سوقاً للأزد، وسوق ذي المجاز، وكانت لهذيل بالقرب من عرفة. ويذكر الأزرقى أن الناس كانوا يخرجون في موسم الحج في شهر ذي الحجة، «فيصبحون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة، فيقيمون به عشرين ليلة، تقوم فيها أسواقهم بعكاظ، والناس على مداعيهم ودراياتهم، منحازين في المنازل، تضبط كل قبيلة أشرافها وقادتها، ويدخل بعضهم في بعض للبيع والشراء، ويجتمعون في بطن السوق، فإذا مضت العشرون انصرفوا إلى مجنة فأقاموا بها عشراً، أسواقهم قائمة، فإذا رأوا هلال ذي الحجة، انصرفوا إلى ذي المجاز، فأقاموا به ثمان ليال، أسواقهم قائمة، ثم يخرجون يوم التروية من ذي المجاز إلى عرفة، فيتروون ذلك اليوم من الماء بذى المجاز...»^(٢).

ثالثاً: الأوضاع الاجتماعية

كان المجتمع القبلي في الجاهلية ينقسم إلى ثلاث طبقات اجتماعية: طبقة أبناء القبيلة، وطبقة الموالي الذين اندمجوا في القبيلة عن طريق الحلف أو الجوار، ثم طبقة العبيد والرقى.

أما طبقة أبناء القبيلة الذين يرتبطون فيما بينهم برابطة الدم، وهم جمهور القبيلة ودعامتها، وكانوا يهبون لتلبية نداء القبيلة والتضامن معها ظالمة أو مظلومة، والقبيلة نظير ذلك تسبغ عليهم حمايتها، وتمنحهم حق التصرف كالأجارة، ولكنها لا تبيع لهم

(١) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ١٦٦.

(٢) الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ١٢٢-١٢٣.

الخروج على العرف والتقاليد، فإذا سلك الفرد سلوكاً شائناً يسيء إلى سمعة القبيلة، ويجلب عليها العار، نبذته القبيلة، وأخرجته منها^(١)، فيعتبر خلع قبيلته، وعندئذ يلجأ إلى قبيلة أخرى، فيعتبر جاراً له أو مولى من مواليها، أو يلجأ إلى الصحراء، ويعيش على قائم سيفه وحد نصله، ويصبح صعلوكاً من صعلاليك العرب، أو مغامراً، ليتخلص من شقاء الفقر^(٢) وذل الفاقة، إذ كان أبي النفس ذا أنفة.

أما طبقة الموالي، فيدخل فيها الحلفاء وهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم وفصلتهم عنها وتبرأت منهم لجرائم ارتكبتها، ثم دخلوا في قبيلة أخرى على أساس المواالة بالجوار، وكان الخلع يتم في الأسواق والمحافل، كما يدخل فيها الصعلاليك المغامرون كما يدخل في طبقة الموالي أيضاً العتقاء، وكانوا في الأصل عبيداً ثم أعتقوا^(٣). وكان لهؤلاء الموالي سواء كانوا حلفاء أو عتقاء نفس حقوق أفراد القبيلة التي يوالونها وعليهم نفس الواجبات، ولكن رابطة الجوار كانت موقوتة، فهي تبقى ببقاء الجار في كنف مجيره، وتحل بنخروجه، وفي هذه الحالة يعلن المجير أنه في حل من حمايته. ولكن رابطة الحلف تبقى، فهي رابطة قوية غير مؤقتة، وكانت هناك أحلاف فردية وأحلاف جماعية كأن تتحالف قبيلة مع قبيلة أخرى، والحلف في هذه الحالة أشبه بمعاهدة. وقد شاع نظام الحلف في العصر الجاهلي وانتشر انتشاراً واسعاً قبيل الأسلام حتى أن القبائل التي اعتمدت على نفسها ولم تدخل في أحلاف سميت جمرات العرب، لاعتمادها على شجاعة أبنائها الفردية.

(١) الشريف، مكة والمدينة، ٣٤.

(٢) الشريف، مكة والمدينة، ٣٥.

(٣) ضيف، العصر الجاهلي، ٦٧؛ الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ٢١٤.

ويتم الحلف عن طريق الموائيق والعهود، حيث كان العرب يعقدون الحلف على دم الذبائح، أو بغمس الأيدي في جفان مملوءة بالدماء أو بغمسها في الطيب كحلف المطيين، أو في الرب وهو عصارة الثمار، كحلف الرباب، وحلف الحمس، وحلف قريش والأحابيش^(١). أما العتقاء فهم موالى أيضاً، ويرتبط المعتق بسيده العاتق برابطة الولاء.

أما طبقة الرقيق فكانت تؤلف طبقة كبيرة في المجتمع القبلي في الجاهلية، والرقيق إما أبيض أو أسود، ومعظمهم يشتري في الأسواق، وبعضهم يجلب من أسرى الحروب. وكان العدد الأعظم من الرقيق عبيداً سوداً يعرفون بالأحابيش^(٢) يستقدمون من الحبشة أو السودان، ولكن بعضهم كان من بين الأسرى في الحروب، رومًا كانوا أم فرسًا^(٣)، وكان أبناء الإماء البيض من آباء عرب يعرفون بالهجناء، أما أبناء الإماء السود، فيطلقون عليهم اسم أغربة العرب، ومن هؤلاء عنزة بن شداد. وكانت طبقة العبيد في المجتمع الجاهلي طبقة محرومة من الامتيازات، بل على العكس من ذلك كانت طبقة مثقلة بالواجبات نحو ساداتها، وكان يوكل إليهم بالأعمال التي يأنف العرب من القيام بها مثل الرعي والحدادة والحجامة والنجارة. وكان في إمكان العبد أن يعتق إذا قام بعمل خارق أو أدى خدمة عظيمة لسيده تبرر عتقه وتحريره.

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٧٦؛ الشريف، مكة والمدينة، ٣٤ - ٤٧.

(٢) Lammens, L'Arabie Occidentale avant l'Hégire, 244 - 257.

(٣) كان للرسول مولى رومي هو صهيب الرومي، ومليان حبشيان هما بلال بن رباح وأنجشة، وملى فارسي هو سلمان، ومولى نوبي هو بسار أو بشار. انظر: الفصل الخاص بموالى رسول الله في: أنساب الأشراف، البلاذري، ٤٦٧-٥٠٧؛ ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٤٨، ٤٩.

الأغنياء والفقراء:

كان من العرب فريق ينعم بالثراء والترف، وفريق يعاني مرارة الفقر والبؤس، أما الفريق الأول فكانوا إما يشتغلون بالتجارة، فكونوا ثرواتهم من هذا الطريق، وإما كانوا يشتغلون بالزراعة في أطراف الصحراء العربية في اليمن وفي الحيرة وفي مشارف الشام وفي الواحات الداخلية والحرات، وكان أثرياء العرب قلة إذا قيس بفقرائهم الذين يؤلفون جمهور سكان البادية.

ولقد صور الشعراء ما كان ينعم به أغنياء غسان والحيرة واليمن، فالنابغة يصور ترف بني غسان، فيصفهم بأنهم يلبسون النعال الرقاق، والثياب المصنوعة من الخرز الأحمر شعار الملوك، فيقول:

رقاق النعال طيب حجلتهم يحين بالريحان يوم السباسب
تحبهم بيض الولا ئد بينهم وأكسية الإصريح فوق المشاجب^(١)

أما أثرياء الحجاز، فقد كونوا ثرواتهم من اشتغالهم بالتجارة الزراعة في الواحات، وكان كل سراة قريش تجاراً، لا يكاد يعرف لكثير منهم عمل غير الاتجار،^(٢) فكانوا ينظمون عيرهم في الشتاء إلى اليمن حيث يتاعون سلع الهند والحبشة فيحملونها إلى الحجاز، وعيرا في الصيف إلى الشام، فيفرغونها في أسواق غزة وبصرى وغيرها.

وقد أدى اختلاط القريشيين بالروم والفرس والأحباش إلى أخذهم الكثير من تقاليد هذه الشعوب، فتأثروا بهم، وأفادوهم منهم، قلدوهم في اللباس والزي، وفي الطعام والشراب، فعبد الله بن جدعان أتى إلى العرب بطعام لا عهد لهم به، هو

(١) الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ٢٢٢.

(٢) الافغاني، أسواق العرب، ٩٥.

الفالوذج الفارسي، و رويت له أخبار أشبه بما يروى عن الملوك، فكان يتخذ القيان يغنيه ثم يهبهن لمادحه، كان يقضي عن الناس ديونهم، وكان شاعره أمية ابن أبي الصلت يلقب عند العرب بحاسي الذهب^(١). ومن مظاهر ثراء قريش أن عثمان بن عفان جهز وحده جيش العسرة (تبوك) بتسعمائة وخمسين بعيراً وأتمها ألفاً بخمسين فرساً، وهو الذي اشترى بئر رومة في يثرب، اشترى نصفها أول الأمر باثني عشر ألف درهم فجعله للمسلمين، ثم اشترى النصف الثانية بثمانية آلاف درهم^(٢). يروي ابن سعد أنه كان له عند خازنه يوم قتل ثلاثين ألف درهم وخمسمائة ألف درهم، ومائة وخمسين ألف دينار انتهت كلها، وترك ألف بعير بالربذة، وترك صدقات كان تصدق بها ببراديس وخيبر ووادي القرى قيمة مائتي ألف دينار^(٣). وكانت تركة عبد الرحمن بن عوف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس ترعى بالبقيع، وكان في جملة ما تركه ذهب قطع بالفؤوس حتى ملئت أيدي الرجال منه، وترك أربع نسوة، كان نصيب كل امرأة منهن ثمانين ألف درهم^(٤).

ومن مصادر ثروات العرب الأسواق التي كانت تقوم على فرض البحر مثل سوق عدن، وصنعاء وعمان، أو الداخلية كحجر وحضرموت وعكاظ ذي المجاز والمجنة والمربد، وقد حملت هذه الحركة التجارية كثيراً من الوان الترف إلى العرب، فأسرفوا في ارتداء البرود والثياب الحريرية، وحمل السيوف، واستخدام الطيب^(٥).

(١) الألويسي، بلوغ الأرب، ج ١، ٨٧؛ الأفغاني، أسواق العرب، ١١٥.

(٢) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٦٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ٥٣.

(٤) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٨٠.

(٥) الأفغاني، أسواق العرب، ١٦٧.

أما الفقراء فكانوا يؤلفون سواد العرب، وقد سجل الشعر العربي أسماء كثير من الفقراء الذين عبروا بشعرهم عن الحرمان والفاقة، فهذا عرة بن الورد يحس بازدياد الناس له لفقره، ويفرقهم من حوله، فيقول:

ذريني للغنى أسعى فإني رايت الناس شرهم الفقير
وأهونهم وأحقهم لديهم وإن أمسى له نسب وخير
ويقضي في الندي وتزديده حليلته وينهره الصغير^(١)

وصعاليك العرب، هم جماعة أصابهم الفقر، فتأقوا إلى الغنى، عن طريق المغامرة والغزو اعتقاداً منهم أن المال مال الله، وأن من حق المحروم أن يأخذ من الموسر عنوة وقسراً، وكان الصعاليك مغامرين يتسمون بالشجاعة والأنفة، ولذلك عدت الصعلكة عند العرب مفخرة ومزية لأنها شيمة الشجعان^(٢).

صفات العرب:

١ - الكرم:

كان العربي في أوقات السلم سخياً يبالغ في كرمه ويستهن في ذلك بالمال، فهو يعتبر الكرم إحدى مظاهر التسيد، وفي ذلك يقول حاتم الطائي:

يقولون لي أهلك مالك فاقتصد وما كنت لولا ما تقولون سيداً^(٣)

(١) الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٢) الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ٢٢٦ - ٢٣٤.

(٣) الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ٢٣٦؛ واشتهر حاتم الطائي بكرمه الذي لا حدود له، انظر: عبدالرحمن الطيب الأنصاري، فرج الله أحمد يوسف، حائل ديرة حاتم، (الرياض: دار القوافل، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ٢١.

وكان لعبهم بالميسر منبعثاً عن السخاء والكرم، فان أثرياءهم كانوا في شدة جعل أجزاء الجزور لذوي الحاجة والفقراء، وكان الشعراء يمدحن من يأخذ القداح، ويعيرون من لا ييسر ويسمونه البرم.^(١) ويتجلى كرمهم في الاحتفاء بالضيف والترحيب به، وفي إكرام الأرامل واليتامى والسائلين إذا ما اشتد البرد، وشح المطر، ولم يجد الناس طعاماً، وفي ذلك تقول الخنساء:

وإن صخرًا لكافينا وسيدنا وإن صخرًا إذا مشت لنحار

وقال مضر بن ربيعي:

وإني لأدعو الضيف بالضء بعدما كسي الأرض نضاح الجليد وجامده

أبيت أعيشه السديف وإنني بما نال حتى يترك الحي حامده^(٢)

وكانوا يتباهون بكثرة الأضياف، فيسعون إلى اجتذابهم في الليالي الباردة بإيقاد النار حتى يراها المسافر فيقصدها، كذلك كانوا يجتذبون الضيف بنباح الكلاب، وفي ذلك يقول شريح بن الأحوص:

ومستبح يبغي المبيت ودونه من الليل سحفا ظلمة وستورها

رفعت له ناري فلما اهتدى بها زجرت كلابي أن يهر عقورها^(٣)

وكان من دواعي الهجاء عند شعراء الجاهلية إطفاء النار عندما تستنبح الأضياف الكلاب،^(٤) ومن اشتهر بالجود والكرم وضرب به المثل في السخاء حاتم الطائي، وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي.^(٥)

(١) الألويسي، بلوغ الأرب، ج ١، ٧١.

(٢) الألويسي، بلوغ الأرب، ج ١، ٦٣.

(٣) الألويسي، بلوغ الأرب، ٦٦.

(٤) حسين، الهجاء والهجاءون، ٤٠.

(٥) الألويسي، بلوغ الأرب، ٧٥.

٢ - الشجاعة:

اتصف العرب بالشجاعة والبأس وعدم المبالاة بالموت، إما دفاعاً عن دمار القبيلة التي يتسبون إليها أو ذبا عن الحريم وصوناً لمن من المهانة وذل السبي. وعرب البادية كانوا أكثر شجاعة من أهل المدن، والسبب في ذلك كما يذكر ابن خلدون (أن أهل الحضر ألقا جنيتهم على مهاد الراحة والدعة، وانغمسوا في النعيم والترف، واكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وانفسهم إلى واليهم، والحاكم الذي يسوسهم، والحامية التي تولت حراستهم، واستناموا إلى الأسوار التي تحوطهم، والحرز الذي يحول دونهم، فلا تهيجهم هيعة ولا ينفر لهم صيد، فهم غارون آمنون قد ألقوا السلاح، توالى على ذلك منهم الأجيال. وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع، توحشهم في الضواحي، وبعدهم عن الحامية، وانتبأهم الأوار والأبواب، قائمون بالدفاع عن انفسهم، لا يكلونها إلى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم. فهم دائماً يحملون السلاح، ويتلفتون عن كل جانب في الطرق، ويتجافون عن الهجوع إلا غرارا في المجالس وعلى الرحال، وفوق الأقتاب، ويتوجسون للنآبات، والهيئات، ويتفردون في القفر والبيداء، مدلين ببأسهم، قد صار لهم البأس خلقاً، الشجاعة سجية، يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ^(١).

وليس أدل على صدق ما ذكره ابن خلدون من أن قريشاً عندما أثرت بسبب التجارة انصرفت عن شئون الحرب، والبدو يحقرون التجارة بطبيعتهم، فصاروا يعيرونها بها، وطارت لهم أشعار في ذلك منها ما يحقر التجارة ومنها ما يقصد إلى قريش، من هنا كانت استهانة بعض العرب بقريش وعدم الهيبة منها لانكبابها على

(١) ابن خلدون، المقدمة، ٣١٨-٤١٩.

التجارة وانصرافها عن الحروب من دون سائر العرب^(١). فالمكان الأول عند العرب للفارس المقاتل وللشجاع الباسل، أما حياة الخمول كالصناعة والزراعة وهي حياة لا تكلف صاحبها أخطار المغامرة فللسوقة^(٢).

ومن اشتهر بالشجاعة من العرب خالد بن جعفر بن كلاب العامري، وعتيبة ابن حارث، وعنترة العبيسي، وزيد الخيل، وعامر بن الطفيل، وعمرو بن معد يكرب، وعمرو بن كلثوم.

٣ - العفة:

إذا كان قد وجد من العرب في الجاهلية من انغمس في الملذات وتغزل في النساء غزلاً بعيداً عن البراءة، فقد كان من العرب من اتصف بالعفة، وغض النظر عن نساء غيره، وكانت العفة من شروط السيادة كالشجاعة والكرم، وكانوا يفتخرون بالعفة ويمدحون بها^(٣).

٤ - الوفاء:

عرف العرب بالواء بالعهود، وبكراهية النكث والغدر، وضربوا المثل في الوفاء بالسموأل الذي أبى أن يسلم الحارث بن أبي شمر الغساني دروع امرئ القيس التي أودعها عنده، وتحصن في قصره بتياء، فهدده الحارث بقتل ابن له، فلم يزد ذلك سموأل إل إصراراً، فضرب الحارث وسط الغلام بالسيف.

(١) الافغاني، أسواق العرب، ١٠٦.

(٢) حسين، الهجاء والهجاءون، ٨٥؛ ديوان الأعشى الكبير، شرح: محمد حسين، (بيروت: د.ن، ١٩٦٨م)، ٣٤.

(٣) الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ٢٨٣.

وقصة وفاء هانيء بن مسعود والفرس في ذي قار. كذلك ضرب المثل بوفاء حنظلة بن عفرأء، إذ حكم عليه المنذر بن امرئ القيس المعروف بابن ماء السماء بالموت، لأنه مر بالحيرة في بعض أيام بؤسه، فتكفل به شريك بن عمرو لمدة سنة إذا لم يعد بعدها قتل مكانه، ولما انتهى الأجل المحدد، وأعد كل شيء لقتل شريك بن عمر مكان حنظلة، وأيقن القوم بهلاك شريك، أقبل حنظلة من بعيد ومعه نادبته، فتعجب المنذر من وفائه، فأطلق سراحه وعفا عنه^(١).

١ - المرأة في المجتمع الجاهلي

١ - الأسرة:

كان العربي في الجاهلية لا يكتفي بزوجة واحدة، إما بقصد إعالتهن أو لغرض سياسي، إذا كان رئيساً بين قومه، بأن يصهر إلى عدد كبير من القبائل، حتى يرتبط معها برابطة المصاهرة، أو بقصد الإكثار من الذرية والتناسل. وكان الزواج أنواعاً منها:

(١) زواج الصداق أو البعلة: ويتم بأن يخطب الرجل من الرجل ابنته، فيصدقها بصداق يحدد مقداره ثم يعقد عليها، وكانت قريش وكثير من قبائل العرب يؤثرون هذا النوع من الزواج.

(٢) زواج المتعة: هو تزويج المرأة إلى أجل، فإذا انقضى افترقت عنه، وفي هذا الزواج، يقدم الزوج صداقاً معيناً ويكون لأولاده حق الانتساب إليه وحق الإرث. وقد نهى الرسول عن زواج المتعة^(٢).

(١) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤، ١٩٨.

(٢) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (مصر: إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٤٨هـ)، ج ٧، ٢١؛ علي، المفصل، ج ٥، ٢٥٤.

(٣) زواج السبي: ويقضي بأن يتزوج الرجل المحارب من إحدى النساء اللائي وقعن سبيًا، ولا يشترط في هذا الزواج أن يدفع الزوج صداقًا.

(٤) زواج الاماء: من حق العربي أن يتزوج من امته، فإذا أنجب منها أبناء لا يحق لهم أن يلحقوا بنسبه، بل يظلوا عبيدًا له، وقد يعتقهم إذا رغب في ذلك.

(٥) زواج المقت: وهو أن يتزوج الرجل زوجة أبيه كجزء من ميراثه^(١).

وهناك أنواع أخرى من الزواج كانت معروفة في الجاهلية ولكن المجتمع العربي لم يقرها، مثل الاستبضاع والمخادنة والبدل والشغار والرهط^(٢). وكان العرب في الجاهلية يطلقون نساءهم ثلاثًا على التفرقة^(٣)، أو على الخلع أي تخلع منه بهال، فإذا طلقت المرأة أو مات زوجها كان عليها أن تقضي عدة حول لا تتزوج خلاله حتى يتضح إذا ما كانت قد حملت من زوجها أو لم تحمل، حفاظًا على الأنساب، وقد أبطل الإسلام ذلك، فجعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرًا^(٤). وكان العرب يؤثرون البنين على البنات، وهو أمر طبيعي في مجتمع قبلي يقوم على العصبية والنسب، أما البنات فكان في منزلة أدنى، وذلك لاعتماد العرب على الذكور في الصيد والغزو والحروب، بجانب المحافظة على النسب، وما زال الميل إلى إنجاب البنين واضحًا في المجتمع العربي المعاصر وخاصة في البادية والريف. ومع ذلك فقد كان كثير من العرب يعطفون على بناتهم ويدللونهن، ولعل ذلك يرجع إلى ضعفهن، وحنوهم على آبائهن.

(١) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٢، ٥٣؛ فروخ، تاريخ الجاهلية، ١٥٦.

(٢) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٢، ٣ - ٦؛ الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ٢١٠؛ علي الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، (بغداد: د.ن، ١٩٦٠م)، ١٦٢ - ١٦٣.

(٣) الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، ١٧٢.

(٤) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، ٢٢١؛ الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، ٧٧.

ويذكر أبي الفرج الأصفهاني أن معن بن أوس الشاعر كان متناثًا، كانت له ثلاث بنات يؤثرهم يحسن صحبتهم، وكان يرى البنات أكثر وفاء على الآباء من الصبيان.^(١) ومن مظاهر إعزاز الآباء لبناتهم أن كان بعضهم يكنى بأسماء بناته، فكان ربيعة بن رياح والد زهير الشاعر يكنى بأبي سلمى^(٢)، والنابعة الذبياني كان يكنى بأبي أمامة^(٣).

ومع ذلك فقد كان عدد كبير من عرب الجاهلية يكرهن البنات، وقد أشار الله تعالى إلى كراهيتهم للبنات في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ٥٩ أَيَسْكَبُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٦٠﴾^(٤) وفي قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ١٧﴾^(٥).

هذا التصوير النفسي الرائع لحالة الرجل في الجاهلية إذا بشروه بولادة بنت له، فيحزن يسود وجهه من الحزن، ويختلي بنفسه، ويفكر في الاحتفاظ بهذه البنت مع احتمال المذلة والهوان في ذلك أو دفنها حية. هذه المشكلة التي صورها القرآن الكريم هذا التصوير استهجنها، كانت من المشاكل الاجتماعية البارزة في مجتمع الجاهلية، ويروي الأخباريون كثيرًا من الأمثلة على شيوع كراهية العرب للبنت عند ولادتها، ومن ذلك أن رجلاً يدعى أبو حمزة الضبي وضعت له زوجته أنثى، فهجرها وأخذ

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٠، ٣٤٧.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج ٩، ٢٩٤.

(٣) الأصفهاني، الأغاني ج ٩، ٣٢٩.

(٤) سورة النحل ١٦، آية ٥٨ - ٥٩

(٥) سورة الزخرف ٤٣، آية ١٧.

يبست عند جيرانه.^(١) وقد بالغ بعض الناس في بغضهم للبنات عند ولادتهن إلى حد الوأد وهو أن يحفر الرجل للمولودة حفرة، ثم يضع ابنته فيها، ويهيل عليها التراب، فيدفنها حية. وشاعت هذه العادة الذميمة في تميم وقيس وهذيل وكندة وبكر وقريش. وقد اختلف الباحثون في توضيح أسباب الوأد، وملخص هذه الأسباب فيما يلي:

١ - أرجع بعضهم سبب الوأد إلى الشعور العربي في الجاهلية بالغيرة والخوف من العار الذي تجلبه بناته إذا كبرن وتعرضن للسبي، وذكروا أن أول من وأد بناته في الجاهلية قيس بن عاصم المقرئ من تميم، وكان قيس هذا من وجوه قومه ومن ذوي الأموال فيهم، وسبب وأد لبناته أن النعمان بن المنذر لما امتنع بن تميم عن دفع الاتاة له، غزاهم بجيش على رأسه الريان بن المنذر ومعهم بكر بن ائيل، فاستاق النعم وسبى الذراري، وخير النعمان كل امرأة من السبي بين البقاء مع صاحبها أو العودة إلى أبيها، فكلهن اخترن آبائهن ما عدا ابنته قيس ابن عاصم، اختارت صاحبها عمرو بن المشمرج فنذر قيس ألا يولد له ابنة إلا قتلها، واقتدي به العرب. وذكر أبو الفرج الأصفهاني أن هذه البنت لم تكن ابنة قيس وإنما كانت بنت أخته^(٢).

ويشك الدكتور أحمد الحوفي في أن يكون قيس بن عاصم أول وائد لبناته، لأنه أدرك الإسلام وأسلم، وليس من المنطقي أن ينشأ الوأد قبيل الأوسلام بسنوات، ويشيع في بعض القبائل بهذه السرعة الزمنية^(٣). وذكر بعضهم أن عادة وأد البنات

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ١٦٣، ج ٣، ٢٥٠؛ فتحة حسين عقاب، معرفة المرأة في مجتمع الجزيرة العربية قبل الإسلام دراسة من خلال النقوش من القرن ٣ ق.م إلى القرن ٧ م، (الرياض، مجلة أدما، العدد العشرون، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ٦٦.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٢، ٣١٧؛ النويري، نهاية الإرب، ج ٣، ١٢٧.

(٣) الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، ٢٣٥.

نشأت بادئ ذي بدء في ربيعة، وذكر أنه لما أغير عليهم سبيت بنت أمير لهم، فاستردها بعد الصلح، فخبرت بين أبيها و من هي عنده، فاختارت من كانت عنده وآثرته على أبيها، فغضب و سن لقومه الوأد، ففعلوه غيرة منهم وخافة أن يقع لهم بعد مثل ما وقع^(١)، فشاع ذلك بين العرب. وترجع بعض الروايات الوأد إلى كنده^(٢).

٢ - و ورد في القرآن الكريم أن بعضهم كان يئد بناته خشية الفقر والإملاق، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٣). ويقول تعالى أيضًا: ﴿وَلَا تَقْنُتُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾^(٤). وتقديم رزق الآباء على الأبناء في هذه الآية يتضمن توقع الفقر والخوف منه، والمقصود بهؤلاء الآباء الأغنياء منهم. أما تقديم رزق الأبناء على الآباء في الآية السابقة فيشير إلى حدوث الفقر، والمقصود بأولئك الآباء الفقراء منهم بالفعل^(٥).

فالخوف من توقع الفقر عند الأغنياء أو الرغبة في التخفف من الفقر عند الفقراء كان دافعًا على الوأد، ذلك لأن بلاد العرب كانت شحيحة بالزاد والخير، وكثيرًا ما انتابها القحط والجذب، وقاسي سكانها مرارة الجوع للجفاف والجذب، وظاهرة وأد الإناث بالذات كانت ظاهرة عند العرب، لأن ولادة البنت مع الفقر أو

(١) الألويسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ٤٣.

(٢) الألويسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ٤٢؛ الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، ٢٢٥.

(٣) سورة الإسراء، ١٧، آية ٣١.

(٤) سورة الأنعام، ٦، آية ١٥١.

(٥) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، ج ٢ (القاهرة: د.ن،

١٩٣٧)، ١٨٨، ج ٣، ٣٨؛ الألويسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ٤٤ - ٤٥؛ الحوفي، المرأة في الشعر

الجاهلي، ٢٣٣.

مع توقعه تعتبر نكبة على الأب الجاهلي، أما الصبيان فكان يرجى منهم النفع، فلا ضرر من الإبقاء عليهم مع الفقر والفاقة لأن الصبيان كانوا أقدر على الكسب من البنات. وليس معني هذا أن الوأد كان قاصراً على الإناث فقد وجد في الجاهلية من نذر قتل الإبن العاشر من الذكور كما فعل عبد المطلب عندما هم بقتل ابنه عبد الله، فحمّاه أخواله وافتدى عبد الله بمائة بعير.

٣ - أرجع بعضهم سبب الوأد إلى صفات في المؤودة كان يتشائم منها أهلها، فكان بعضهم يئد من البنات من كانت زرقاء أو شبياء أو برشاء أو كسحاء^(١).

٤ - وأرجع آخرون الوأد إلى أسباب دينية، كإظهار الشكر لله على نعمه، ويذكرون أن ذلك كان أثراً من آثار تقاليد وشعائر دينية كانت معروفة، تقرباً إلى الآلهة، كما كان يفعل الفراعنة مثلاً فيختارون في كل عام فتاة جميلة يرمونها في النيل تقرباً للالهة، وكانت هذه العادة موجودة عند اليونان والرومان وشعوب أخرى^(٢).

٥ - وأرجع بعض الباحثين الوأد إلى عوامل اجتماعية، منها ماله علاقة بصحة الطفل إذا ولد ضعيفاً أو مشوهاً، أو إذا أصيب بمرض لا يرجى منه الشفاء بحيث يصبح عالة على أهله، ومنها ماله علاقة بكثرة عدد البنات^(٣).

ومما لا شك فيه أن العامل الإقتصادي هو أقوى هذه العوامل جميعاً، وقد أشار القرآن الكريم إلى أثر الفقر أو أثر توقع حدوثه في إقبال بعض الناس على وأد بناتهم، ونهى الله تعالى عن ذلك، لأن الله تعالى يرزق الأبناء والآباء كما يرزق الآباء والأبناء. ولا أنكر أيضاً أثر خوف العرب من العار إذا تعرضت بناتهم السبي في

(١) الألويسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ٤٣.

(٢) الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، ٢٢٧.

(٣) الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، ٢٢٨؛ الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ١٦١.

أيام الحروب والغزوات، وحياة العرب كلها صراع وحروب، السبى أثر من آثار الحروب.

ومع ذلك فقد وجد إناس كانوا يسعون إلى منع الوأد، وذلك بشراء المؤودة مثل ذلك أن صعصة بن ناجية المجاشعي جد الفرزدق الشاعر أنقذ ثمانين ومائتي مؤودة، اشترى كل منها بناقتين عشراوين وجمل^(١)

٢- دور المرأة في السلم والحرب:

لعبت المرأة العربية دوراً هاماً في الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي، في السلم وفي الحرب، وحظيت بمكانة كبيرة في المجتمع العربي بحيث لم يجد بعض الملوك بأساً من الانتساب إلى أمهاتهم مثل المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ٥١٢ - ٥٤٤ م وماء السماء لقب أمه مارية بنت عوف، لقبت به لجمالها^(٢) وعمرو ابن المنذر المعروف بعمر بن هند ٥٤٤ - ٥٤٧ م نسبة إلى أمه هند بنت عمرو بن حجر^(٣) وليس أدل على علو منزلة المرأة كأم من افتخار أبنائها بنسبهم إليها وزهوهم بحريتها، فهذا القتال الكلابي يفتخر بأمه الحرة عمرة بنت حرقه فيقول:

لقد ولدتنى حرة ربيعة من اللاء لم يحضرن في القيظ دندنا^(٤)

كذلك كانت للمرأة كزوجة مكانتها في المجتمع الجاهلي، فقد كانت شريكة الرجل في حياته في السلم وفي الحرب، ولذلك كانت موضع تقديره ورعايته وإعرازه إلى حد أن

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج ٣، ١٢٧.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ٩٠٠.

(٣) الأصفهاني، سنى ملوك الأرض، ٧٢.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج ٢٠، ٣٨١.

بعض الشعراء تغزلوا في زوجاتهم^(١) وكما كانت الزوجة محل إعزاز الزوج، فقد كان الزوج كل شئ في حياة زوجة، فكانت ترعاه، وتخاف عليه من القتل، فإذا قتل أو مات ناحت عليه وحزنت أكثر من حزنها على أقرب الناس إليها، وليس أدل على ذلك مما فعلته حمئة بنت جحش على أثر هزيمة المسلمين في أحد، فلما أبلغت باستشهاد خالها حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: "انا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله له ورحمه، هنيئاً له الشهادة"، فلما أبلغها الرسول بمقتل زوجها مصعب بن عمير، قالت: "واحزننا"، ويقال أنها قالت: "واعقرا"، فعلق الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله: "إن للزوج من المرأة مكاناً ما هو لأحد"^(٢) وقد تزهّد المرأة الزواج مرة ثانية بعد قتل زوجها وتقضى بقية حياتها وفيه لذكراه، وقد تترهب كما فعلت هند بنت النعمان ابن المنذر لما قتل أبوها زوجها عدى بن زيد، فحبست نفسها في ديرها المنسوب إليها، وأبت أن تتزوج من بعده.

والمرأة في السلم تقضى وقتها بين مساعدة زوجها في الزراعة إذا كانت تعيش في مناطق زراعية أو في الطهى وإعداد الطعام لزوجها وحلب الأغنام، أو تقوم بغزل الصوف ونسجه، وكثيراً ما كانت تحترف بعض الأعمال التى تكتسب من ورائها مالاً تعتمد عليه في حياتها كالتجارة أو الرضاع أو الغناء أو النسيج أو تقويم الرماح أو دبغ الجلود. أما في الحرب فكانت تصحب زوجها في الغزو لتشجيعه على القتال واستشارة نخوته، أو تداري الجرحى، أو تسقي المقاتلين، وفي بعض الأحيان كانت تشترك في القتال، مثل نسيبة أم عمارة بنت كعب المازنية التى دافعت عن الرسول في يوم واحد، ومثل الربيع بنت معوذ بن عقبة الأنصارية، وصفية بنت عبد المطلب، وخولة بنت الأزور^(٣)

(١) الحوفى، المرأة في الشعر الجاهلى، ١٥٨.

(٢) الواقدي، مغازى رسول الله، ٢٢٦.

(٣) ضيف، العصر الجاهلى، ٨٩.

رابعاً: الأوضاع الدينية

نستدل من أسماء قبائل العرب على أنهم كانوا قريبي عهد بمذهب الطوطمية^(١) والطواطم كائنات كانت تحترمها بعض القبائل المتوحشة، ويعتقد كل فرد من أفراد القبيلة بعلاقة نسب بينه وبين واحد منها يسميه طوطمه، وقد يكون الطوطم حيواناً أو نباتاً، وهو يحمي صاحبه ويدافع عنه، ولذلك احترمه صاحبه وقدهسه، فإذا كان حيواناً أبقى عليه، وإذا كان نباتاً لم يتجرأ على قطعة أو أكله إلا في أوقات الشدة^(٢) وتتمثل الطوطمية من حيث وجهتها الدينية في كثير من مظاهر حياة العرب في الجاهلية:

١ - فالعرب كانوا يتسمون بأسماء حيوانات مثل: بنو أسد وبنو فهد وبنو ضبيعة وبنو كلب، ومثل بر وثور وقرد وذئب وقنفذ وظبيان، أو بأسماء طيور مثل عقاب ونسر، وأسماء حيوانات مائية مثل قريش، أو بأسماء نباتات مثل حنظلة، ونبت، أو بإسماء أجزاء من الأرض كفهر وصخر، أو بأسماء حشرات مثل حية وحنش^(٣) هذه التسميات وإن كانت من قبيل التفاؤل فإنها تشير إلى تقديس العرب للحيوانات أو النباتات. ومن الملاحظ أن العرب كانوا يتعمدون تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء ككلب وحنظلة ومرة وضرار وحرب، وتسمية عبيدهم بمحسوب الأسماء كفلاح ونجاح ونحوهما، ويعلل القلقشندي ذلك بما روى من أنه قيل لأبى الدقيش الكلابي: "لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو موزوق ورباح؟ فقال: أنا نسمي أبناءنا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا"^(٤)

(١) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ٨٩.

(٢) محمد عبد المعيد خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، (القاهرة: د.ن، ١٩٣٧)، ٥٥.

(٣) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ١، ٢١٢؛ خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ٨٤.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ١، ٢١٢.

٢- ثم إن العرب كانوا يقدسون الحيوان ويعبدونه كما يقدره ويعبده أهل الطوطم، وإن كان الفرض من تقديس الحيوان يختلف عند العرب عما يقصد أصحاب الطوطم. فقد كان هؤلاء يهدفون من وراء عبادته إلى إجلال الآباء، أما العرب كانوا يقدسونه لمجرد تحصيل البركة^(١)

٣- كذلك كان العرب يعتقدون أن الطوطم يحمي أهله عند وقوع الخطر، فكانوا يحملونه معهم في المعارك، كما فعل أبو سفيان عندما حمل معه اللات والعزى يوم أحد.^(٢)

وكان العربي يتفاعل بالطير كالحمامة وبنجاح الكلاب على مجئ الضيوف، ويتشائم من الثور الأعصب مكسور القرن ومن الغراب، وكانوا يضربون بالغراب المثل في الشؤم فقالوا: فلان أشأم من غراب البين، ويذكر الألوسي أن الإسم لزمه لأن الغراب إذا بان أهل الدار للنجعة أي طلبه الكلاً في موضعه وقع في موضع بيوتهم يتلمس ويتقمم، فتشاءموا به، وتطيروا منه، إذ كان لا يعترى منازلهم إلا إذا بانوا، فسموه غراب البين. ثم كرهوا إطلاق ذلك الإسم مخافة الزجر والطيرة وعلموا أنه نافذ البصر، صافي العين حتى قالوا: أصفى من عين الغراب، كما قالوا: أصفى من عين الديب، وسموه الأعور كناية، كما كنوا الطيرة عن الأعمى فكانوه أبا بصيرة، كما سمو الملدوغ والمنهوش السليم.^(٣)

(١) خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ٦٦ - ٨٨.

(٢) أبو المنذر هشام بن محمد ابن الكلبي، كتاب الأصنام، نشره: أحمد زكي باشا، (القاهرة: الدار القومية، ١٩٦٥م)، ١٠؛ خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ٧٩.

(٣) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٢، ٢٣٥.

٤ - وكان العرب يحرمون لمس الطوطم والتلفظ بأسمه، فيكتنون عن الملدوغ بالسليم، ويسمون النعامة بالمجلم، ويلقبون الأسد بأبي الحارث، والثعلب بابن آوى، والضبع بأم عامر^(١).

٥ - وكان العربي إذا مات حيوان من نوع طوطم قبيلته احتفل بدفنه وحزن عليه، فكان بنو الحارث إذا وجدوا غزالاً ميتاً غطوه وكفنوه ودفنوه، وتحزن عليه القبيلة إلى ستة أيام. وكانوا إذا قتلوا الثعبان خافوا من الجن ان يأخذوا بثأره فيأخذون روثه^(٢).

٦ - وكان العربي يتجنب قتل الحيوان اعتقاداً منه انه لو قتله عقب بقتله، كما كان يمتنع عن قطع النبات واكله الا عند الضرورة^(٣).

ومما لاشك فيه ان العربي في البادية كان يؤمن بوجود قوى خفية روحية كامنة مؤثرة في العالم والانسان، في بعض الحيوانات والطيور والنبات والجماد، وفي بعض مظاهر الطبيعة المحيطة به كالكوكب^(٤)، فربط بين هذه الكائنات والموجودات والظواهر الطبيعية وبين القوى الخفية وقدها، ثم تطورت وثنية العربي إلى عبادة قطع الصخور التي يستحسن مظهرها وهيئتها، ومعظمها كانت بيضاء اللون لها علاقة بالغنم والجمال ولبنهما^(٥).

(١) خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ٨٧.

(٢) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٢، ٢٥٨.

(٣) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٢٠٥؛ الأندلسي، طبقات الأمم، (مصر: مطبعة التقدم، د.ت)، ٥٧.

(٤) علي، الفصل، ج ٥، ٢٢.

(٥) خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ٩٨.

ومن امثلة هذه الصخور الجلست وكان صنما بحضرموت على شكل جثة الرجل العظيم، وهو من صخرة بيضاء لها كراس اسود، واذا تأمله الناظر رأى فيه كصورة وجه الانسان^(١)، ومنها ذو الخلصة وكانت صخرة بيضاء منقوشة، عليها كهنة التاج وكانت بتبالة بين مكة واليمن^(٢)، ومنها سعد وكان صخرة طويلة بفلاة بساحل جدة^(٣)، وكانت ذات انواط شجرة عظيمة خضراء كان العرب في الجاهلية ياتونها كل سنة تعطيها لها، فيعلقون عليها اسلحتهم، ويذبحون عندها، وكانت هذه الشجرة مغروسة بالقرب من مكة^(٤)، وكانت ببطن نخله من مكة ثلاث سمرة شجرات فبنى بيتا للعزى، واقام لها غبغب، اي منحرا، ينحرون فيه ضحاياهم^(٥).
نسج العربى حول الجبال والابار والاشجار مما كان يحيط به، قصصا واساطير، ورسم صورا خيالية في الاحجار التى كان يبحث عنها في الوديان، فقد صور خياله الصفا والمروه، وهما صخرتان رجلا وامراء مسخهما الله حجرتين، وصور خياله ايضا اساف ونائلة رجلا وامراء ممسوخين حجرتين على موضع زمزم^(٦).
ولم يكن تقديس العربى لهذه المظاهر الطبيعية وعبادته لها على انها تمثل اربابا، ولكن شعوره نحوها لم يكن يعدو الاجلال، كما ان الأساطير التى نسجها حول النصر تدل صراحة على انه لم يعبد الوثن معتقدا انه خالق البشر او الكائنات، لانه تاره

(١) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٢، ١٥١.

(٢) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٣٤.

(٣) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٣٧؛ ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ٢، ٨٢١.

(٤) الجارم، أديان العرب في الجاهلية، (القاهرة: د.ن، ١٩٢٣)، ١٢٧.

(٥) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٢٥.

(٦) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ٨٤.

يستقسم عنده، وتاره يسبه، ومرة ثالثة ياكله في وقت الشدة^(١). ولم يصبح الوثن في تصور العربى ربا الا منذ القرن السادس قبل الميلاد، عندما تآثر بالوثنية المجاورة، ثم تطورت الوثنية المحلية عند العرب بتآثير الحضارات المجاورة كالبابلية والرومانية واليمنية^(٢)، وعلى الرغم من تعرض الوثنية الحجازية منذ انكسار سد مارب، وهجرة القبائل اليمنية إلى الشمال لتآثير الوثنية اليمنية، فانها لم تتآثر بوثنية اليمن كما تآثرت بوثنية العرب الشماليين وبالوثنية البابلية^(٣).

والوثنية اليمنية تآثرت بوثنية بلاد الرافدين، فان عبادة النجوم والكواكب كان مصدرا الصابئة وبقايا الكلدانيين، وعن أهل اليمن اخذ عرب الشمال عبادة الكواكب، وقوامها ثلوث كوكبى هو القمر والشمس والزهرة^(٤) هو نفس الثلوث الكوكبى البابلى: القمر ويمثله الاله سين والشمس ويمثلها الاله شمش وكوكب الزهرة وتمثله الالهة عشت^(٥)، والاله القمرى سين له المكانة الاولى في هذه المجموعة الثلاثية باعتباره الاب لاله شمش، وكان يرمز للاه سين بالهلال.

أما الإله شمش فاقل مرتبة من الاله القمر في حين كانت الالهة عشت تمثل كوكب الزهرة. كذلك كان للقمر أهميته في الوثنية اليمنية، وكانت في نظرهم زوجة

(١) خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ١٠٧.

(٢) خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ١٠٧.

(٣) خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ١١١.

(٤) ضيف، العصر الجاهلى، ٢٩؛ فتحة حسين عقاب، دور المرأة في المعبد في الجزيرة العربية من القرن السابع قبل الميلاد إلى الرابع الميلادى دراسة في ضوء النقوش، (الرياض: دار الملك عبدالعزيز، العدد الثالث، السنة السادسة والثلاثون، ١٤٣١هـ)، ١١٦-١١٩.

(٥) رشيد الناصورى، المدخل في التطول التاريخى للفكر الدينى، (بيروت: د.ن، ١٩٦٩م)، ١١٣.

القمر، ومنهما ولد عثر وهو الزهرة والقمر كان يسمى عند المعينيين ود، وعرف أيضًا أن السبأيين وغيرهم باسم ورخ، وسين على نفس تسمية البابليين، وهو بس، والمقة، وشهر، وكهل، وابم، باعتباره أكبر الآله سنًا والمقدم عليها جميعا، وكان يطلق على جميع أسماء القمر لفظ مشترك هو ال أو ايل أي الله أو الاله، ويقابله بعل أو هبل عند العرب الشماليين. وكانت للقمر منزلة عظمى كما هو الحال عند البابليين وهو الاله الاثير، ومكانته عند عرب الجنوب اسمى من مكانة الشمس اللات التي كانت بحرارتها الشديدة في الصيف تعرف باسم ذات حميم أو ذات هم، ولكن القمر كان هو دليل الحادي، ورسول القافلة، ولذلك لقب بالحكيم والقدوس والصادق والعاقل والمبارك والمعين والحامي^(١)، وقد أصبحت هذه الأسماء في الإسلام صفات لله الواحد الأحد.

أما الشمس فصنم عبده العرب قبل الميلاد وبه تسمى كثير من الأشخاص فعرفوا بعبد شمس، وقد ذكر الأخبارين أن أول من تسمى به سبأ الأكبر، لأنه أول من عبد الشمس. والشمس أنثى في العربية الجنوبية، فهي آلهة، ولكنها في كتابات تدمر مذكر، وفي الوثنية البابلية مذكر، وكانت تسمى عند المعينيين باسم نكرح، وعند السبأيين بذات حميم وذات بعدن وذات غضرن وذات برن.

وعشتر في العربية الجنوبية وهو إله مذكر، وفي العربية الشمالية آلهة أنثى، وهي العزى^(٢) وفي بابل آلهة أنثى وهي عشتار، أما في الجنوب وهو إله الزهرة، والزهرة هو المعني به في القرآن الكريم النجم الثاقب^(٣)، وهو أكثر نجوم السماء تألقًا ولمعانًا ويعرف

(١) نيلسون، الديانة العربية القديمة، ٢٠٩.

(٢) علي، المفصل، ج ٥، ١٢١.

(٣) سورة الطارق ٨٦، آية ٣.

بعزيزه، نجم الصباح، الذي يسبق الشمس قبل شروقها^(١)، وقد عرف أيضا بذي الخلصة، وملك، ولما كان الملك يرمز له بالتاج، فإن ما ذكره ابن الكلبي بخصوص الاله ذي الخلصة في تبالة يؤكد هذا القول^(٢).

وهكذا كان القمر يحتل في ديانة العرب الجنوبيين المركز الأول، ورمز للقمر بالثور، ولعل سبب ذلك يرجع إلى أن للثور قرنين يشبهان الهلال^(٣)، وقد قدم أهل اليمن القمر على الشمس كما فعل البابليون والكلدان^(٤).

أما الوثنية في العربية الشمالية فكانت صورة تقليدية للوثنية البابلية، ومما يدل على تأثر العرب بكلدة وآشور تقديمهم الليالي على الأيام، لأن شهورهم مبنية على مسير القمر، مقيدة بحركاته، وهو ما يتفق ونظرة الكلدان ويختلف مع نظرة الروم والفرس. ومن مظاهر تأثر العرب بوثنية الكلدان وآشور أن كلمة صنم أصلها صلم Salm العبرانية^(٥) أو الآرامية^(٦)، وقد دخلت هذه الكلمة في بلاد العرب مع دخول الأصنام، ومن الثابت أن العرب لم ينحتوا الأصنام، لجهلهم بفنون النحت، وأن الأصنام جلبت إليهم من الخارج، ومنها هبل وهو بعل واللات وهو اللاتو البابلية، ومناة وهي ماناتو البابلية، بنت الإله، كما جلبوا العزى وهو عشتار البابلية^(٧).

(١) نيلسون، الديانة العربية القديمة، ٢٢٣.

(٢) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٣٤.

(٣) علي، الفصل، ج ٥، ١٢٣.

(٤) خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ١١٠.

(٥) علي، الفصل، ج ٥، ٧٨.

(٦) خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ١١٣.

(٧) خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ١٢٠.

أصنام العرب في الجاهلية:

استعمل العرب اصطلاحين للدلالة على التماثيل التي كانوا يعبدونها في الجاهلية، هما أصنام، و أوثان، ولفظة أصنام مفردتها صنم وهو تمثال، قد رأينا أن كلمة صنم مأخوذة من كلمة صلّم العبرانية أو الآرامية، وأن صلّم وصام من الكلمات التي وردت في نصوص المسند بمعنى تمثال. أما وثن فهي أيضًا من الكلمات العربية القديمة التي وردت في نصوص المسند في مواضع مختلفة أن هناك فرقاً بينهما، ويذكر هشام بن محمد الكلبي أن التمثال إذا كان معمولاً من خشب أو ذهب أو من فضة صورة إنسان فهو صنم، وإذا كان من حجارة فهو وثن^(١). وكانت الأصنام تقدم إلى الآلهة لتوضع في معابدها تقرباً إليها، لإجابتها دعاء من يدعوها إلى شفاؤه من مرض أو قضاء حاجة، وهي تقدم إلى الآلهة لنذر، إما الأوثان فكانت تماثيل منحوتة في الحجر ترمز إلى الإله، وإليها تذبح الذبائح وتقدم القرابين^(٢).

والأنصاب أو النصب التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾^(٣) وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤)، هي أحجار كانت تنصب في الجاهلية ويذبح عليها العرب ذبائحهم وهو المذبح الذي تذبح فيه القرابين والضحايا، أو النحر الذي ينحرون فيه ويسمونه الغنغ. وقد

(١) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٥٣.

(٢) علي، المفصل، ج ٥، ٧٨.

(٣) سورة المائدة، آية ٣.

(٤) سورة المائدة، آية ٩٠.

يكون النصب حجرًا للعبادة منحرجًا تحول إلى صنم يعبدونه ويقدسونه بمرور الأيام يطوفون به^(١)، وروي عن رسول الله أنه لقي زيد بن عمرو بن نفيل أسفل بلدح، وذلك قول أن ينزل على رسول الله صل الله عليه وسلم الوحي، فقدم إليه رسول الله صل الله عليه وسلم سفرة فيها لحم، فأبى أن يأكل منها ثم قال: إني لا آكل ما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه^(٢).

وكانت أصنام العرب في الجاهلية على أشكال متنوعة فمنها ما كان على صورة الإنسان، ومنها ما كان على صورة الحيوان، والأصنام تصنع من مواد مختلفة، فبعضها يصنع من الخشب، وبعضها من الحجارة، وبعضها الآخر من معادن شتى، وقد يكون الصنم من حجارة طبيعية عبدها عن أجداده^(٣).

وأول من اتخذ الأصنام من بني إسماعيل بن إبراهيم وسموا باسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، اتخذوا سواع، فكان لهم برهات من أرض ينبع، وكلب بن وبرة من قضاة، اتخذوا ودًا بدومة الجندل، وأنعم من طيء، وأهل جرش من مذحج اتخذوا يغوث بجرش، وحيوان وهم بطن من همدان اتخذوا يعوق بأرض همدان من بلاد اليمن، وذو الكلاع من حمير اتخذوا نسرًا بأرض حمير^(٤). وقد وردت أسماء هذه الأصنام الخمسة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي هُمْ عَصَوْتِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ۝ وَمَكْرُؤًا مَّكَرًا

(١) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٤٢.

(٢) صحيح البخاري، ج ٧، ١٦٥.

(٣) علي، المفصل، ج ٥، ٨١.

(٤) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٩ - ١١؛ ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ٨٢، ٨١.

كَبَارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا نَدْرُنَّ إِلَهًا إِلَّا هَٰذَا وَلَا نَدْرُنَّ وَدًّا وَلَا سَوْاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾. وهناك رواية لابن الكلبي جاء فيها أن ودا وسوعا ويغوث ويعوق نسرا كانوا قوما صالحين، ماتوا في شهر فجنز عليهم ذوا أقاربهم فقال رجل من بني قاييل: يا قوم، هل لكم أن اعمل لكم خمسة أصنام على صورهم، غير أني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحًا: قالوا: نعم، فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها ^(٢٢)، فكان الرجل يأت أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله، واقيمت هذه الأصنام على عهد يردى بن مهلايل ابن قينان بن أنوش بن شيت بن آدم.

وذكر ابن الكلبي أن عمرو بن لحي أتى ضيف جده فوجد بها أصنامًا عدة كان قد قذفها ماء البحر إلى شط جده، فوارتها الأتربة، فحملها حتى أتى تهامة، فدعى العرب إلى عبادتها، فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور، فدفع إليه وداً، فحملة إلى وادي القرى فأقره بدومة الجندل، وسمى ابنه عبدود، فهو أول من سمي به، وجعل عوف ابنة عامراً سادنا له. وقد تولى خالد بن الوليد هدم هذا الصنم بعد غزوة النبي صل الله عليه وسلم، لتبوك ^(٢٣). وكان ود تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال ذبر عليه حلتان، عليه سيف قد تقلد، وقد تنكب قوساً، وبين يديه حربة فيها لواء، ووفضة فيها نبل ^(٢٤). هو يشبه في ذلك تمثال آيروس اليوناني ^(٢٥).

(١) سورة نوح ٧١، آية ٢١ - ٢٣

(٢) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٥١؛ الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ٣٦٧.

(٣) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٥٥.

(٤) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٥٦.

(٥) علي، المفصل، ج ٥، ١٣٠؛ خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ١٣٠.

وقد ذكرنا فيما سبق من ود اسم للقمر، ورد اسمه في النصوص العربية الجنوبية كما ورد في النصوص الثمودية وفي النصوص اللحيانية، كذلك روى أن قريشًا كانت تتعبد لصنم اسمه ود^(١)، و ود هذا وفقًا لرواية ابن الكلبي وياقوت أقدم عهدًا من اللات لأن عمرو بن لحي سلم ودا لعوف بن عذرة بن زيد اللات^(٢).

وأجاب عمرو بن لحي قبيلة مذحج، فدفع إلى أنعم بن عمرو المراضي يغوث، فكان بأكمه باليمن يقال لها مذحج تعبد مذحج من والها. وظل هذا الصنم في بني أنعم إلى أن قاتلتهم عليه بنو غطيف من مراد، فهربوا به إلى نجران. فأقروه عند بني النار من الضباب من بني الحارث بن كعب اجتمعوا عليه جميعًا. وكان بنو مراد من أشد العرب، فانقذوا إلى بني الحارث يتلمسون رد يغوث، ويطالبونهم بدمائهم عليهم، واستنجد بنو الحارث قبائل همدان، فنشبت الحرب بينهم، وكانت بينهم وقعة الرزم التي اتفق وقوعها في يوم بدر، فهزم بنو الحارث مرادًا هزيمة نكراء، وظل يغوث قائمًا في بني الحارث^(٣). ومن المعروف أن واقعة بدر حدثت سنة ٦٢٣، ومعنى هذا أن يوم الرزم حدث فيما يقرب من هذا التاريخ. وكان يغوث على هيئة أسد^(٤)، وقد تسمى به عدد كبير من عرب مذحج وهو أذن وتغلب، وعرف هؤلاء بعبد يغوث.

ويعتقد بعض الباحثين أن يغوث جلب من مصر، وعللوا ذلك بأنه وجد بين آلهة المصريين صنم على صورة اسد يسمونه تغوث، فعبدته العرب ونسبوه إلى أسمائهم

(١) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ٣٦٦.

(٢) علي، المفصل، ج ٥، ١٢٨.

(٣) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ٤٣٩.

(٤) علي، المفصل، ج ٥، ٨٦؛ خان، الأساطير العربية قبل الإسلام، ٨١.

فتسموا بعبد الأسد وعبد يغوث^(١). ومن الملاحظ أن العرب عبدوا من الحيوانات ما كان حيا فقط، ولم ينحتوا اصناما على صورة الحيوان، وإذا كان قد وجدت عند العرب أصنام الحيوانات وطيور مثل النسر ويغوث و يعوق، فانما كانت مجلوبة من البلاد المجاورة.

أما يعوق فقد دفعه عمرو بن لحي الخزاعي إلى مالك بن مرثد بن جشم بن خيران من همدان، لما أجابه بنو همدان، فوضع بقرية خيوان، وعبدته همدان ومن والاها من أرض اليمن^(٢)، وخيوان قرية من صنعاء على ليلتين مما يلي مكة، وأشار ابن الكلبي إلى انه لم يسمع ان همدان سمت بهذا الصنم، فلم ينتسبوا إليه كما فعلوا بنوا مذحج إذ تسموا بيغوث، كما يذكر أنه لم يسمع لهمدان ولا لغيرها شعراً في يعوق، ويعلل ذلك بأنهم قربوا من صنعاء، واختلطوا بحمير، فدانوا معهم باليهودية أيام يهود ذي نواس، فتهودوا معهم^(٣). وكان يعوق على شكل فرس^(٤)، شأنه في ذلك شأن اليعسوب، وكان صنماً لجديلة طيء^(٥).

أما نسر فقد أعطاه عمرو بن لحي إلى رجل من ذي رعين يقال له معد يكره، وذلك لما أجابته حمير، فوضعه في موضع من أرض سبأ يقال له خلع، وعبدته حمير ومن والاها حتى هودهم ذو نواس^(٦)، ويذكر ابن الكلبي أنه لم يسمع أن حمير سمت

(١) خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ٨٢.

(٢) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٥٧.

(٣) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ١٠؛ الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ٤٣٨.

(٤) خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ٨١.

(٥) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٦٣.

(٦) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٥٨.

به أحدًا، وأنه لم يسمع له ذكرًا في أشعار حمير ولا أشعار أحد من العرب، ويعلل ذلك بانتقال حمير أيام تبع عن عبادة الأصنام إلى اليهودية^(١).

وكان نسر من أصنام بني إرم، فهو نشر في العبرانية، وهو نشاء الوارد ذكره في التلمود^(٢)، كذلك ورد ذكر نثر عند السبئيين^(٣). وقد انتشرت عبادة نسر في أعالي الحجاز، إذ وجدت هناك أصنام على صورة نسر منحوتة في الصخور^(٤).

وذكروا أيضًا أن عمرو بن لحي الخزاعي هو أول من غير دين اسماعيل ونصب الأوثان، وسبب السائبة، ووصل الوصيلة، وبحر البحيرة، وحمى الحامية^(٥)، وذكروا أيضًا أنه مرض مرضًا شديدًا، فرحل إلى البلقاء بالشام ليستشفى في إحدى حماها، فأثاها واستحم بهذه الحمة فبرأ، ووجد أهل البلقاء يعبدون الأصنام، فقال: ما هذه؟ فقالوا: نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو، فسألهم ان يعطوه منها، ففعلوا. فقدم بها مكة، ونصبها حول الكعبة^(٦).

وذكر ابن هشام انه خرج إلى مأب من ارض البلقاء، وبها يومئذ العماليق، فراهم يعبدون الاصنام، فسألهم عنها، فاجابوه قائلين: هذه اصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم، افلا تعطونني منها صنما، فاسير به إلى ارض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنما يقال له هبل، فقدم به مكة فنصبه وامر

(١) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ١١.

(٢) علي، المفصل، ج ٥، ٨٨.

(٣) نلسون، تاريخ العلم، ٤٤.

(٤) علي، المفصل، ٨٨.

(٥) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٨؛ ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ٧٩.

(٦) علي، المفصل، ج ٥، ص ٧٣.

الناس بعبادته وتعظيمه ^(١). ومن أصنام العرب القديمة، بل أقدمها كلها على حد قول ابن الكلبي مناة، وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المشلل بقليد ^(٢)، بين المدينة ومكة، وكانت العرب جميعا تعظمه وتذبح حوله. وكانت الاوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له، ويهودون له ^(٣)، ولم يكن اشد اعظاما له من الاوس والخزرج، فكانوا يحجون اليه ولا يخلقون رؤوسهم الا عنده. ^(٤)

كذلك عظمته قريش ^(٥) وخزاعة وهذيل ^(٦)، وجميع العرب من الازد والغساسنة. وكان مناة صخرة ولذلك انثوه لان صخرة مؤنثة ^(٧)، واليه اضيف زيد مناة وعبد مناة واوس مناة، وظل هذا الصنم محل تعظيم العرب حتى عام فتح مكة، وهو عام ٨ هـ، فعهد الرسول الى علي ابن ابي طالب بهدمه، فهدم، وكان فيما اخذ من حرمة سيفان كان الحارث بن ابي شمر الغساني ملك وغسان اهداهما لها احدهما يسمى مخدما والاخر رسوبا، وهما سيفا الحارث ^(٨).

(١) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ٧٩.

(٢) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ١٣؛ الحموي، معجم البلدان، ٢٠٤.

(٣) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ١٣.

(٤) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ٢٠٥.

(٥) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ٢٠٤-٢٠٥.

(٦) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ٢٠٥.

(٧) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ٢٠٤.

(٨) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ١٥.

ومناة هذه هي التي ذكرها الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ
﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا
أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾﴾^(١)، والأصنام الثلاثة المذكورة في القرآن الكريم إناث
عند عرب الجاهلية.

ومناة لفظة مشتقة من المنا والمنية وهو الموت أو القدر^(٢)، ومن المنية المنون،
ومنها منى، وهو موضع بمكة كان يمنى فيه (أي يراق الدم فيه، وكانت مناة من آلهة
الموت والقدر عند البابليين وتعرف باسم ما مناتو^(٣))، كذلك كانت من الأصنام
المعروفة عند النبط، ورد اسمها في أقدم النقوش النبطية.

وقد مثلت مناة الموت عند العرب كما مثلته أيضاً عند البابليين، ولكنها لم تمثل
القدر الذي تمثله مناة البابلية، لأن القدر في تصور العرب والشعراء الجاهليين رجل لا
امرأة، وقد يفسر هذا استسقام العرب عند هبل وذو الخلصة بالأزلام، وحلفهم فقط
أمام مناة. ويؤكد صفة مناة، ما ذكرناه من أن سيفي الحارث الغساني مخدوم ورسوب
عثر عليهما علي بن أبي طالب عند مناة حينما هدمت، لأن السيف رمز العدالة
والإنصاف عند أهل البادية^(٤).

والصنم الثاني من أصنام العرب المشهورة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم هو
اللات الإلهة الأنثى، واللات اسم إلهة تمثل فصل الصيف عند البابليين (اللاتو)،

(١) سورة النجم ٥٣، آية ١٩-٢٣.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ٢٠٤.

(٣) خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ١٢٨.

(٤) خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ١٢٩.

وكانت أيضاً من آلهة تدمر والنبط والصفويين، وكان النبط يعتبرونها إله الشمس، أما العرب فنسبوا إليها فصل الصيف^(١). واللات أحدث عهداً من مناة^(٢)، وهي أيضاً من الأصنام التي أدخلها عمرو بن لحي على العرب، أخذها من النبط، وكانت صخرة مربعة بيضاء كما كانت كذلك عند النبط^(٣).

وللات أسطورة رواها الأخباريون جاء فيها: أن عمرو بن لحي الخزاعي حين غلبت خزاعة على البيت، ونفست عنه جرهم، جعلت العرب عمر بن لحي رباً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شريعة، وكان اللات وهو رجل من ثقيف يلت له السويق للحج على صخرة تسمى صخرة اللات، فلما مات اللات أشاع عمرو بن لحي أنه لم يمت وإنما دخل في الصخرة، ثم أمرهم بعبادتها، وأن يبنوا عليها بنياناً بسمى اللات^(٤). وكانت ثقيف تخص اللات كخاصة قريش العزى^(٥). وذكر ياقوت نقلاً عن ابن حبيب أن اللات كانت بيتاً لثقيف بالطائف على صخرة، "وكانوا يسرون إلى ذلك البيت ويضاهئون به الكعبة وله حجة وكسوة، وكانوا يجرمون واديه"^(٦). وذكر ابن الكلبي أن سدنتها هم بنو عتاب بن مالك، وأن قريش وسائر العرب كانوا يعظمونها، وكان بيتها يقوم في الموضع الذي تقوم عليه في عهده منارة

(١) قال العرب في ذلك "ربكم بتصيف باللات لبرد الطائف". انظر: الأزرق، أخبار مكة، ٧٤.

(٢) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ١٦.

(٣) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ١٦؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ٤؛ خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ١١٩.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ٤.

(٥) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٢٧.

(٦) الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ٤.

مسجد الطائف اليسرى^(١). ولا يستبعد أن تكون اللات نصباً من الأنصاب التي كانت تستخدم لتقديم الذبائح والقرايين، ثم اختلط أمرها مع مرور الوقت على الناس، فظنوا أنه الصنم نفسه، كما لا يستبعد أن تكون من بقايا الوثنية البدائية التي تعبد فيها الأحجار حتى ولو كانت مجرد صخرة لا شكل لها، وفي هذه الحالة تدخل عبادتها في المذهب الفياشي، بدليل أن ياقوت أشار إلى أنه كان في صخرة اللات وفي العزى شيطانان يكلمان الناس^(٢)، والاعتقاد بوجود شيطان أو روح ميت حلت فيها شرح لعقيدة عبادة الروح في الأشياء، أي الفيتشية^(٣).

وظلت اللات ربة ثقيف^(٤) حتى أسلمت ثقيف، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة ابن شعبة إليها فهدمها، وحرقها بالنار، واستولى على أموالها وحليها. وقد اعتبر الأنباط اللات أمّاً للآلهة، وكان العرب يقولون عن اللات والعزى ومناة أنهن بنات الله (عز وجل عن ذلك) وهن يشفعن إليه، فلما بعث الله رسوله أنزل عليه: "أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى. ألكم الذكر وله الأنثى، تلك إذاً قسمة ضيزى"^(٥).

أما العزى فهي صنم أنثى، وهي أحدث من اللات ومناة لأن العرب سمت بهما قبل العزى، وكانت العزى شجرة بنخلة عندها وثن تعبد غطفان، وسدنتها من

(١) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ١٦.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ٤.

(٣) علي، المفصل، ج ٥، ٩٤.

(٤) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ١٠٩.

(٥) سورة النجم ٥٣، آية ١٩-٢٢.

بني صرمة بن مرة، وذكروا أنها سمرة بنوا عليها بيتاً وأقاموا لها صدقة^(١). وروى ابن الكلبي أنها كانت براد من نخلة الشامية، يقال له حراض، بإزاء الغمير، عن يمين المصعد إلى العراق من مكة، فبنى عليها بساً (أي بيتاً)، وكانوا يسمعون فيه الصوت^(٢). وكلمة العزى من لغة بني طيء، سموها عوزى، وهي نفس عشتار ابنة الإله سين عند البابليين، وهي أيضاً نفس كوكب الزهرة المعروف عند عرب الجنوب بعشتر^(٣)، وكما كانت عشتار تمثل فصل الشتاء في أسطورة تموز البابلية، ثم مثلت الخصب والحب والجمال، وأصبحت بنت الإله، ثم أصبحت الزهرة عند الإغريق، كانت العزى رمزاً للشتاء في قول عمرو بن لحي لعمر بن ربيعة والحارث بن كعب: إن ربكم يتصيف باللات لبرد الطائف، ويشتو بالعزى لحر تهامة^(٤)، ثم أصبحت العزى عند العرب آلهة الخضر، حينما قامت على ثلاث سمرة في وادي نخلة^(٥)، وصعدت إلى السماء في صورة امرأة حسناء وعرفت بالزهرة^(٦). وكما كانت عشتار إلهة الحب والعشق الجسدي^(٧)، كان للعزى عند عرب الجاهلية علاقة بالزواج، فكانت الفتاة إذا طلبت الزواج، نشرت جانباً من شعرها، وكحلت إحدى عينيها، وحجلت

(١) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤، ١١٦.

(٢) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ١٨.

(٣) خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ١٢٠، ١٢١.

(٤) الأزرق، أخبار مكة، ج ١، ٧٤.

(٥) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٢٥.

(٦) خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ١٢٣.

(٧) نجيب ميخائيل، حضارة العراق القديمة (الإسكندرية: د.ن، ١٩٦١م)، ج ٦، ١٢٢.

على إحدى رجليها ليلاً، وقالت عبارة معناها أنها تدعو أن تتزوج "قبل الصباح"^(١)، أي قبل أن يطلع نجم الصباح وهو الزهرة.

وكانت العزى أعظم الأصنام عند قريش، وكانوا يزورونها، ويهدون لها، ويتقربون عندها بالذبح، وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول: "واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى. فإنهن الغرائق العلى. وإن شفاعتهن لترتجى"^(٢) وكان للعزى منحدر ينحرون فيه هداياها يقال له الغبغب.

ولما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة في العام الثامن للهجرة، عهد إلى خالد بن الوليد بقطع شجر العزى، وهدم البيت، وكسر الوثن^(٣).

ولم تكن العزى وثن قريش فحسب، بل كانت وثناً لكثير من قبائل العرب مثل غنى وباهلة وخزاعة وجميع مضر وبنو كنانة وغطفان^(٤)، كذلك عبدت في الحيرة زمن المناذرة، وكان ملوك الحيرة يقدمون لها البشر قرابين في بعض الأحيان، وقد ورد في المصادر السريانية أن المنذر قدم عدداً من الإماء الأسرى إلى أفروديت (العزى) قرباناً. وذكر بروكوبيوس أن المنذر نفسه قدم ابن الملك الحارث، وكان أسيره، إلى العزى قرباناً^(٥)، ويرى نلدكة أن الغريين المشهورين هما نضبان يرمزان إلى كوكبي العشاء والصباح، ويراد بهما العزى، وترتبط قصة الغريين بالقتل، ومن

(١) الألويسي، بلوغ الأرب، ج ٢، ٢٣٠.

(٢) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ١٩.

(٣) الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ٧٥.

(٤) علي، المفصل، ج ٥، ٩٧.

(٥) خان، الأساطير العربية قبل الإسلام، ١٢١.

هنا كانت العزى من الآلهة التي كان الناس يتقربون إليها بالقرايين البشرية^(١). أما هبل فكان أعظم أصنام قريش، وكان من عقيق أحمر على صورة الإنسان، مكسور اليد اليمنى، أدركته قريش كذلك، فأضافوا إليه يداً من ذهب^(٢). وعرف هبل بهبل خزيمة لأن أول من نصبه في جوف الكعبة خزيمة بن مدركة بن اليأس بن مضر، وكان يستفتي في مشكلات الناس الشخصية كالزواج والولادة والرحلة، والعمل، فكانوا يستقسمون عنده بالقداح، فما خرج عملوا به، وانتهوا إليه^(٣)، وعنده ضرب عبد المطلب بالقداح على ابنه عبد الله. ويرجح الباحثون في ديانات العرب في الجاهلية أن هبل هو نفس الإله بعل عند العبرانيين، ومن المعتقد أنه هو الإله مردوك سيد آلهة بابل، ثم دخل بعل عند بني إسرائيل، وأصبح إله الخصب والزراعة، ويبدو أنه كان إله الخصب عند العرب أيضاً بدليل أن الأزرقى يذكر أن عمرو بن لحي قدم به من هيت من أرض الجزيرة^(٤)، ونصبه على البئر في بطن الكعبة، وتعرف هذه البئر بالأخشف، وإقامة هبل على بئر يشير إلى وجود علاقة بينه وبين الخصب، واعتبره العرب لذلك سيد الآلهة، وهو الذي عناه عمرو بن لحي عندما قال: إن ربكم يتصيف باللات لبرد الطائف ويشتو بالعزى لحر تهامة^(٥).

ومن أصنام العرب إساف ونائلة، أحدهما كان منصوباً بلبصق الكعبة والآخر في موضع زمزم، ثم وضعت قريش الأول بجوار الثاني، فكانوا ينحرون عندهما.

-
- (١) علي، المفصل، ج ٥، ١٠٢.
(٢) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٢٨.
(٣) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٢٨.
(٤) الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ٦٤.
(٥) خان، الأساطير العربية قبل الإسلام، ١١٧.

ومنها رضى، وكان من الأصنام المعروفة عند الثموديين، كما انتشرت عبادته بين عرب الشمال، فورد في نصوص تدمر وفي الكتابات الصفوية على هذا الشكل "رضو"^(١). ومنها مناف وذو الخلصة وسعد. وسعد هذا كان صنماً بساحل جدة لبني مالك وملكان بن كنة وكان صخرة طويلة. وذكر ابن الكلبي أن رجلاً من بني كنة أقبل بإبل له ليقفها عليه تبركاً، فلما أدناها منه، نفرت منه، وكان يراق عليه الدم، فذهبت في كل وجه، وتفرقت عليه، وأسف، فتناول حجراً فرماه به، وقال "لا بارك الله فيك إلهاً، أنفرت على إيلي"^(٢).

ومن أصنام العرب ذو الكفين، وكان لدوس، ثم لبني منهب بن دوس، وقد أحرق ذو الكفين على يدي الطفيل بن عمرو الدوسي عندما أمره رسول الله بتحريقه^(٣)، ونستدل من ذلك على أنه كان مصنوعاً من الخشب. ومن أصنام عرب الشمال ذو الشرى، وكان صنماً لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد، وقد ورد "Dusares"، اسم هذا الصنم، في نقوش البتراء وبصرى، وهو يقابل ديونيسوس عند اليونان^(٤).

ومن أصنامهم أيضاً الأقيصر، وكان لقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان بمشارف الشام، ومنها نهم وكان لمزينة، وعائم وكان لأزد السراة، وسعير وكان لعنزة، وعميانس لخولان. ومنها محرق، وباجر، واليعبوب، وتيم، والأسحم، والأشهل، وبلج، وجريش، وجهار، والدار، وذو الرجل، والشارق، والضيض، وصمودا،

(١) علي، المفصل، ج ٥، ١٠٥.

(٢) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٣٧.

(٣) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٣٧.

(٤) علي، المفصل، ج ٥، ١٠٩.

والععب، وعوض، وعوف، والكسعة، ومنهب، وياليل، وذريج، والجد، وغنم، وقزح، وقيس، وأدال، ومرحب، والمدان، وكثري، والسعيدة، والسجة، ورثام، وبوانة، البعيم^(١).

٣- عبدة الكواكب والنار:

رأينا أن طائفة من العرب عبدت الكواكب والنجوم كالشمس والقمر والزهرة، ونضيف إلى هذه الكواكب الثلاثة كواكب أخرى كالديبران والعيوق والثريا والشعري والمرزم وعطارد وسهيل. فكناكة كانت تعبد القمر والديبران، وجرهم كانت تسجد للمشتري، وطئ عبدت الثريا والمرزم وسهيل، وبعض قبائل ربيعة عبدت المرزم، وطائفة من تميم عبدت الديبران، وبعض قبائل لخم وخزاعة وقريش عبدت الشعري العبور وهي الشعري اليمانية.

وأول من سن للعرب عبادة الشعري العبور هو أبو كبشة، وجزء بن غالب جد وهب بن عبد مناف أبو آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والشعري هي التي أشار إليها الله تعالى في قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾^(٢)، والشعري من نجوم الجوزاء وسمي العبور لأنه عبرة المجرة، وانضم إلى سهيل فصار يمانياً. وكان الشعري العبور في الأصل مجتمعاً مع الغميضاء، فلما عبر الشعري المجرة بقيت الغميضاء، والشعري أكثر ضياء من الغميضاء^(٣).

(١) علي، المفصل، ج ٥، ١١٣-١١٩.

(٢) سورة النجم ٥٢، آية ٤٩.

(٣) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٢، ٢٣٩.

والثريا مجموعة من النجوم الصغيرة مجتمعة، عددها يصل إلى عشرين نجماً^(١). أما المرزم فهو نجمان، أحدهما يتبع الشعري العبور ويسمى "كف الكلب"، والآخر يعرف "بالكوكب الأخفى"^(٢).

وقد عرف عبدة الكواكب بالصابئة الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰنِئِينَ وَالصَّٰنِئِينَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣) وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰنِئِينَ وَالصَّٰنِئِينَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٤). وهم ينقسمون إلى مؤمن وكافر، فالصابئة المؤمنون هم الصابئة الحنفاء والصابئة الكافرون هم المشركون. وكان المشركون من الصابئة يعظمون الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر ويصورونها في هياكلهم، وكان لكل كوكب يعبدون هيكل، للشمس هيكل، وللقمر هيكل، وللزهرة هيكل، وللمريخ هيكل (إلى آخره)، وأصل دين هؤلاء الصابئة، فيما زعموا، أنهم يأخذون محاسن ديانات العالم، ويخرجون من قبيح ما هم عليه قولاً وعملاً، ولهذا سموا صابئة أي خارجين، فقد خرجوا عن تقييدهم بجملة كل دين^(٥).

(١) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٢، ٢٣٩؛ الجارم: أديان العرب في الجاهلية، ١٨٩.

(٢) الألوسي، بلوغ الأرب، ٢٤٠.

(٣) سورة البقرة ٢، آية ٦٢.

(٤) سورة الحج ٢٢، آية ١٧.

(٥) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٢، ٢٢٥؛ علي، الفصل، ج ٥، ٢٦٨.

أما الحنفاء منهم فقد شاركوا أهل الإسلام في الحنيفية، بينما شارك المشركون منهم عبادة الأصنام.

كذلك عرف العرب عبادة النار أو المجوسية عن طريق الفرس في الحيرة، وفي اليمن، وفي البحرين، وكانت المجوسية عند عرب الجاهلية في تميم: منهم زرارة ابن عدس التميمي وابنه حاجب بن زرارة، ومنهم الأقرع بن حابس، وأبو الأسود جد وكيع بن حسان^(١).

كذلك انتقلت الزندقة إلى العرب من الحيرة، ووجدت الزندقة في قريش لاحتكاكهم بالفرس عن طريق التجارة. والزندقة نوعان: زندقة ثنوية، وهي القول بالنور والظلمة، ومنها المزدكية والمانوية والزردشتية، وزندقة دهرية لقول من يؤمن بها بالدهر، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^(٢)، وهم قوم أنكروا الخالق والبعث والإعادة وقالوا "بالطبع المحيي والدهر المفني"^(٣).

٤ - النصرانية واليهودية:

لا نعرف على وجه اليقين تاريخ بداية تغلغل النصرانية في شبه جزيرة العرب، كذلك يحيط الغموض بمغزى زيارة القديس بوليس إلى بلاد العرب بعد تحوله إلى النصرانية مباشرة، وإن كان بعضهم يعتقد أنه شغل أثناءها بمهمة تبشيرية، ويعارض هذا الرأي مرجحاً أن القديس بوليس كان في حاجة بعد تنصره إلى الاختلاء والعزلة

(١) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٢٠٥؛ الألويسي، بلوغ الأرب، ج ٢، ٢٣٥.

(٢) سورة الجاثية ٤٥، آية ٢٤.

(٣) الألويسي، بلوغ الأرب، ج ٢، ٢٢٠.

فترة من الوقت بعيداً عن المجتمعات التي عاش فيها قبل ذلك، وليتيح لنفسه فرصة رسم سياسته المقبلة^(١). ففي القرون الثلاثة الأولى بد الميلاد على الأقل لم تكن المسيحية قد انتشرت بعد في جزيرة العرب، ولكن من المرجح انتشارها فقط في المناطق التي عاش فيها العرب جنباً إلى جنب مع عناصر يونانية أو رومانية. صحيح أن المسيحية انتشرت بين كثير من قبائل العرب قبل ظهور الإسلام، والشعر الجاهلي يتضمن كثيراً من الشواهد على انتشارها إلا أن جذور المسيحية لم تستطع أن تمتد بعمق في قلب شبه جزيرة العرب نفسها^(٢).

ويرجع سبب انتشار المسيحية في جزيرة العرب إلى التأثير الذي مارسه ثلاثة مراكز مسيحية مجاورة لبلاد العرب هي: سورية في الشمال الغربي، والعراق في الشمال الشرقي، والحبشة في الغرب عن طريق البحر الأحمر وفي الجنوب عن طريق اليمن. والكنيسة السورية كانت أهم دعائم النصرانية على الإطلاق، ومن مراكزها في بيت المقدس ودمشق وأنطاكية تشعبت تأثيراتها إلى صحراء العرب، وأصبحنا نسمع قبل نهاية القرن الثالث الميلادي عن أساقفة في بصرى وتدمر. وأصبحت المسيحية إبان القرنين الخامس والسادس الميلاديين، في بلاد سورية البيزنطية، الديانة السائدة، وانتشرت بين العرب المقيمين في الشام في حماية الدولة البيزنطية، ونعني بهم الغساسنة. ومنذ أن تبين لجستينيان سنة ٥٣٠م أن سياسة اضطهاد المونوفيزيت خطأ كبير، من شأنه أن يضعف الإمبراطورية البيزنطية في الشرق، عمد في سنة ٥٤٣م إلى تنصيب أسقفين مونوفيزيين مستقلين للمناطق الواقعة على الحدود العربية هما يعقوب البرادعي وتيودور، ونجح الأسقف يعقوب في طبع هذه الكنيسة المونوفيزية المستقلة

(١) Richard Bell, The Origin of Islam in its Christian environment, 15- 17.

(٢) Bell, The Origin of Islam, 17.

بطابعه إلى حد أنها أصبحت تسمى بالكنيسة اليعقوبية، وساعد الحارث بن جبلة ملك الغساسنة في تمكين المذهب اليعقوبي في جنوب الشام. ومن بلاطه في الجابية من أرض الجولان انتشرت المسيحية على المذهب اليعقوبي في مجالات بعيدة بين العرب في شمال شبه الجزيرة العربية. ولقد اتهم المنذر بن الحارث الغساني في القسطنطينية بممالة الفرس، ونتج عن ذلك شيوع الفوضى بين العرب على الحدود البيزنطية، وكان لذلك أعظم الأثر في ضعف الجبهة البيزنطية في الوقت الذي بزغ فيه نور الإسلام^(١).

وفي الشمال الشرقي من شبه جزيرة العرب، كانت المسيحية قد تأصلت في الرها ونصيبين وإربل وجنديسابور وسلوقية طيسفون التي أصبحت كرسياً لبطريك الكنيسة النسطورية، وانتشرت إلى أدنى الفرات وعبر دجلة. ومن هناك انتشرت في بلاد البحرين وعمان بفضل البعثات التبشيرية، ومارست كنيسة الحيرة نشاطها في عزم، ونتج عن ذلك أن تحول كثير من عربها إلى المسيحية وعرفوا بالعباد^(٢). ولكن على الرغم من اتخاذ الحيرة مركزاً أسقفياً في سنة ٤١٠، فإن ملوك الحيرة، فيما يرجح، لم يتنصروا إلا منذ أواخر القرن السادس الميلادي، فقد قيل أن أول من تنصر منهم النعمان بن المنذر، وكان قد نشأ وثنياً ثم تنصر على يد الجاثليق صبر يشوع، وقيل على يد عدي بن زيد العبادي^(٣). وكان معظم ملوك الحيرة وثنيين، فقد ذكروا أن المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء كان يقدم ذبائح من الأسرى إلى العزى^(٤). وكانت إحدى نساؤه وتدعى هند بنت النعمان، أخت الأمير الغساني، مسيحية: فنشأ ابنها عمرو بن

(١) Bell, The Origin of Islam, 24.

(٢) Bell, The Origin of Islam, 26؛ الجارم، أديان العرب في الجاهلية، ٢٠٤.

(٣) الجارم، أديان العرب في الجاهلية، ٢٠٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٣٣٤؛ الجارم، أديان العرب في الجاهلية، ٢٠٥.

المنذر الذي تولى حكم الحيرة فيما بين عامي ٥٥٤، ٥٦٩ م مسيحياً، وإلى هند هذه ينسب دير هند الكبرى بالحيرة.

وقد دان بالنصرانية كثير من قبائل العرب النازلين بالحيرة أو بالمنطقة المحيطة بها، من بينهم تغلب وبطون من بكر بن وائل الذين تركوا اسمهم في منطقة من شمال العراق تعرف باسم "ديار بكر".

أما في الجنوب وفي الجنوب الغربي، فقد كانت بلاد الحبشة أيضاً من المراكز التي انتشرت منها المسيحية إلى بلاد اليمن وبلاد الحجاز، ومن المعروف أن المسيحية انتشرت في بلاد الحبشة منذ أن قام أحد المبشرين النصارى من أبناء سورية بحملة تبشيرية إلى بلاد الحبشة فيما يقرب من عام ٣٢٠ م، فقد تمكن هذا المبشر من إقناع النجاشي بنذ الوثنية واعتناق المسيحية^(١)، ولم يمض عشر سنوات على انتشار المسيحية على المذهب المونوفيزيتي هناك حتى عين فرومتيوس أول أسقف في أكسوم من قبل أناطاسيوس أسقف الإسكندرية وذلك في سنة ٣٥٦ م^(٢). ولكن اعتناق ملوك أكسوم للنصرانية لم يثبت تاريخياً إلا منذ عصر النجاشي تازانا (في نهاية القرن الخامس)^(٣). ومن بلاد الحبشة انتقلت المسيحية إلى الطرف الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب، وساعد على انتشار المسيحية قيام بعض المبشرين السوريين بالتبشير فيها، ونخص بالذكر منهم فيميون الراهب. وتذكر المصادر العربية أن سيارة من بعض العرب اختطفوه وباعوه في نجران حيث حمل أهلها على النصرانية^(٤) وأسس بها كنيسة

(١) فؤاد حسنين، التاريخ العربي القديم، ٣٠١.

(٢) Bell, The Origin of Islam, 30-31.

(٣) Bell, The Origin of Islam, 31.

(٤) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ٣٤.

يعقوبية. وفي سنة ٣٥٦م أرسل الإمبراطور البيزنطي قنسطنطينوس بعثة إلى جنوب بلاد العرب، على رأسها رجل يقال له تيوفيلوس، حملة الإمبراطور هدايا نفيسة إلى ملك حمير، وكان من آثار هذه البعثة أن ملك حمير اعتنق المسيحية، وأسس في بلاده ثلاث كنائس إحداها في عدن والأخريان في نجران. ثم نجح الأحباش في الاستيلاء على اليمن، وفر ملك حمير وهو أب كرب أسعد ويقال أنه أسعد الكامل آل تبع إلى يثرب حيث تهود. وفي سنة ٣٥٧م تمكن الحميريون من استرجاع بلادهم على يدي ملك كرب يوهنعم^(١)، ثم كان الغزو الحبشي الثاني لليمن في سنة ٥٢٥م وعلى أثره انتشرت المسيحية في اليمن انتشاراً واسع النطاق، واتخذ أبرهة من نجران مركزاً رئيسياً لهذا الغرض، ولقد قدم إلى الرسول من نجران وفد برئاسة راهبين هما السيد والعاقب، سألاه الصلح، فصالحهما عن أهل نجران^(٢).

انتشرت المسيحية في بلاد العرب "وانتشرت بوجه خاص في طيء ودومة الجندل، ولكن تدينهم بالمسيحية كان ظاهرياً، وظلوا يخلطونه بغير قليل من وثنيته^(٣)".

ومن اعتنق المسيحية من مشاهير العرب أرباب بن رثاب من عبد القيس وعدي بن زيد العبادي، وأبو قيس صرمة بن أبي دانس من بني النجار، وورقة ابن نوفل، وعبيد بن الأبرص الأسدي الشاعر، وبحيري الراهب.

(١) حسنين، استكمال لكتاب التاريخ العربي القديم، ٣٠٢.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ٧٦؛ الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٢، ٢٤٢؛ ذكرى عبد الملك المطهر، الصراع الديني في جنوب الجزيرة العربية من القرن الرابع حتى السادس الميلادي، (صنعاء، جامعة صنعاء رسالة ماجستير، ٢٠٠٣م)، ٣٣-٤٤.

(٣) ضيف، العصر الجاهلي، ١٠١.

أما اليهودية فقد انتشرت في بلاد اليمن بوجه خاص عن طريق اتصال ملوك حمير بيهود يثرب، ومن المعروف أن جماعات يهودية كثيرة هاجرت إلى بلاد العرب الشمالية والحجاز، بعد أن دمر الرومان أورشليم سنة ٧٠م، واستقرت هذه الجماعات في يثرب وخيبر ووادي القرى وفدك وتيماء، وعلى الرغم من اختلاط اليهود بالعرب وتعايشهم معهم، واحتكاكهم لبعض الحرف والصناعات، كالزراعة والصياغة والحدادة وصناعة الأسلحة، والصيرفة والتجارة، وعلى الرغم أيضاً من تعريضهم بحكم مجاورتهم للعرب واحتكاكهم بهم، فإنهم لم ينجحوا في نشر اليهودية بين العرب، ويرجع ذلك إلى أسباب، منها عدم اهتمامهم بالتبشير بدينهم اعتقاداً منهم بأنهم شعب الله المختار وأن سواهم من الشعوب غير جدير بذلك، ومنها احتقار العرب لهم باعتبارهم عملاء للفرس في اليمن، ولما عرفوا به من صفات ذميمة كالتهافت على جمع المال ونقض العهود والغدر، ومنها أن شعائر اليهودية المعقدة نفرت من التقيد بها^(١).

٥- الحنيفية:

ظهرت قبيل الإسلام حركة جديدة أصحابها جماعة من عقلاء العرب، سمت نفوسهم عن عبادة الأوثان، ولم ينجحوا إلى اليهودية أو النصرانية، وإنما قالوا بوحداية الله، ويعرف هؤلاء بالأحناف أو الحنفاء أو المتحنفين، وهي جمع لحنيف (صفة إبراهيم عليه السلام) الواردة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢)، وفي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ

(١) علي حسني الخربوطلي، العرب واليهود في العصر الإسلامي، (القاهرة: سلسلة كتب قومية،

١٩٧٢م)، ٢٤-٢٥.

(٢) سورة البقرة ٢، آية ١٣٥.

يُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مَّسْلَمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾^(١)، وفي قوله أيضاً: ﴿أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ﴿١٣٥﴾^(٢)، وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ﴿١١﴾^(٣)، وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ ﴿٧٦﴾^(٤) فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ ﴿٧٧﴾^(٥) فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُنْقِضُ إِلَيَّ بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٧٨﴾^(٦) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٧٩﴾^(٧).

ولا تستهدف الحنيفية ديناً جديداً كالنصرانية واليهودية والإسلام، وإنما كانت مجرد حركة دينية وصف دعائها بالحنفاء أتباع إبراهيم عليه السلام^(٨)، ومن أشهر المتحنفين: قس بن ساعدة الأبادي، وزيد بن عمرو بن نفيل، وأمّية بن أبي الصلت، وسويد بن عامر المصطلق، وأسعد أبو كرب الحميري، وورقة بن نوفل القرشي، وزهير بن أبي سلمى، وكعب بن لؤي بن غالب، وعثمان بن الحارث، وقد كان معظم هؤلاء نساكاً تشككوا في عبادة الأصنام، وساحوا في الأرض بحثاً عن الدين الصحيح دين إبراهيم، أو زهدوا في المجتمعات الوثنية، واعتزلوا عن الناس في كهوف للتأمل

(١) سورة آل عمران ٣، آية ٦٧.

(٢) سورة النساء ٤، آية ٢٥.

(٣) سورة الأنعام، آية ٦١.

(٤) سورة الأنعام، ٦ آية ٧٦-٧٩.

(٥) علي، المفصل، ج ٥، ٣٧٠؛ المطهر، الصراع الديني في جنوب الجزيرة العربية، ٩-٢٢.

والعبادة والصلاة، واعتقدوا بوحداية الله خالصة كالوحدانية التي نادى بها إبراهيم دون أن يشركوا فيها أحداً، ولقد كان لهذه الأفكار أعظم الأثر في تقويض الوثنية في شبه جزيرة العرب، فأخذت الديانات الوثنية تتداعى أمام هذه الأفكار، ولهذا السبب كثر إخفار الآلهة قبل الإسلام، من ذلك أن امرئ القيس الشاعر لما قتل أبوه، وأراد طلب ثأره، استسقم عند ذي الخلصة بالأزلام، فخرج السهم ينهاله عن ذلك، فسب الصنم، وكسر القداح، وضرب بها وجه الصنم.^(١) فلم يستسقم عنده أحد بعد حتى جاء الإسلام، وكان امرئ القيس أول من أخفـره^(٢).

وروى ابن الكلبي في سبب تنصر عدي بن حاتم أن سادن الصنم المعروف بالفلس، أوقف ناقة لامرأة من كلب في فناء الصنم، فأرسلت المرأة جارها مالك ابن كلثوم الشمجي، ليطلقها، فأطلق سبيلها برمح، فغضب السادن. وكان عدي بن حاتم يومئذ قد عثر عند الصنم، وجلس هو ونفر معه يتحدثون بما صنع مالك "وفزع لذلك عدي بن حاتم وقال: انظروا ما يصيبه في يومه هذا. فمضت له أيام لم يصبه شيء. فرفض عدي عبادته وعبادة الأصنام، وتنصر، فلم يزل متنصراً حتى جاء الله بالإسلام، فأسلم"^(٣). أما المتحنفون فقد أنفوا من عبادة الأصنام ودعوا إلى التوحيد،^(٤) وذكروا أنه كان لا يذبح للأنصاب، ولا يأكل الميتة والدم، وذلك قبل أن يبعث النبي صلى الله

(١) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٣٥؛ ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ٨٨.

(٢) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣، ٦٧.

(٣) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ٦١.

(٤) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٢، ٢٤٩.

عليه وسلم، وكان الخطاب قد آذى زيداً حتى أخرجته إلى أعلى مكة، فنزل حراء^(١).

وقد آمن المتحنفون بالله ويوم الحساب^(٢) وكان كعب بن لؤي بن غالب، أحد أجداد الرسول، متحنفاً، بأمر قريش بالتفكير في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، ويحثهم على صلة الأرحام وحفظ العهد، ويذكرهم بالموت وأهواله، ويبشرهم بمبعث رسول الله^(٣).

ولقد كان للحنيفية أثر واضح في إعداد العرب قبل الإسلام للنقلة، وفي إضعاف المثل الدينية الجاهلية والميل إلى ترك الوثنية ونبذها، والاتجاه نحو التوحيد.

(١) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٢، ٢٥١.

(٢) الألوسي، بلوغ الأرب، ٢٧٦.

(٣) الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٢، ٢٨٢.

الفصل الخامس

حواضر شبه الجزيرة العربية قديماً غرب الجزيرة نموذجاً

- أولاً: مكة.
- ثانياً: يثرب.
- ثالثاً: الطائف.
- رابعاً: خيبر.
- خامساً: تيماء.
- سادساً: دومة الجندل.

أولاً: مكة

اختلف الأخباريون في اشتقاق كلمة مكة، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ونستعرض فيما يلي مصدر اشتقاق كلمة مكة في الروايات المختلفة:

١ - قال أبو بكر بن الأنباري: «سميت مكة لأنها تمك الجبارين أي تذهب نخوتهم»^(١).

(١) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ١٨١.

٢- ويقال إنها سميت مكة «لازدحام الناس بها من قولهم: قد امتك الفصيل ضرع امه إذا مصه مصاً شديداً»، ويرد ياقوت على هذا التفسير بقوله: «فغلط في التأويل لا يشبه مص الفصيل الناقة بازدحام الناس، وإنما هما قولان»^(١).

٣- قال الشرقي بن القطامي: «إنما سميت مكة لأن العرب في الجاهلية كانت تقول لا يتم حجننا حتى نأتي مكان الكعبة فنمك فيه أي نصفر صفير المكاء حول الكعبة، وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم إذا كانوا بها، والمكناء بتشديد الكاف طائر يأوى الرياض»^(٢).

٤- وقال قوم: سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها، وهي في هبطة بمنزلة المكوك^(٣).

٥- هناك تفسير لغوي على أساسه تكون مكة مشتقة من امتك، من قولهم امتك الفصيل أخلاف الناقة، إذا جذب جميع ما فيها جذباً شديداً فلم يبق فيها شيئاً. ولما كانت مكة مكاناً مقدساً للعبادة، فقد امتكت الناس أي جذبتهم من جميع الأطراف^(٤).

٦- جاء ذكر مدينة مكة في جغرافية بطليموس تحت اسم ماكورابا Macoraba^(٥)، ويبدو أن هذا الاسم له علاقة بالبيت العتيق الذي كان سر شهرتها كعاصمة دينية في الجاهلية، فكلمة ماكورابا قريبة من مكرب التي عرفت عند

(١) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ١٨٢.

(٢) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ١٨٢.

(٣) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ١٨٢.

(٤) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ١٨٢.

(٥) علي، المفصل، ج ٤، ١٨٨. Lammens, la Mecque a la veille de l'Hégire, 22.

السبئيين، وتعبر عن لقب كان يحمله الكهنة في سبأ قبل أن يتحولوا إلى ملوك، ومن المرجح أنها تعني «المقرب إلى الله»، لأنها مدينة مقدسة، ويذكر بروكلمان أن مكة مشتقة من مكرب أو مقرب العربية الجنوبية ومعناها الهيكل^(١)، بينما يذكر آخرون أنها قد تكون مشتقة من مك في البابلية بمعنى البيت^(٢).

وورد في القرآن الكريم اسم آخر لمكة هو بكة، فذكرت بكة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾^(٣). وفسر الأخباريون المقصود ببكة فقالوا أن بكة موضع البيت وما حول البيت مكة^(٤). وذكر ياقوت رواية أخرى عن مغيرة بن إبراهيم جاء فيها أن بكة هو موضع البيت ومكة هو موضع القرية، وقيل إنما سميت بكة لأن الأقدام تبك بعضها بعضاً أمام البيت، ونقل عن يحيى بن أبي أنيسة أن بكة موضع البيت ومكة هو الحرم كله، وعن زيد بن أسلم أن بكة الكعبة والمسجد، ومكة ذو طوى وهو بطن الوادي^(٥) الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾^(٦).

(١) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، (بيروت:

١٩٤٨م)، ج ١، ٣٣؛ حتى، تاريخ العرب، ١٢٤.

(٢) زيدان، العرب قبل الإسلام، ٢٧٥.

(٣) سورة آل عمران ٣، آية ٩٦-٩٧.

(٤) الأزرق، أخبار مكة، ج ١، ١٨٨.

(٥) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ١٨٢.

(٦) سورة الفتح ٤٨، آية ٢٤.

ويرى بعضهم أن بكة هي نفس مكة أبدلت فيها الميم باء على عادة أهل الجنوب، ويعتقد جواد علي أن بكة ليست سوى لهجة من لهجات القبائل التي تبدل الميم باء^(١).

وذكر الأخباريون لمكة أسماء أخرى غير بكة، منها النساسة، والناسة، والباسة لأنها تبس أي تحطم الملحين، وقيل تخرجهم، وسميت أيضاً بأم رحم وأم القرى، ووردت بهذا الاسم في قوله تعالى: ﴿لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٢).

وسميت أيضاً معاد والحاطمة لأنها تحطم من استخف بها، وسميت البيت العتيق لأنه أعتق من الجبابرة^(٣)، والحرم، وصلاح، والبلد الأمين، والعرش، والقادس لأنها تقدس أي تطهر من الذنوب، والمقدسة، وكوثى باسم بقعة كانت منزل بني عبد الدار. وسماها الله تعالى البلد الأمين، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ﴾^(٤) وَطُورِ سِينِينَ^(٥) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ^(٦)، والبلد في قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾^(٧) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ^(٨)، والبيت العتيق في قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^(٩). وسمى الله تعالى الكعبة البيت الحرام، في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾^(١٠)، والبيت المحرم، في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ

(١) علي، المفصل، ج ٤، ١٨٩.

(٢) سورة الشورى، آية ٧.

(٣) الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ١٨٩.

(٤) سورة التين، ٩٥، آية ١ - ٣.

(٥) سورة البلد، ٩٠، آية ١ - ٢.

(٦) سورة الحج، ٢٢، آية ٢٩.

(٧) سورة المائدة، آية ٩٧.

ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴿٣٧﴾. ونستفيد من جميع التسميات التي أطلقت على مكة. أنها كانت في أول أمرها مقاماً دينياً أسسه إبراهيم، ولهذا لا نستبعد أن يكون اسم مكة كان يعرف باسم مكرب أي مقدس، ثم تحول إلى مكة.

أ- جغرافية مكة: الموقع والمناخ:

يتخذ عمران مكة شكل هلال يميل إلى الاستطالة، ويتجه جانبه نحو سفوح جبل قعيقعان، وهي على هذا النحو تبدو وقد ضيقت عليها سلسلتان مزدوجتان من التلال^(٣)، فإلى الشرق يمتد جبل أبو قبيس، وإلى الغرب يحدها جبل قعيقعان^(٤). ومكة تقوم في بطن وادي يعرف ببطن مكة، وتشرف عليها الجبال من جميع النواحي دائرة حول الكعبة^(٥). وكانت المناطق المنخفضة نسبياً من ساحة مكة تسمى البطحاء^(٦)، وكل ما نزل عن الحرم يسمونه المسفلة، وما ارتفع عنه يسمونه المعلاة^(٧). وفي غامر البطحاء كان يسكن بنو قصي مجتمعين حول الحرم، وكانت الدور محذقة بالمسجد الحرام من كل جانب، فاضطر عمر بن الخطاب إلى شراء بعضها وهدمه لإفساح ساحة المسجد

(١) سورة إبراهيم ١٤، آية ٣٧.

(٢) Lammens, la Mecque à la veille de l'Hegire، 86.

(٣) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، (القاهرة: د.ن، 1925)، ج ١، ١٧٨؛ سلمى محمد هوساوي، علاقات مكة الخارجية في العصر الجاهلي "زمن قريش" ٤٠٠-٦١٠م، رسالة ماجستير، (مكة: جامعة أم القرى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م)، ١٥-١٧.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ١٨٧.

(٥) Lammens, la Mecque à la veille de l'Hegire، 86.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ٧١.

وتوسعته^(١). وذكر الأزرق أن المسجد الحرام كان محاطاً بجدار قصير غير مسقف، وكان الناس يجلسون حول المسجد بالغداة والعشى يتبعون الأفياء، فإذا قلص الظل انفضت المجالس^(٢). وكانت المنطقة الواقعة بين بيوت أشراف مكة بالبطحاء وبين الحرم تشغلها ساحة ضيقة هي البقعة التي كان يقوم عليها البيت العتيق. أما في الظواهر، أي عند طرفي الهلال الذي تؤلفه التجمعات العمرانية فتقوم أبنية ساذجة متطامنة الأسقف بينما تتوارى خربات وراء منحنيات الشعب التي حفرها السيل في حفاقي الجبال. ومعظم هذه الشعب كانت مسرحاً لحوادث جرت في فجر الإسلام فإليها لجأ المسلمون الأوائل للتعبد بعيداً عن أعين الوثنيين من أهل مكة، واحتفظت كثير من هذه الشعب بأسماء القبائل التي أقامت بها، ومن بينها شعب بني هاشم. هذه الشعب لا تتصل فيما بينها وبين مكة إلا عن طريق ممر ضيق (عقبة) أشبه بأخود كانت تتدفق فيه السيول. ومن هذا المجموع العمراني كانت تتألف مدينة لا يراها قاصدها حتى يصل إليها^(٣).

ومن جبال مكة: أبو قبيس وهو الجبل الأعظم، ويقع إلى الجبهة الشرقية من مكة، ويشرف على المسجد الحرام، وجبل قعيقعان، وجبل فاضح، والمحصب، وثور، والحجون، وسقر، وحراء، وثبير، وتفاحة، والمطابخ، والفلق^(٤).

(١) الأزرق، أخبار مكة، ج ٢، ٥٤.

(٢) الأزرق، أخبار مكة، ج ٢، ٥٥.

(٣) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ١٣١.

(٤) اليعقوبي، كتاب البلدان، ٣١٤.

وكانت المياه شحيحة في مكة، فكان المكيون يعانون من قلتها، مما دعا بعض الأخباريين إلى تفسير اسم مكة بأنها مشتقة من «مك» أي امتص، لقلة مائها^(١)، وذكر الأزرقى أن الماء بمكة كان عزيزاً، وأن الناس كانوا يشربون من آبار خارجة من الحرم^(٢)، وكان الماء يسقى من بئر كر آدم بالمفجر، وبئر خم وكانت لبني مخزوم^(٣)، وكانوا يحملون مياه هذه الآبار في المزاد والقرب، ثم يسكبونه في حياض من آدم بفناء الكعبة، فيرده الحاج، وذكر الأزرقى عن ابن عباس أن قريشاً لما انتشرت بمكة، وكثر ساكنها، قلت عليهم المياه، واشتدت المؤنة في الماء، فحفرت بمكة آباراً، فحفر مرة بن كعب بن لؤي بئراً يقال لها رم بالقرب من عرفات^(٤). وذكر ابن هشام أن قريشاً قبل أن يجمعها قصي، وقبل أنت تدخل مكة كانت تشرب من حياض ومصانع على رؤوس الجبال ومن بئر حفرها لؤي بن غالب خارج الحرم تدعى اليسيرة، ومن بئر حفرها مرة بن كعب تدعى الروى وهي ما يلي عرفة. ثم حفر كلاب بن مرة خم ورم والجفر بظاهر مكة^(٥). ولما تولى قصي رئاسة قريش حفر بمكة بئراً يقال لها العجول كان يردّها العرب عندما يقدمون إلى مكة فيسقون منها ويتراجزون عليها^(٦).

(١) ياقوت، معجم البلدان، ١٨٢.

(٢) الأزرقى، أخبار مكة، ج ٢، ٦٤.

(٣) الأزرقى، أخبار مكة، ج ٢، ٦٤، ١٧٣.

(٤) الأزرقى، أخبار مكة، ١٧٣.

(٥) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ١٥٨.

(٦) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ١٥٨؛ الأزرقى، أخبار مكة، ج ٢، ٦٤، ١٧٤.

كذلك حفر قصي بئراً عند الردم الأعلى عند دار أبان بن عثمان، ثم دثرت فنتلها جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عمدة مضاف وأحيائها^(١).

أما هاشم بن عبد مناف فتنسب إليه بئراً بذر وسجله^(٢). وحفر عبد شمس ابن عبد مناف بئر الطوى بالبطحاء^(٣)، وحفر أمية بن عبد شمس الجفر^(٤)، وحفر بنو عبد شمس بئر أم جعلان، وبئر العلوق بأعلى مكة، وحفر بنو أسد ابن عبد العزى بئر شفية^(٥)، وحفر بنو عبد الدار بن قصي بئر أم أحراد، وحفر بنو جمح بئر السنبله، وحفر بنو سهم بئر الغمر، وبنو تيم الثريا، وحفر حويطب ابن عبد العزى بئر حويطب^(٦)، وحفر ميمون بن الحضرمي حليف بني عبد شمس ابن عبد مناف بئره وهي آخر بئر حفرت في الجاهلية^(٧)، وحفر عبد المطلب بئر زمزم، فعفت على آبار مكة كلها، لمكانها من البيت والمسجد وفضلها على ما سواها من المياه، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم^(٨). وكان ماء زمزم ثقيلاً، فكان عبد المطلب يخففه باين ابله ويخلطه بالعسل في حواضري من آدم عند زمزم، ويشترى الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج، وكان للعباس بن عبد المطلب كرم بالطائف، فكان يحمل زبيبته إلى

(١) الأزرقى، أخبار مكة، ج ٢، ١٧٤.

(٢) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ١٧٥؛ الأزرقى، أخبار مكة، ج ٢، ١٧٥-١٧٦.

(٣) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ١٥٦؛ الأزرقى، أخبار مكة، ج ٢، ١٧٦.

(٤) الأزرقى، أخبار مكة، ج ٢، ٦٥، ١٧٦.

(٥) الأزرقى، أخبار مكة، ج ٢، ٦٥، ٥٧٧.

(٦) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ١٥٨.

(٧) الأزرقى، أخبار مكة، ج ٢، ٦٥، ١٧٩.

(٨) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ١٥٨؛ الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ٥٨-٥٩، ج ٢، ٢٤،

٦٥، ج ٣، ١٨٠.

زمزم فينبذه في الماء ويسقيه الحاج في أيام الحج^(١). وكان ماء زمزم يعذب في فصول الأمطار الغزيرة إذ يخف غلظه^(٢).

وكانت مكة في واد غير ذي زرع، وقد كان ذلك سبباً رئيسياً في اعتماد أهل مكة على غيرها في حياتهم المعيشية وفي أقواتها، وكانت الأقوات تأتيها من الطائف ومن السراة. ولهذا السبب اهتم معاوية بن أبي سفيان بعد ظفـره بالخلافة بتوصيل المياه إلى بساتين أنشأها في نواحي مكة، وفي ذلك يقول الأزرقى: «كان معاوية ابن أبي سفيان رحمه الله قد أجرى في الحرم عيوناً، واتخذ لها أخفافاً، فكانت حوايط، وفيها النخل والزرع، ومنها حايط الحمام وله عين، وهو من حمام معاوية الذي بالمعلاة إلى موضع بركة أم جعفر»^(٣). وفي خلافة سليمان بن عبد الملك أقام خالد بن عبد الله القسري البركة الواقعة عند فم الثقبـة، وشق من هذه البركة عيناً تجري إلى المسجد الحرام في أنابيب الرصاص^(٤).

وبينما كانت يثرب بلداً ذات أراض خصبة يكثر بها الزرع، ويعتمد أهلها على الزراعة، كان عماد حياة أهل مكة على التجارة والضرائب التي تجبى على القوافل التجارية وما كان ينفقه الحجاج في مواسم الحج. وكان ينبت بمكة في عصور الجاهلية الأولى، عندما قدمت قبائل جرهم من اليمن، غياض ملتفة من سلم وسمـر ونباتات تسمـن مواشيهم^(٥)، ولكن هذه الفياض أخذت تتلاشى تدريجياً، ولم يعد ينبت بمكة

(١) الأزرقى، أخبار مكة، ج ٢، ٦٥.

(٢) الأزرقى، أخبار مكة، ج ٢، ٤١-٤٢.

(٣) الأزرقى، أخبار مكة، ج ٢، ١٨٢.

(٤) الأزرقى، أخبار مكة، ج ٢، ٨٦.

(٥) الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ٤٢.

قبل ظهور الإسلام سوى الضغابيس والسنا وهي نباتات كان يؤخذ منها الدواء والسواك^(١). أما الشجر والنخل وما كانت ينبت دون زرع فقل ما يظهر، ولذلك حرم على أهل مكة قطع شجر الحرم للانتفاع به.

أما فيما يختص بمناخ مكة فقد كان قارياً، فالحرارة تشتد في أثناء النهار والرياح الساخنة تكاد تحمد الأنفاس، وقد وصف المقدسي مناخ مكة بقوله: «ويكون الحرم حر عظيم وريح تقتل وذباب في غاية الكثرة»^(٢). وكان هذا المناخ يسبب الأوبئة والأمراض، فقد ذكر ابن هشام أن حليلة السعدية حدثت أم النبي في إبقائه معها في ديارها بعيداً عن مكة خوفاً من الوباء الذي تفشى فيها^(٣)، ومن المعروف أن مرض الجدري والحصبة تفشيا في مكة والمدينة في عام الفيل^(٤). والواضح أن درجة الحرارة في مكة كانت ترتفع ارتفاعاً شديداً في فصل الصيف حتى ذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صبر على حر مكة تباعد منه جهنم مسيرة مائة عام وتقربت منه الجنة مسيرة مائتي عام»^(٥)، وكان هذا الوعد سبباً في نزول كثير من المجاورين بمكة وملازمتهم الطواف حول الحرم مع شدة الحر بالمطاف، والمطاف على حد قول ابن بطوطة معروش بالحجارة السود، «وتصير بحر الشمس كأنها الصفائح المحماة، ولقد

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ٥٢.

وذكر ابن هشام أن أول ما روي بارض العرب من مرائر الشجر الحرم والحنظل والعشر كان

في عام الفيل (ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ٥٦).

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ٩٥.

(٣) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ١٧٣.

(٤) ابن هشام، سيرة بن هشام، ٥٦.

(٥) الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ١٧.

رأيت السقائين يصبون الماء عليها فلا يجاوز الموضع الذي يصب فيه إلا ويلتهب الموضع من حينه^(١). وكان وثنيو مكة يعذبون المسلمين بتعريضهم لحرارة الشمس «إذا حميت الظهيرة، يعذبونهم برمضاء مكة»^(٢)، وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح يخرج بلالاً بن رباح إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره^(٣).

وما يكاد ينتمي الصيف الحار حتى يأتي الخريف، فيعيش الناس تحت تهديد السيول^(٤)، وكانت السيول تشكل خطراً على عمران مكة، ومن أقدم السيول المخربة سيل حدث في زمن الجرهيميين فدخل البيت، فانهدم، فأعادته جرهم^(٥)، وسيل سال في عهد خزاعة فتدفقت مياهه داخل المسجد الحرام وأحاطت بالكعبة، ويعرف هذا السيل بسيل قارة^(٦). وعلى الرغم من أعمال الإصلاح والإجراءات التي قام بها الخلفاء الراشدون في العصر الإسلامي لتجنب الكوارث التي تسببها السيول، كإقامة السدود في الأحياء المرتفعة، وعمل الردم الأعلى وبنائه بالصفائر والصخر وكبسه، وذلك في خلافة عمر بن الخطاب عقب سيل أم نهشل الذي اقتلع مقام إبراهيم وجرفه إلى أسفل مكة^(٧)، وعمل صفائر للدور الشارعة على وادي مكة، وصفائر للمسجد الحرام،

(١) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ١٢٢.

(٢) الزبير، نسب قریش، ٢٠٨؛ ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج ١، ٣٤٢.

(٣) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ٣٣٩.

(٤) Lammens, le Berceau de l'Islam, vol. I, 23, La Mecque to à la veille de l'Hegire, 103.

(٥) الأزرق، أخبار مكة، ج ١، ٤٣.

(٦) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ٢٦٠.

(٧) البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ٦٢.

وضفاير للدور الواقعة في جنوبي الوادي في سنة ٨٠هـ في خلافة عبدالملك بن مروان، وذلك عقب سيل الجحاف^(١)، فقد ذكروا أن عبد الملك بعث لعمل هذه الضفاير والردوم على أفواه السكك مهندساً نصرانياً^(٢)، فإن السيول الجارفة اكتسحت بطن مكة ودخلت المسجد الحرام، وأحاطت بالكعبة، وهدمت كثيراً من دور مكة^(٣).

وكثيراً ما كانت الأوبئة تنفشي عقب السيول الخربة، فقد أصيب أهل مكة بمرض شديد في أجسادهم وأستهم أصابهم منه شبه الخبل، عقب سيل سنة ٨٤هـ، فسمى هذا السيل بسيل المخبل^(٤).

كما أصيبوا بمرض شديد «من وباء وموت فاش» عقب سيل ابن حنظلة الذي حدث في سنة ٢٠٢هـ في خلافة المأمون^(٥).

ولم تكن هذه الأوبئة تقتصر فقط علي مواسم السيول، بل كانت تعقب مواسم الحج بسبب الحرارة الشديدة التي تؤذي العيون وكثرة الذباب^(٦)، ويفسر هذا كثرة عدد العميان في مكة^(٧)، ويبدو أن المقصود «بأولي الضرر» الواردة في القرآن

(١) الأزرقى، أخبار مكة، ج ٢، ١٣٦؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ٢٦١.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ٦٣؛ الأزرقى، أخبار مكة، ج ٢، ١٣٦؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ٢٦١.

(٣) الأزرقى، أخبار مكة، ج ٢، ١٣٧.

(٤) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ٢٦٢.

(٥) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ٢٦٢.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ٩٥.

(٧) ابن قتيبة، كتاب العارف، ١٩٦؛ ابن رسته، الأعلام النفيسة، ٢٢٤.

حواضر شبه الجزيرة العربية قديماً غرب الجزيرة نموذجاً

الكريم^(١) الذين أصيبوا بالعمى^(٢). وإلى جانب ما كانت تسببه الحرارة الشديدة من أمراض العيون، فقد كان الجذب والمحل يسودان البلاد في السنين «الشهباء» حيث لا تجد الماشية ما يشبعها من العشب، فلا تدر ألباناً، ويضطر القوم إلى النزوح إلى مواطن الكلاء والعشب. وقد تسبب كل ذلك في كثرة الأمراض وانتشار الأوبئة. ومع ما تسببه السيول من كوارث، فإن مياهها تتجمع في بحيرات طبيعية أو غدران لا تدوم طويلاً، أو تكون بركاً وعيوناً جوفية تمسك الماء، وحول هذه العيون والغدران تنبت الأعشاب ويكثر النخيل^(٣).

ب- مصادر الثروة الاقتصادية في مكة في العصر الجاهلي:

رأينا أن مكة كانت قبل الاسلام مركزاً للطريق التجاري بين اليمن وبلاد الشام، فعليها كانت تتدفق منتجات الشرق الأدنى من دلتا الفرات عن طريق خليج فارس واليمن، ومنتجات مصر والشام عن طريق الشام. وكانت مكة على اتصال وثيق ببلاد الحبشة، يدل على ذلك وجود طائفة من الصنائع والشذاذ تعرف بالأحابيش أو عبدان أهل مكة، أو سودان مكة^(٤)، واختيار الحبشة بالذات ملاذاً للمهاجرين المسلمين الأوائل. وكان للمكيين وكلاء عنهم في تبالة وجرش وفي نجران وغيرها من المدن التجارية في شبه الجزيرة. وكانت مكة تقوم بدور الوسيط بين عالمين، شأنها في ذلك شأن تدمر بالنسبة للبارثيين والرومان، وقد أتاح موقع مكة الجغرافي من جهة، ثم حيادة قريش من جهة أخرى، لها الفرصة لتحقيق نجاح واسع النطاق في هذا

(١) القرآن الكريم، سورة النساء ٤ آية ٩٥.

(٢) Lammens, la Mecque à la veille de l'Hegire, 90.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ١٧٨. I. 26-31. Lammens, le Berceau de l'Islam, t. I.

(٤) Lammens, l'Arabie occidentale avant l'Hegire, Beyrouth, (1928), 269.

المجال، وعلى الرغم من أن البيزنطيين كانوا يأنفون من التعامل مع العرب، ويرون إقصاءهم عن بلاد سورية المتحضرة، فإن إقبال بيزنطة الشديد وتهافتها على منتجات الهند والصين، لم تصرفهم عن الاستعانة بالقرشيين كوسطاء التجارة الهندية، وكانت القسطنطينية تستخدم منتجات الشرق لإبراز مظاهر العظمة والأبهة في البلاط الامبراطوري، فالأباطرة أنفسهم كانوا يحيطون أنفسهم بحاشيات مترفة تلبس الثياب الحريرية، وكانت أبهة الكنائس البيزنطية وفخامتها تتطلب مزيداً من البخور والطيوب ومزيداً من الأقمشة الحريرية المصنوعة في الصين والهند، ومن الأرائك والأسرة المصنوعة من أخشاب الصومال والأعواد التي لا توجد إلا في الشرق، هذا بالإضافة إلى إقبال البيزنطيين الشديد على التوابل الهندية. ولقد سعت مكة إلى التفاوض مع الدول المجاورة لبلاد العرب للحصول على ضمانات لتأمين تجارتها^(١). ونجح القرشيون في عقد المعاهدات التجارية مع حكومتي بيزنطة وطيستون^(٢).

ولكن بيزنطة، حتى مع ارتباطها مع العرب من الناحية التجارية، لم تكن تقبل التفاوض مع العرب على مبدأ «الباب المفتوح»، فقد كانت ترى في كل غريب عنها عيناً يجب مراقبته عن كثب، ولذلك كانت المعاملات التجارية مع العرب تتم على الحدود السورية، فلم تكن حكومة بيزنطة تسمح لتجار العرب بالإقامة والتجارة إلا في عدد ثابت من المدن السورية، ففي فلسطين كان يسمح للعرب بحرية التجارة في مينائي أيلة وغزة، وفي مدينة القدس، أما في سورية، فقد كان سوق بصرى مفتوحاً لهم، وتردد ذكر بصرى في كثير من أشعار العرب في الجاهلية، وكانت بصرى مدينة

(١) Lammens, la Mecque à 1 veille de l'Hegire, 26.

(٢) Lammens, la Mecque à 1 veille de l'Hegire, 32.

شديدة الحصانة والمنعة، لتقوم بوظيفتها كرقب لبلاد الشام، وكانت تؤلف المحطة التجارية الأخيرة لقوافل قريش، والسوق الكبرى للغلال بالنسبة للحجاز، كما كانت تشتهر بأسلحتها ودروعها، وكانت أسواق بصرى تعقد خارج أسوارها. وقد قصدها النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير مع عمه أبي طالب أيام اشتغاله بالتجارة إلى الشام^(١). ويذكرون في كتب السير قصور بصرى^(٢) وقصور الشام، ولعلمهم كانوا يعنون بقصور بصرى أسوارها المشرفة الذروة، وبقصور الشام خط التحصينات الفاصلة بين البادية ومدن الشام. أما غزة فكانت أول ثغر بفلسطين يقابله تجار العرب القادمين من الصحراء، وكانت مخازنها تندفق عليها بضائع مصر ومنتجات العالم اليوناني الروماني، فهي كانت تعتبر بحق باب الغرب بالنسبة للعرب.

وقد عقد القرشيون معاهدات مماثلة مع أمراء العرب في الجزيرة العربية، مع شيوخ قيس وأقيال اليمن وأمراء اليمامة والحيرة، وكانت هذه المعاهدات تسجل في مهارق وصحف أو على الأديم، ومن بين هذه المعاهدات، المعاهدة التي عقدها رسول الله مع المكين في العام السادس للهجرة، وتعرف بصلح الحديبية، ويذكر أبو يوسف صاحب كتاب الخراج أن رسول الله لما قدم إلى مكة، وهبط على الحديبية أرسل إليه أهل مكة أحد صعاليكهم وهو ابن، الحلس لرد النبي وصحابته عن مكة، ثم أرسلوا إليه عروة بن مسعود الثقفي فعاد كل منهما إلى أهل مكة وهو يعظم في النبي، فاضطروا إلى إرسال واحد من رؤسائهم من أولي الشجاعة والعزم هو سهيل بن عمرو الملقب بذي الأنبياء ومعه مكرز بن حفصي وحويطب بن عبد العزى لمفاوضة النبي في عقد معاهدة بين أهل مكة والرسول، وكان المسلمون يقطعون الطريق على

(١) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ١٩٢.

(٢) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ١٦٦.

تجار قريش وغلى غيرهم، وقد أدى ذلك إلى إرغام المكيين على التعاقد مع النبي^(١). ومن مظاهر ثراء أهل مكة أن قافلتهم إلى الشام يوم بدر كانت تتكون من ألف بعير فيها أموال عظام بلغت نحو خمسين ألف دينار، وأكثر ما فيها من المال لآل سعيد بن العاص لأبي أحيحة، إما مال مع قوم قراض على النصف، فكانت عامة العير لهم. ويقال إنه كان لبني مخزوم فيها مائتا بعير وخمسة أو أربعة ألف مثقال، وكان لأمية بن خلف ألفا مثقال. وكان لبني عبد مناف منها عشرة ألف مثقال، وكان متجرهم إلى غزة^(٢). هذه الأموال كلها كانت متجمعة في قافلة واحدة ولقبيلة مكية واحدة، ويمكننا قياساً على ذلك أن نتصور ثراء أهلها من الأسرات التجارية الأخرى، وتوافر إمكاناتها المالية، ووضع رؤوس أموالها في التجارة.

وكانت أسرة بني مخزوم من الأسرات المكية فاحشة الثراء، وظهر منهم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان يعتبر نفسه هو وأبا مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف عظيمي القريتين، وهو القائل: «أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف، ونحن عظيمي القريتين»^(٣)، فأنزل الله فيه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٤).

وكان عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي من أكبر أغنياء مكة، تبرع بخمسمائة دينار لمحاربة النبي^(٥)، وافتدى كلاً من خالد بن هشام بن المغيرة، وعثمان بن عبد الله بن

(١) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج (د.م: مطبعة بولاق، 1202هـ)، ١٣٠.

(٢) الواقدي، مغازي رسول الله، ١٧-١٨.

(٣) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ٢٨٧.

(٤) سورة الزخرف ٤٣، آية ٣١.

(٥) الواقدي، مغازي رسول الله، ٢٢.

المغيرة وأمّية بن أبي حذيفة بن المغيرة باثني عشر ألف درهم يوم بدر^(١)، وغنم زيد بن حارثة مولى الرسول قافلة له بالقردة وبلغ الخمس يومئذ 20 ألف درهم^(٢). وكان عبد الله بن جدعان يشتغل بتجارة الرقيق^(٣). وكان عظيم الثراء إلى حد أنه أرسل ألفي بعير إلى الشام تحمل إليه البر والشهد والسمن للفقراء^(٤)، وكان صفوان بن أمّية، صاحب مخزن السلاح، وكان يشتغل بتجارة الفضة النقر والآنية الفضة^(٥). ويبدو أن اتصال تجار مكة بالحبشة والصومال كان يتم عن طريق آخر غير طريق اليمن البري هو طريق البحر، فقد كان لمكة ميناء على البحر الأحمر يسمى الشعبية، فكان تجار مكة يستخدمون هذا الميناء والموانئ القريبة منه للاتصال بالحبشة والصومال ومصر أيضاً، ومن المعروف أن قریش لم تكن تملك سفناً في البحر الأحمر، والأرجح أنهم استخدموا سفناً كانت تعمل لحسابهم^(٦). ومن مصادر ثروة أهل مكة حج البيت، والحج إلى جانب كونه مظهراً دينياً للعرب في الجاهلية، وسيلة للاجتماع والالتقاء والتعارف، كان وسيلة من وسائل التكسب بالتجارة، فقد كانت تقام في موسمه، كما سبق أن تحدثنا أسواق تجارية وأدبية

(١) الواقدي، مغازي رسول الله، ١٠٧.

(٢) الواقدي، مغازي رسول الله، ١٥٦.

(٣) كانت تجارة الرقيق تعتمد على الاسرى البيض الذين كانوا يقعون في أيدي الروم أو الفرس أو العرب المقيمين في البادية، فيباعون في أسواق النخاسة، كما كانت تعتمد على الرقيق الاسود من بقايا الأحباش في الجزيرة العربية أو من زنوج أفريقيا.

(٤) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ١٠٥.

(٥) الواقدي، مغازي رسول الله، ١٥٦.

(٦) الشريف، مكة والمدينة، ٢١.

مثل سوق عكاظ وسوق مجنة وسوق ذي المجاز، وفي هذه الأسواق كان العرب من سائر أنحاء شبه الجزيرة يفدون بسلعهم للتبادل والبيع.

وكانت العملات السائدة في مكة والحجاز عامة الدينار والدرهم، وهما عملتان أجنبيتان، والدينار لفظة مشتقة من اللفظة اليونانية اللاتينية «ديناريوس»، وهو اسم وحدة من وحدات السكة الذهبية عند العرب^(١)، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الوحدة النقدية في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتَيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٢)، أما الدرهم فلفظ مشتق من الدراخمة اليونانية، واستعاره العرب من الفرس.

والدرهم وحدة فضية^(٣)، ومن المعروف أنه لم تكن ببلاد العرب دار السكة، وأن العرب - باعتبارهم وسطاء للتجارة بين الشرق والغرب - كانوا يتعاملون بهاتين الوحدتين النقديتين، وكانت تجارتهم مع الدولة الساسانية ومع الدولة البيزنطية تدر عليهم كميات كبيرة من الدينانير والدراهم.

ونج عن اشتغال مكة بالتجارة معرفة أهلها بالكتابة والحساب، وبالمكايل والموازن والمقاييس، فمن المكايل المستخدمة الصاع والمد والمكوك، ومن الموازن الرطل والأوقية والنش، وهو نصف الأوقية، والدرهم والمثقال^(٤). وعرف تجار مكة

(١) عبد الرحمن فهمي، النقود العربية، ماضيها وحاضرها، (القاهرة: المكتبة الثقافية، ١٩٦٥)، ٨.

(٢) سورة آل عمران ٣، آية ٧٥.

(٣) فهمي، النقود العربية، ١٠.

(٤) الشريف، مكة والمدينة، ٢١٦.

نظام الأمانات والودائع ونظام الصكوك وغير ذلك مما يتطلبه العمل بالتجارة^(١). أما عن الصناعات التي كان يعمل بها أهل مكة فمنها صناعة الأسلحة من رماح وسكاكين وسيوف ودروع ونبال، وكان سعد بن أبي وقاص يبري النبل، وكان الوليد ابن المغيرة حداداً وكذلك كان العاص بن هشام أخو أبي جهل^(٢)، وكان خباب بن الأرت قينا يعمل السيوف^(٣). ومنها صناعة الفخار، من قدور وجفان وصحاف وأباريق، وهي ألفاظ ورد ذكرها في القرآن الكريم^(٤) وفي الشعر، ومن اشتغل بهذه الصناعة أمية بن خلف الذي كان يبيع البرم^(٥)، كما عرفوا صناعة الأسرة والأرائك، وهما أيضاً لفظتان وردتا في القرآن الكريم^(٦)، ومن اشتغل بالنجارة عتبة بن أبي وقاص^(٧).

قد ارتفع أفق أهل مكة بسبب اتصالاتهم التجارية بمن حولهم من الأمم والشعوب، فعن النبط وأهل الحيرة عرفوا الكتابة، وعن الأحباش عرفوا بعض الأدوية^(٨)، وعن الروم والفرس عرفوا كثيراً من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافات.

(١) Lammens, la Mecque à 1 veille de l'Hegire, 130.

(٢) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ١٩٤.

(٣) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ٣٨٣.

(٤) سورة الإنسان ٧٦، آية ١٥ - ١٧؛ الغاشية ٨٨، آية ١٥؛ سورة الواقعة، ٥٦ آية ١٨؛ سورة الزخرف ٤٣ آية ٧١.

(٥) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ١٩٤.

(٦) "السرر" في سورة الغاشية ٨٨ آية ١٣ وسورة الواقعة ٥٦ آية ١٥، "الأرائك" في سورة الكهف ١٨ آية ٣١، وسورة المطففين ٨٣ آية ٢٢، وسورة الإنسان ٧٦، آية ١٣.

(٧) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ١٩٤.

(٨) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥٤٦.

ج- تاريخ مكة قبيل ظهور الإسلام:

يزعم الاخباريون أن أقدم من حكم مكة والحجاز العمالة وعليهم السמידع ابن هوبر بن لاوي^(١). وخلفهم بنو جرهم القحطانية. وكان إبراهيم (عليه السلام) قد أسكن ولده إسماعيل مكة مع أمه هاجر، وبنى البيت العتيق بالحجر بمعاونة ابنه إسماعيل. وتزوج إسماعيل امرأة جرهمية، وكانت منازل جرهم بمكة وما حولها، وقام بأمر البيت بعد إسماعيل الحارث بن مضاض الجرهمي، وهو أول من ولي البيت.

ثم وفدت خزاعة إلى مكة بعد سيل العرم، فنزلوا بظاهر مكة، وغلبوا الجرهميين على مكة، وطردوهم عنها، وكان أول من ولي أمر البيت من خزاعة عمرو بن لحي، فغير دين إبراهيم وبدله بعبادة الأوثان، فقد ذكروا أنه استحضر معه من البلقاء بالشام أصناماً نصبها حول الكعبة^(٢)، وظلت خزاعة تلي أمر البيت، أما مضر فقد احتفظت بحق الإجازة بالناس من عرفة والإفاضة بهم غداة النحر إلى منى^(٣).

ثم تشعبت مضر وبطون كنانة، وصاروا أحياء وبيوتات، وكانوا يقيمون بظاهر مكة، إلى أن تمكن قصي بن كلاب بن مرة من السيادة في مكة وانتزع ولاية البيت من خزاعة، من أبي غبشان الخزاعي. وإلى قصي هذا يرجع الفضل في جمع قريش وترتيبها على منازلها بمكة، فميز بين قريش البطاح وقريش الظواهر، وقريش البطاح هم البطون التي كانت تسكن مكة نفسها، وكان منهم التجار والأثرياء، وهم بنو عبد مناف وبنو عبد الدار، وبن عبد العزى وبنو زهرة، وبنو مخزوم وبنو تيم بن مرة، وبنو جمح، وبنو سهم، وبنو عدي، وبنو عتيك بن عامر. أما قريش الظواهر فقد سكنوا

(١) المسعودي، مروج الذهب ج ٢، ٤٦؛ الأزرق، أخبار مكة، ج ١، ٤٠.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ٤٦؛ الأزرق، أخبار مكة، ج ١، ٤٨.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ٥٧؛ ابن خلدون، كتاب العبر، ج ٢، ٦٨٩.

خارج مكة، ومنهم بنو محارب، والحارث ابن فهر، وبنو الأدرم بن غالب بن فهر، وبنو هصيص بن عامر ابن لؤي^(١).

ولما قسم قصي مكة خططاً ورباعاً بين قريش، واتسقت له طاعتهم وحاز شرف قريش كلها، بني اداره فسميت دار الندوة، «لأنهم كانوا ينتدون فيها فيتحدثون ويتشاورون في حروبهم وأمورهم، ويعقدون الألوية، ويزوجون من أراد التزويج»^(٢). كانت هذه الدار دار مشورة في أمور السلم والحرب، ودار حكومة يديرهما «الملأ» أو مجلس شيوخها، وهي تشبه الاكليسيا في أثينا والسناتو في روما^(٣). وإلى جانب دار الندوة كانت له الحجابة والرفادة والسقاية واللواء والقيادة، وفرض قصي على قريش لرفادة الحجيج، فكانوا يخرجونه، ويأمر بإنفاقه على طعام الحاج وشرابهم^(٤) خرجاً. أما الحجابة فكان القائم بها يمتلك مفاتيح الكعبة، وأما الرفادة فهي إطعام من لم يكن له سعة ولا زاد من الحجاج، وأما السقاية فهي التكفل بسقاية الحجاج عن طريق أحواض من آدم كانت توضع بفناء الكعبة ومنى وعرفات، وأما اللواء فراية يلوونها على رمح وينصبونها علامة للعسكر إذا توجهوا إلى الحرب، وتدور حوله المعارك، والقيادة هي قيادة الجيش عند الحرب يتولاها قصي أو من ينيبه عنه^(٥).

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٥٩؛ هوساوي، علاقات مكة، ٤٨-٥٣.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ص ٥٢؛ اليعقوبي، كتاب البلدان، ج ١، ١٩٧.

(٣) كان لا يدخل دار الندوة من قريش أو غيرهم إلا من بلغ من عمره أربعين سنة، وكان مباحاً الأولاد قصي دخولها جميعاً، انظر: قطب الدين النهرالي، كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق: وستنفلد، (ليبزج: د.ن، ١٨٥٧م)، ٤٥.

(٤) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ١٢٢، ١٣٧؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٥٢.

(٥) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٨٧-٨٨.

ولما شاخ قصي جعل لابنه عبد الدار، وكان يؤثره على بقية بني، دار الندوة والحجابه واللواء والرفادة والسقاية. ويبدو أن قصي أثر عبد الدار بهذه الامتيازات لأن عبد الدار كان ابنه البكر، ولأن عبد مناف كان قد شرف في زمان أبيه وذهب كل مذهب^(١)، وقيل أن قصي قسم مهام مكة بين ولده، فجعل السقاية والرياسة لعبد مناف، ودار الندوة لعبد الدار، والرفادة لعبد العزى، وحافتي الوادي لعبد قصي^(٢). وذكر الأزرقى أنه قسم أمور مكة الستة بين ابنه عبد الدار وعبد مناف، فأعطى عبد الدار السدانة وهي الحجابه، ودار الندوة واللواء، وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة^(٣).

والأرجح ما ذكره ابن هشام، وهو قيام عبد الدار بجميع مهام مكة. فلما هلك قصي بن كلاب، أجمع بنو عبد مناف بن قصي، وهم عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قصي، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم، وفضلهم في قومهم، فتفرقت قريش عند ذلك، فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم (بنو أسد بن عبد العزى بن قصي، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة بن كعب، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر^(٤)،

(١) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ١٣٦؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٥٣؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ٧٥.

(٢) اليعقوبي، كتاب البلدان، ج ١، ١٩٩.

(٣) الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ٦٢.

(٤) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ١٣٨-١٣٩؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٥٦؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ٧٦.

وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم (بنو مخزوم بن يقظة بن مرة، وبنو سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب، وبنو جوح بن عمرو بن هصيص، وبنو عدي بن كعب) عند الكعبة حلفاً مؤكداً على ألا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً، فسموا الأحلاف^(١). وأجمع كل من الفريقين على الحرب، ثم تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار، وتحاجز الناس عن الحرب، وثبت كل قوم مع من حالفوا^(٢)، وظلوا على هذا النحو حتى ظهور الإسلام^(٣).

أما دار الندوة فقد ظلت لعبد الدار ولولده، حتى باعها عكرمة بن عامر ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار من معاوية بن أبي سفيان، فجعلها داراً للإمارة بمكة. وأما الحجابة، فكانت لعبد الدار، ثم آلت من بعده إلى عثمان ابن عبد الدار، ثم إلى عبد العزى بن عثمان، ثم إلى أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى، ثم إلى طلحة بن أبي طلحة. فلما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة أراد دفع مفتاح الكعبة إلى عمه العباس بن عبد المطلب، فأنزل الله عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٤). فأعطى النبي مفتاح الكعبة إلى عثمان بن أبي طلحة، وكان قد أسلم في صفر سنة ٨هـ^(٥).

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥٦؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ٧٦.

(٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ٧٦.

(٣) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ١٤٠.

(٤) سورة النساء ٤ آية ٥٨.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥٣؛ الأزرقى، أخبار مكة، ٦٢-٦٣.

أما اللواء فإنه لم يزل في بني عبد الدار حتى كان ولاء المشركين يوم بدر مع طلحة ابن أبي طلحة بن عبد العزى، وبطل اللواء بعد أن أسلم بن عبد الدار^(١).
أما السقاية والرفادة فصارتا لهاشم بن عبد مناف، ثم للمطلب بن عبد مناف، ثم لعبد المطلب، ثم للزبير بن عبد المطلب، ثم لأبي طالب، ولم يكن أبو طالب قادراً على الإنفاق، فآلت الرفادة والسقاية إلى العباس بن عبد المطلب، ثم آلت إلى عبد الله ابن عباس^(٢). وذكر الأزرقى أن السقاية والرفادة كانت لهاشم ابن عبد مناف، وأن القيادة كانت لعبد شمس بن عبد مناف. وكان هاشم يطعم الناس في كل موسم بما يجتمع عنده من ترافد قريش، فكان يشتري بما يجتمع لديه دقيقاً، ويأخذ من كل ذبيحة من بدنة أو بقرة أو شاة فخذها، فيجمع ذلك كله، ثم يحرز به الدقيق ويطعمه الحاج. فلم يزل على ذلك من أمره حتى أصاب الناس في سنة جذب شديد، فخرج هاشم بن عبد مناف إلى الشام فاشترى بما اجتمع عنده من ماله دقيقاً وكعكاً، فقدم به مكة في الموسم، فهشم ذلك الكعك، ونحر الجزور و طبخه، وجعله ثريداً وأطعم الناس حتى أشبعهم^(٣)، ثم تولى عبد المطلب الرفادة، ثم قام بها أبو طالب حتى جاء الإسلام، أما السقاية فقد ظلت بيد عبد مناف، ثم آلت إلى هاشم ثم إلى عبد المطلب، ثم إلى العباس بن عبد المطلب^(٤).

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥٥.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥٧؛ هوساوي، علاقات مكة، ٤٨-٥٣.

(٣) الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ٦٣.

(٤) الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ٦٥.

وذكر الأخباريون إن أول من كسا الكعبة في الجاهلية أسعد تبع الحميري، كساها الأنطاع، ثم كساها الوصايل ثياب حبرة من عصب اليمن^(١). ثم أصبحت تكسى بعد ذلك بمطارف الخز الخضراء والصفراء وبشقاق الشعر والكرار وهو الخيش الرقيق. وذكروا أن الكعبة كانت مكسوة، والنبي صل الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر بعد، بكسي شتى من وصايل و أنطاع وكرار وخز ونهارق عراقية وبرود^(٢). وذكر بعض الأخباريين أن قريش كانت في الجاهلية ترافد في كسوة الكعبة، فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتياها من عهد قصي بن كلاب إلى أن ظهر أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان يختلف إلى اليمن يتجر بها، فأثرى من المال، فكان يكسوها وحده سنة، وجميع قريش تكسوها سنة أخرى على التعاقب^(٣). وذكروا أن النبي صل الله عليه وسلم كان يكسو الكعبة بالثياب اليمانية، ثم كساها عمر وعثمان القباطي، ثم كساها الحجاج الديباج^(٤).

ثانياً: مدينة يثرب

احتلت يثرب مكانة مرموقة بين حواضر الجزيرة العربية ، وهي من المدن التي أسهمت العوامل الاقتصادية والتجارية والدينية والقبلية والجغرافية، وغير ذلك من العوامل في جعلها مدينة مركزية تتمتع بسيادة وتتحكم بسائر المناطق المجاورة. ومع

(١) الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ١٦٦.

(٢) الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ١٦٦.

(٣) الأزرقى، أخبار مكة، ١٦٧.

(٤) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ٢١١؛ الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ١٦٨.

أنَّ يثرب توصف بأنها "أقل من نصف مكة" ^(١) التي تبعد عنها حوالي ثلاثمئة ميل من ناحيتها الشمالية، فقد استطاعت أن تحتل مكانة مهمة بين سائر المدن ^(٢)، كونها كانت تقوم في واحة خصيبة، تكتنفها المرتفعات، وتكثر فيها الآبار والعيون، فكان جوّها معتدلاً، وكثرت فيها الزروع والأشجار والنخيل، والثمار والخيرات، فكانت من أبرز المراكز الزراعية ببلاد العرب ^(٣).

أ- أسماء يثرب:

يثرب مدينة قديمة، ورد ذكرها في الكتابات المعينية، وكانت من المواضع التي أقامت فيها جاليات من معين، ثم آل أمرها إلى السبئيين بعد أن دالت دولة المعينيين. ومن المعروف أن معين وسبأ كانتا تفرضان نفوذهما على بلاد العرب الشمالية. كذلك جاء ذكر يثرب في جغرافية بطليموس فذكرت مرة باسم Iathrippe ومرة باسم Iathrippa، وذكرها اصطيفانوس البيزنطي باسم Iathrippa Pol ^(٤).

وعرفت عند الأخباريين باسم أثرب ويثرب ^(٥)، وذكروا أن يثرب هي أم قرى المدينة، وحددوا امتدادها ما بين طرف (قناة) إلى طرف (الجرف)، وما بين المال الذي

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ٣٧.

(٢) علي، الفصل، ج ٤، ١٢٨.

(٣) الجندي، تاريخ الأدب العربي، ج ١، ٢٧.

(٤) علي، الفصل، ج ٣، ٣٩٥، ج ٤، ١٨١.

(٥) أبو الحسن بن عبد الله السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار المصطفى، (القاهرة: دار المصطفى، ١٣٢٦هـ)، ج ١، ص ٧؛ أحمد ابن عبد الحميد العباسي، كتاب عمدة الأخبار في مدينة المختار، ص ٤١؛ محمد بن محمود بن النجار، الدرّة الثمينة في تاريخ المدينة، (القاهرة: د.ن، ١٩٥٦م)، ٣٢٣.

يقال له البرناوي إلى (زبالة) ^(١). ويزعم بعض الأخباريين أنها سميت يثرب نسبة إلى يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عييل بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح، وهو أول من نزلها عند تفرق ذرية نوح ^(٢). وزعم آخرون أن اسم يثرب مأخوذ من الشرب بمعنى الفساد أو التثريب أي المؤاخذه بالذنب، وذكروا أن النبي صل الله عليه وسلم نهى عن تسمية يثرب بيثرب، وسماها طيبة وطابة كراهية للتثريب ^(٣). وذكر البلاذري أن يثرب سميت باسم رئيس للعمالق الذين نزلوها بعد أن أخرجوا منها بني عييل بن عوص بن إرم بن سام من ولد نوح ^(٤). وقد ورد اسم يثرب في القرآن الكريم عند تعرضه لما يقوله المنافقون، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ^(٥) وَلَئِنْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَّهَلَّ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَعِذُّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ إِلَيْنَا فَيَقُولُونَ لَا تَبْرَحُوا حَتَّى مَجِئَ الْوَعْدُ الْحَقُّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ^(٦) ^(٧) ويشير السمهودي إلى أن ما وقع في القرآن الكريم من تسميتها بهذا الاسم إنما هو حكاية عن قول المنافقين ^(٨).

فالاسم القديم لمدينة الرسول إذن هو يثرب، وقد اختلفوا فيما إذا كان إسماً للمدينة نفسها أو لموضع مخصص من أرضها، أو أنها اسم للناحية التي منها مدينة

(١) ابن النجار، الدرة الثمينة، ٣٢٣.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ١٤٨؛ العباسي، عمدة الأخبار، ٤١.

(٣) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ٨؛ العباسي، عمدة الاخبار، ٤٢.

(٤) البلاذري، أنساب الاشراف، ٦؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ٤٢.

(٥) سورة الأحزاب، ٣٣، آية ١٢، ١٣.

(٦) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ٨.

الرسول^(١). أما اسم (المدينة) الذي أطلق على يثرب بعد الهجرة النبوية فقد يكون مأخوذاً من لفظة مدينتا Medinta الآرامية ومعناها الحمى أو المدينة، وقد يكون اختصاراً من (مدينة الرسول)، وأعتقد أنه في كلتا الحالتين أطلق عليها بعد الهجرة، ولم يكن يطلق عليها قبل ذلك وإن كان بعض المستشرقين يرى أن اليهود المتأثرين بالثقافة الآرامية بعض المتهودة من بني إرم الذين نزلوا يثرب دعوها مدينتنا، ومن هذه اللفظة جاءت لفظة (المدينة) أي أن لفظة المدينة كانت تطلق قبل ظهور الإسلام على يثرب^(٢).

ويتفق الأخباريون على أن يثرب سميت بمدينة الرسول لنزول رسول الله بها^(٣)، ولنفوره من اسمها القديم سواء كان بمعنى التثريب أو الإفساد أو لأنه اسم رئيس من العمالة الذين نزلوا بها في العصور القديمة فيما يقرب من سنة ٢٦٠٠ ق.م. على حد قول بعض الباحثين المحدثين^(٤).

وذكر الأخباريون أن ليثرب أو المدينة ٢٩ اسماً، هي: المدينة، وطيبة، وطابة، والمسكينة، والعذراء، والجابرة، والمحبة، والمجورة، ويثرب، والناجية، والموفية، وأكالة البلدان، والمحفوفة، والمسلمة، والمجنة، القدسية، والعاصمة، والمرزوقة، والشافية، والخيرة، والمحجوبة، والمرحومة، وجابرة، والبارة، والبرة، وتندر، والحسيية، ودار الأبرار، وحسنة، ودار الأخيار، ودار الإيثار، ودار السنة، ودار الهجرة،

(١) السهمودي، وفاء الوفاء، ٧.

(٢) علي، المفصل، ج ٤، ١٨١.

(٣) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ٨٢، ٤٣٠.

(٤) مولاي محمد علي، محمد رسول الله، ترجمة: مصطفى فهمي، (القاهرة: د.ن، ١٩٤٥م)، ٨.

حواضر شبه الجزيرة العربية قديماً غرب الجزيرة نموذجاً

والمختارة، وغلبة، وقبلة الإسلام، والمحفوظة، ومدخل صدق، والمقدسة^(١). وجعلها السمهودي ٩٤ اسماً^(٢)، أما ابن زباله فيجعل أسماءها ١١ اسماً هي المدينة، وطيبة، وطابة، والمسكينة، وجابرة، والمجبورة، والمرحومه، والعذراء، والمحبة، والمحبوبة، وقاصمة^(٣).

وكل هذه الأسماء عرفت بها المدينة بعد الهجرة، أي في العصر الاسلامي باعتبارها دار الهجرة، ومركز الدولة الإسلامية في عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين^(٤) وهناك عرفت به بحكم طبيعة موقعها الجغرافي بين حرتي واقم وبرة، فهي ذات الحرار أو ذات الآخرين^(٥). ومعظم أسمائها صفات لها وصفت بها لتعظيمها وإظهار فضائلها ومآثرها.

ب- جغرافية يثرب: الموقع والمناخ:

تقع مدينة يثرب على بعد نحو ٥٠٠ كيلو متراً إلى الشمال من مكة في بسيط من الأرض مكشوف من سائر الجهات^(٦) في حرة سبخة الأرض كثيرة المياه والشجر والدوحات، وأقرب الجبال إليها هو جبل أحد، ويقع شمال يثرب^(٧)، في حين يقع جبل عير في جنوبها الغربي. وجبل عير جبالان أحمران متقاربان ببطن العقيق: أحدهما

(١) العباسي، عمدة الأخبار، ٤١.

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ١٩.

(٣) ابن النجار، الدرة الثمينة، ٣٢٣.

(٤) الشريف، مكة والمدينة، ٢٩٢.

(٥) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ١١.

(٦) إرفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ٤٠٧.

(٧) الحموي، معجم البلدان، ٨٢.

عير الوارد، والآخر عير الصادر^(١). وإلى الشرق من يثرب بقيع الغرقد، وإلى الجنوب قرية قباء التي تبعد عن يثرب بنحو ميلين مما يلي القبلة، وإلى الجنوب منها تقع قرية الفرع على الطريق المؤدية إلى مكة.

ووادي العقيق من أخصب مناطق يثرب، ويبعد عنها من جهة الغرب بنحو ثلاثة أميال، وقيل بستة أميال، والعقيق مجموعة أعقة (أي أودية شقتها السيول): (أحدها عقيق المدينة، عقى عن حرثها وهذا العقيق الأصغر، وفيه بئر رومة)^(٢)، وتقع بئر رومة إلى الشمال الغربي من يثرب على مسيرة ساعة منها، بالقرب من مجتمع الأسيال، في براح من الأرض، وكانت ملكاً ليهودي في الجاهلية، فاشتراها منه عثمان بن عفان بماله، وتصدق بها على المسلمين في عهد الرسول^(٣). ويحيط العقيق بيثرب أيضاً من جهة الجنوب الغربي، ولكنه بعيد عنها من هذه الجهة، فهو يقع بعد قباء، إلى الشمال من وادي النقيع، وكانت تشغله غابات كثيفة. أما من جهة الغرب فكان يمتد إلى ما بعد ذي الحليفة عند آبار علي، وكان الرسول صل الله عليه وسلم قد أقطعه بلال ابن الحارث المزني، ثم أقطعه عمر الناس.

ومن وديان المدينة الأخرى: وادي بطحان ويقع إلى الغرب من يثرب، ووادي رانون، ويبدأ من جبل عير قبلي المدينة، ويمر بقباء ثم يختلط بوادي بطحان. ومن أوديتها أيضاً وادي مذيئيب في الجنوب الشرقي، وهو شعبة من بطحان، ووادي قناة، ويقع إلى الشمال الشرقي من يثرب، ووادي مهزور في الجنوب الشرقي، ويأتي من

(١) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤، ١٧٢.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ١٣٩؛ بن النجار، الدرّة الثمينة، ٣٤٤.

(٣) رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ٤٣٠.

الحرّة الشرقية حرّة واقم^(١). وبالعتيق عرصتان: هما عرصّة البقي وعرصّة الماء، وثلاث جماوات هي جماء تضارع، وجماء أم خالد، وجماء العاقر. والعرصّة أرض فضاء متسعة لا يقوم فيها بناء، أما الجماء فهضبة مسطحة لا قمم لها، والعرصتان من أكرم بقاع المدينة.

وحرات المدينة ثلاث: هي حرّة واقم في الشرق، وحرّة الوبرة في الغرب، وحرّة قباء في الجنوب، وبالقرب من المدينة ثلاث حرات أخريات هي: حرّة شوران تقع على يسار الواقف ببطن العتيق يريد مكة^(٢)، وحرّة ليلي لبني مرة بن عوف بن ذبيان، يطؤها الحاج في طريقهم إلى المدينة، وحرّة النار بالقرب من حرّة ليلي^(٣).

أما حرّة واقم الواقعة إلى الجهة الشرقية من يثرب فمن أشهر حرات بلاد العرب، وتربتها من أخصب بقاع يثرب، وذكروا أن واقم اسم رجل من العماليق سميت به، وقيل أنه اسم أطم من أطام بني الأشهل إليه تضاف الحرّة^(٤) وكانت تسكن أرض هذه الحرّة بطون من الأوس منها بنو عبد الأشهل، وبنو ظفر، وبنو معاوية، كما كانت تسكنها أيضاً قبائل من اليهود من بني قريظة والنضير. وبهذه الحرّة كانت وقعة الحرّة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية في سنة ٦٣هـ^(٥).

(١) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ٢، ٢١٠؛ العباسي، عمدة الاخبار، ٣٨٠؛ رفعت، مرآة الحرمين، ج ١، ٤٣٤.

(٢) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٢، ٢٤٧؛ العباسي، عمدة الاخبار، ٣٨١.

(٣) العباسي، عمدة الاخبار، ٢٦٢.

(٤) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ٢، ٢٨٩.

(٥) العباسي، عمدة الأخبار، ٢٦٦.

وقد عرفت حرة واقم أيضًا بحرة قريظة، لأنهم كانوا ينزلون بطرفها القبلي، كما عرفت أيضًا بحرة زهرة لمجاورتها لها. وزهرة قرية من أعظم قرى يثرب بين حرة واقم والسافلة وكان بها ٣٠٠ صائغ^(١).

أما الحرة الغربية، فتعرف بحرة بني بياضة أو حرة الوبر، وتقع على ثلاثة أميال من يثرب، وتشرف هذه الحرة على وادي العقيق الذي يليها غربًا^(٢)، ويبدأ من موضعها الطريق إلى مكة^(٣). ويشبه مناخ يثرب مناخ مكة، فالحرارة تشتد في الصيف، والبردة تشتد في الشتاء^(٤)، وتسقط الأمطار وتحدث سيولًا في كثير من الأحيان، فقد سال وادي مهزور، من بدايته عند حرة سوران والتقاءه مع وادي بطحان في ملتقى السيول، سال هذا الوادي في خلافة عثمان بن عفان سيلا عظيمًا على المدينة خشي منه عليها من الغرق، فأقام عثمان الردم الذي يقع عند بئر مدرى لرد السيل عن المسجد وعن المدينة. وسال مره أخرى في خلافة أبي جعفر المنصور في سنة ١٥٦هـ، فندب والي المدينة الناس لصرف مياهه في وادي البطحان^(٥). وتسقط الأمطار عادة في أوقات قصيرة، ولكنها تهطل في عنف فتحدث هذه السيول، وقد حدث أن غابت الأمطار، وعزت على المدينة فترة طويلة، ولكنها لم تلبث أن جاءت بعد أن صلى النبي بالمسلمين صلاة الاستسقاء، وامتد سقوطها أسبوعًا حتى بدأت بعض بيوت المدينة تنهار،

(١) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ٢، ٣٢٠.

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ٢، ٢٩٠.

(٣) الشريف، مكة والمدينة، ٢٨٨.

(٤) وفي ذلك روى أب هريرة أن النبي قال (مر صبر على أسوار المدينة وحرها كنت له يوم القيامة

شفيعا وشاهدا) الحموي، معجم البلدان، ٨٣.

(٥) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ٢، ٢١٧-٢١٨.

وانقطع المرعى عن الماشية بسبب كثرة مياه الأمطار، فاضطر الرسول إلى أن يسأل الله اللطف، ورفع يديه إلى السماء ثم قال: (اللهم حوالينا) أي أنزل المطر حوالينا، ولا تنزله علينا، والمراد صرفه عن الأبنية^(١) وتتخلف عن الأمطار غدران ومستنقعات وبرك، ومن الغدران المشهورة بوادي العقيق غدير السدر وغدير السدر، وغدير خم، وغدير سلام، وغدير البيوت، وغدير حصير، وغدير المجاز، وغدير المرسى^(٢)، وكانت هذه الغدران والبرك عندما تتعرض لعوامل البخر، تزداد ملوحة مياهها بالإضافة إلى ما يسببه ركود المياه فيها من أمراض وحميات، وظاهرة انتشار الأوبئة والأمراض بالمدينة من الظواهر المألوفة فيها. فقد قدم الرسول وأصحابه إلى المدينة (وهي وبية، فاشتكى أبو بكر، واشتكى بلال، فلما رأى رسول الله صل الله عليه وسلم شكوى أصحابه قال: (اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيت مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها مدها، وحول حماها إلى الجحفة)^(٣). فالمدينة كانت على حد قول بلال (أرض الوباء)^(٤). وكان سبب هذه الحمى ان مياه بطحان كانت أجنة، وروى ابن اسحق، أنه (لما قدم رسول الله صل الله عليه وسلم المدينة، قدمها وهي أربأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاء و سقم و صرفه الله عن نبيه صل الله عليه وسلم. قالت (عائشة): فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا ابى بكر مع ابى بكر في بيت واحد، فاصبتهم الحمى، فدخلت عليهم اعودهم وذلك قبل ان يضرب

(١) Lammens, Le berceau de l'Islam, t. I. 23.

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ٢، ٢١١.

(٣) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ٢، ٢٣٩؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ٣٩.

(٤) المصدر السابق نفسه.

علينا الحجاب وبهم ما لا يعلمه الا الله من شدة الوعك.^(١) ويجمع الاخباريون على ان الوباء كان شديدا عند دخول النبي يثرب، وذكر ابن اسحق عن هشام بن عروة قال: (وكان وباؤهما معروفا في الجاهلية)^(٢) وكان مناخ يثرب معتدلا بوجه عام^(٣) وقد هيا ذلك المجال بالإضافة إلى توافر المياه وخصوبة التربة إلى اشتغال سكانها بالزراعة، وجل زراعة يثرب تقوم على النخيل والشعير والقمح، وعلى الفواكه مثل العنب والرمان والموز والليمون والبطيخ، والخضروات^(٤) وقد اثرى كثير من أهل يثرب من الزراعة ومنهم مخيريق اليهودي الذي اثرى وكثرت امواله من النخل^(٥)

ج- سكان يثرب:

يزعم الاخباريون ان أول من زرع بالمدينة واتخذ بها النخيل، وعمر بها الدور والاطام، واتخذ بها الضياع، العماليق، وهم بنو عملاق بن ارفخشذ بن سام بن نوح. وكان يسكن المدينة منهم بنو هف وسعد بن هفان، وبنو مطرويل^(٦) ثم نزل اليهود بيثرب، وكان سبب نزولهم بيثرب واعراضها وفقا لروايات الاخباريين ان موسى ابن عمران بعث بعثا منهم إلى العماليق فقاتلوهم حتى قتلوهم، وكان هذا أول سكنى

(١) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ٢٤٨؛ بن النجار، الدرة الثمينة، ٣٣١؛ السمهودي، وفاء

الوفاء، ج ١، ٣٩، ٤٠؛ العباسي، عمدة الاخبار، ٣٨٤.

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ٤١.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ٨٧.

(٤) الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، ٣٥٦.

(٥) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ٢، ١٦٤.

(٦) الحموي، معجم البلدان، ٨٤؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ١١٠.

اليهود بالحجاز ويثرب^(١). ويستبعد الدكتور جواد على هذه الرواية لافتقارها إلى سند^(٢) ولكن بني قريظة يزعمون ان (الروم ظهروا على الشام فقتلوا من بني إسرائيل خلقاً كثيراً، فخرج بنو قريظة والنضير وهذل هاربين من الشام يريدون الحجاز الذي فيه بنو إسرائيل ليسكنوا معهم، فلما فصلوا من الشام وجه ملك الروم في طلبهم من يرههم، فاعجزوا رسله وفاتوهم^(٣). وذكر بعض الرواة والاعباريين ان علماء اليهود كانوا يجدون في التوراة صفة النبي صلى الله عليه وسلم، وانه يهاجر إلى بلد فيه نخل بين حرتين، فاقبلوا من الشام يطلبون الصفة حرصاً منهم على اتباعه، فلما رأوا تيماء، وقيل المدينة، وفيها النخل عرفوا صفته، وقالوا هو البلد الذي نريده، فنزلوا^(٤) ويميل الدكتور جواد على إلى الاخذ برواية بني قريظة اذ تتضمن شيئاً من الحق. فلما كان سيل العرم، نزل يثرب قبائل الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن حارثة بن ثعلبة بن مازن بن الازد، وامهم قيلة بنت الارقم بن عمرو بن جفنه، وقيل قيلة بنت هالك بن عذرة من قضاة، وقيلة قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد، ولذلك سمي الاوس والخزرج بنو قيلت. وكان ملك بني إسرائيل على يثرب الفطيوان، وقيل الفطيون، وكان رجلاً مستبداً يعتدي على نساء الاوس والخزرج، فقتله منهم مالك بن العجلان بن زيد السالمى الخزرجى وفر إلى الشام، فنزل على مالك من ملوك غسان يقال له ابو جبيلة، وقيل فر إلى اليمن وقصد تبع الاصغر بن حسان تبع، ويميل الاخباريون إلى الاخذ بفراره إلى الشام.

(١) السمهودى، وفاء الوفاء، ج ١، ١١٢.

(٢) على، المفصل، ج ٤، ١٨٢.

(٣) السمهودى، وفاء الوفاء، ج ١، ١١٢.

(٤) السمهودى، وفاء الوفاء، ج ١، ١١٢.

فوعد ابو جبيله الغساني بنصرت الخزرجي، وثار على يثرب، وتحايل على قتل رؤساء اليهود، فصار الاوس والخزرج منذ ذلك الحين سادة يثرب وصارت لهم الاموال وتفرق الاوس والخزرج في عالية المدينة (جنوبها) وسافلتها (شمالها حتى أحد)^(١). وقصة استبداد الفطيون بيثرب واعتدائه على النساء الاوس والخزرج تشبه قصة استبداد عملوق التمصي في اليمامة بجديس واعتدائه على نسائه الامر الذي دعا الاسود بن غفار سيد جديس إلى قتل عملوق^(٢).

عرفت يثرب قبل الإسلام تمازجاً سكانياً، كان يضم في داخله ثلاثة عناصر^(٣): اليهود، والأوس، والخزرج، وكان هذا التركيب السكاني غير متجانس، فهو يتألف من عدة كتل قبلية تفتقد إلى التماسك وتتفرد عن بعضها في أحياء مستقلة^(٤)، مما جعلها بصورة شبه دائمة في حالة من التناحر والتنافر. فاليهود الذين تمثلوا بثلاث قبائل كبيرة في يثرب هم (بنو قريظة، والنضير والقينقاع) كانوا ممسكين بالأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فكانت لهم السيادة بداية الأمر، وبقي هذا الواقع مستمراً زمناً، إلى أن تكتل الأوس والخزرج [وهما أبناء عمومة] في جبهة واحدة^(٥)، فصارت لهم الغلبة، ونقلت لهم السيادة بعدما استعانوا بأبي جبيلة الذي كان عظيماً عند الملك الغساني في الشام، وهو من الخزرج، فسار هذا القائد بجمع كبير إلى يثرب، ثم أرسل إلى وجوه اليهود يستدعيهم إليه، مظهراً أنه يريد الإحسان إليهم، وعندما حضروا

(١) الحموي، معجم البلدان، مادة مدينة يثرب، ٨٦؛ السهمودي، وفاء الوفاء، ج ١، ١٢٦.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ١٣٦.

(٣) الخطراوي، شعر الحرب في الجاهلية، ٦١.

(٤) بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، ٤٠.

(٥) بيضون، الأنصار والإسلام، ١٥.

فتك بأشرافهم وخاصّتهم، ومنذ ذلك صارت الأوس والخزرج أعز أهل المدينة، فشاركوا اليهود في النخل والدور.^(١)

لكن الانقسام ما لبث أن حلّ بين الأوس والخزرج، وجرّ إلى صراع طويل تمثل فيما عرف (بالأيام) ويبدو أنها كانت كثيرة لكن الذي وصل إلى علمنا هو المشهور منها يقول ابن الأثير: " وكان بينهما أيام ذكرنا المشهور منها وتركنا ما ليس بمشهور "^(٢) وقد دامت حروب الأوس والخزرج على ما تذكره بعض الروايات التاريخية مئة عام، وترتيبها على ما ذكره ابن الأثير ^(٣) سُمَيْر، كعب بن عمرو السَّرارة، الحُصَيْن بن الأسلت، ربيع الظَّفري، فارغ، حاطب، ويتبعها (الربيع، البقيع، الفجار الأوّل، مُعَبّس ومُصَرّس، الفجار الثاني) وحرب بعث، وهذه الحروب أشعلت الحركة الأدبية في يثرب واقتربت بذكر جماعة من كبار الشعراء الجاهليين والمخضرمين، وبما أن المكان في الشعر يبدو قريباً للمجتمع، والأخير هو الذي " يمنح المكان قيمته سواء تعلّق بمكان الحبيبة أو بمكان الأهل والأسرة والوطن، لهذا قال دوركهائم^(٤): إن المجتمع هو الأساس في تحديد مفهوم المكان "^(٥)

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٥٨٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٥٩٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٥٨٦.

(٤) هو أميل دوركهائم (١٨٥٨-١٩١٧) فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي وباحث في الأخلاق، يعد أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث. انظر: نوربير سيلامي، المعجم الموسوعي في علم النفس، ترجمة: وجيه أسعد، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠١م)، ج ٣، ١١٠٢.

(٥) وليد مشوّح، مكة تجليات المكان في الشعر العربي، ٦٣.

كانت يثرب في الجاهلية تضم كتلتين رئيسيتين من السكان: اليهود والعرب:

١ - اليهود:

أدت الثورات التي قام بها اليهود في أورشليم على الرومان إلى قيام هؤلاء بتشتيتهم وطردهم من فلسطين، وتهديم معبدهم على يد الامبراطور الروماني طيطس، في سنة ٧٠ م، وفرت جموع كثيرة من اليهود على إثر ذلك إلى جزيرة العرب، واستوطن بعضهم أخصب بقاع الحجاز في يثرب وفدك وخيبر ووادي القرى وتيماء، كما نزل بعضهم اليمن، وتمكنوا من تهويد جماعة من أهلها^(١).

كان يعيش في يثرب عند هجرة اليهود إليها جماعات يهودية قديمة كانت قد نزحت إليها في عهود قديمة، وتغلبت عليها من أصحابها العماليق، ومجتمع يثرب سنة ٧٠ م كان يتألف من اليهود القدامى الذين تغلبوا على عماليق يثرب^(٢) ومن اليهود الجدد الذين اتخذوا من بلاد العرب دار هجرة أمام إضطهاد الرومان لهم^(٣)، وأختاروا من جزيرة العرب أخصب مواضعها مثل وادي القرى، وهو واد خصب غزير المياه كان محطة من محطات الطريق التجاري القديم الذي يصل بين الشام واليمن، ومثل واحة خيبر وهي حرة خصبة وذات مياه وفيرة.

وفي يثرب أقام اليهود آطامًا وهي الحصون يلجأون إليها في أوقات الغارات ويتحصن فيها النساء والأطفال والشيوخ عندما يخرج رجالهم إلى القتال، كما حدث عند حصار الرسول لليهود بني نضير في العام الرابع للهجرة، فتحصنوا منه في

(١) علي، المفصل، ج ٤، ١٧٨.

(٢) محمد أحمد برانق، ومحمد يوسف المحجوب، "محمد واليهود"، سلسلة (مع العرب)، عدد ٤ (القاهرة: د.ن. د.ت)، ص ١٩.

(٣) برانق، محمد واليهود، ١٩.

الحصون^(١)، وقد أشار القرآن الكريم إلى ما أصاب الله اليهود من نقمته في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَكُونُوا لِلْأَبْصَارِ ۖ﴾^(٢).

كان يهود يثرب يتجمعون في قرى أعدوا فيها هذه الحصون والآطام، وقد أشار الله تعالى في القرآن الكريم إلى هذه القرى، في قوله تعالى: ﴿لَا يَقْدِرُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٣) و كان لليهود يثرب بيت يُعرف باسم بيت المدارس^(٤) كان يجلس فيه علمائهم وأخبارهم وربانيوهم يتدارسون التوراة ويفصلون فيما شجر بينهم. وكان اليهود عندما نزل بينهم وحو لهم الأوس والخزرج يزيدون على ٢٠ قبيلة، وذكر ابن النجار أن آطامهم كانت تسعة وخمسين آطاما وللعرب النازلين عليهم قبل الأوس والخزرج ثلاثة عشر آطاما^(٥). وكان ممن بقى من يهود يثرب عند نزل الأوس والخزرج: بنو قريظة، وبنو نضير، وبنو محمحم، وبنو زعورا، وبنو قينقاع، وبنو ثعلبة، وأهل زهرة، وأهل زباله، وأهل يثرب، وبنو القصيص، وبنو فاعصة، وبنو ماسكة، وبنو

(١) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ٣، ٢٠٠.

(٢) القرآن الكريم، سورة الحشر ٥٩، آية ٢.

(٣) القرآن الكريم، سورة الحشر ٥٩، آية ١٤.

(٤) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ٢، ٢٠١، ٢٠٧، ٢١٣.

(٥) ابن النجار، الدرر الثمينة، ٣٢٥؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ١١٦. وذكر ابن النجار أنه

نزل المدينة قبل الأوس والخزرج أحياء من العرب من أبني أنيف من يلي ومن بني مريد، وبني

معاوية ابن الحارث بن بهثة بن قيس عيلان وبني الجذماخي من اليمن .

القمعة، وبنو زيد اللات وهم رهط عبد الله، وبنو عكوة، وبنو مرانة^(١). كان جمهور اليهود ينزلون بمجتمع السيول: سيل بطحان والعقيق وسيل قناة، وخرجت قريزة وأخوانهم بني هذل وعمر، فتنزلوا بالعالية على وادي مذيئب ومهذور، فنزل بنو نضير على مذيئب، ونزل بنو قريظة وهذل على مهذور، وكان أول من احتكر بها الآبار واغترس الأشجار، وابتنوا الآطام والمنازل^(٢). ومن أولاد هذل أو هذل ثعلبة وأسد ابنا سعية، وأسد بن عبيد، ورفاعة بن سموأل، وسخيت ومنبه ابنا هذل^(٣). وكان بنو قينقاع يسكنون عند منتهى جسر بطحان مما يلي العالية، ونزل بنو حجر عند المشربة التي عند الجسر، ونزل بنو زعورا عند مشربة أم ابراهيم، ونزل بنو زيد اللات قريباً من بني غصينة^(٤).

وأكبر هذه القبائل اليهودية ثلاث: بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع عاشت في منازلها من يثرب، بجوارهم أقامت بطون يهودية صغيرة، وتأثر اليهود بجيرانهم العرب، وانقسموا إلى قبائل وبتون، واتخذوا أسماء عربية، وكانوا يتخاطبون بالعربية، ولكنها كانت عربية تتداخل فيها رطانة عبرية^(٥) ولكنهم مع ذلك ظلوا يؤلفون طبقة متحاجة عن العرب، فكانوا يحافظون على انتسابهم إلى المدن والأقاليم التي قدموا منها، كما أنهم صنعوا المعالم يثرب ومواقعها أسماء عبرية، فوادي بطحان يعني بالعبرية، الإعتماد، ووادي مهذور معناه مجرى الماء، وبئر أريس لا ينسب إلى شخص

(١) ابن النجار، الدرّة الثمينة، ٣٢٦؛ السهمودي، وفاء الوفاء، ج ١، ١١٣.

(٢) ابن النجار، الدرّة الثمينة، ٣٢٥.

(٣) السهمودي، وفاء الوفاء، ج ١، ١١٤.

(٤) السهمودي، وفاء الوفاء، ج ١، ١١٦.

(٥) اسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، (القاهرة: د.ن، ١٩٢٧م)، ٢٠.

بهذا الاسم، ولكن أريس تعني في اللغة العبرية الفلاح الحارث^(١). وكان اليهود يخشون على أنفسهم من جيرانهم العرب، ولعلهم أدركوا أن قراهم الخصبة ومزارعهم الغنية بالأشجار والثمار، ووديانهم التي تفيض بالمياه، وآبارهم وعيونهم العديدة، سوف توجه إليهم أنظار عرب الصحراء، ولذلك عمدوا إلى الإكثار من بناء الآطام والحصون، وازدادت هذه الحصون كثيرة بعد نزول الأوس والخزرج وتطلعهم إلى السيادة والغلبة.

٢- العرب:

كان يسكن يثرب قبل نزول اليهود الاوائل قبائل عربية تنسب إلى العماليق، وقد تغلب اليهود الوافدون على العرب، وأصبحت لهم السيادة عليهم، فلما تكاثر اليهود في المدينة عقب هجرتهم من أورشليم بعد عام ٧٠ م، أصبحت لهم الغلبة على يثرب وعلى القبائل العربية التي كانت تسكنها، فقد ذكر ابن النجار أنه كان يسكن يثرب مع اليهود بطون عربية من اليمن ومن بلي ومن سليم بن منصور بن عكرمة من قيس عيلان، وبقايا من العماليق^(٢).

ثم كانت هجرة الأوس والخزرج اليمنيين إلى يثرب بعد هدم سد مأرب، والأوس والخزرج في روايات الأخباريين ولدا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ابن حارثة بن إمرئ القيس الذي يرتفع نسبه إلى الأسد بن الغوث بن مالك بن كهلان. وينسبون قبائل الأوس إلى أوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاء ابن عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن إمرئ القيس البطريق^(٣).

(١) الشريف، مكة والمدينة، ٢٩٨.

(٢) ابن النجار، الدرة الثمينة، ٣٢٥.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ٣١٢.

نزل الأوس والخزرج وأقاموا مع اليهود، وكانت الأموال والآطام والنخيل في أيدي اليهود، وكانت الغلبة والمنعة لهم أيضًا، فسألهم الأوس والخزرج أن يعقدوا معهم حلفًا وجوارًا يامن به بعضهم من بعض، فتعاقدوا وتحالفوا، واشتركوا وتعاملوا^(١). أما الأوس فقد سكنوا جنوب وشرق يثرب، وأما الخزرج فسكنوا في الشمال الغربي من يثرب، وجاوروا قبيلة بني قينقاع اليهودية.

بنو الأوس:

أنجب الأوس بن حارثة مالكًا، فأنجب مالك بن الأوس عوفًا وعمرًا (وهو النبيت) ومر (وهم الجعادرة) وجشم وأمرئ القيس، وأمهم كلهم هند بنت الخزرج. أما عوف فأنجب من الأولاد عمرًا والحارث، وهما أهل قباء، ومن أولاد عمرو بن عوف: عرف وثعلبة وحبيب ووائل ولوذان. أما عمرو بن مالك فقد أنجب الخزرج بن عمرو، وعامر بن عمرو (وهم النبيت)، فمن الخزرج ابن عمرو: الحارث وكعب، فكان للحارث ابن الخزرج جشم وحارثة وكان لجشم عبد الأشهل وزعوراء وعمرو والجريش.

أما جشم بن مالك بن الأوس فكان له من الولد: عبد الله (وهو خطمة)، وأما إمرئ القيس بن مالك: فقد كان له من الولد: مالك والسلم. وأما بنو مرة بن مالك وهم الجعادرة فهم: عامر وسعد، فكان لعامر من الولد قيس.

بنو الخزرج:

ولد للخزرج بن حارثة خمسة هم: عمرو وعوف وجشم وكعب والحارث أما عمرو فأنجب ثعلبة، وأنجب ثعلبة تيم الله وهو النجار وأنجب النجار مالك وعدي

(١) ابن النجار، الدرّة الثمينة، ٣٢٦؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ١٢٥.

حواضر شبه الجزيرة العربية قديماً غرب الجزيرة نموذجاً

ومازن ودينار. وأما عوف فقد كان له من الولد: عمرو وغنم وقطن، فأنجب عمرو ابن عوف عوفاً وسالماً وغنماً وعنزاً.

وأما جشم، قد كان له من الأولاد غضب وتزيد، ومن ولد غضب مالك، وأنجب تزيد بن جشم ساردة.

وأما الحارث فأنجب الخزرج وجشمًا وزيدًا وعوفًا وصخرًا وجردشا.

وأما كعب ابن الخزرج فكان من ولده ساعدة، فأنجب ساعدة خزرج، فأنجب الخزرج طريفاً وعمرواً، ومنهم سعد بن عبادة^(١).

رأينا أن الأوس والخزرج الوافدين عقدوا مع اليهود المتغلبين على يثرب وأصحاب العدد والقوة جواراً و حلفاً، يأمن به بعضهم من بعض، يمنعون به من سواهم^(٢). ويبدو أن يهود يثرب رحبا بعقد هذا الحلف لضمان سيادتهم على يثرب، ولكي يستخدموا حلفاءهم في رد أي غزو خارجي على يثرب، ثم أنهم كانوا يسعون إلى الإبقاء على صلات الجار بينهم وبين قبائل العرب في المدن والتجمعات العمرانية المجاورة ليثرب، ووجود أحلاف لهم في يثرب يمكن نفوذهم على المدينة من جهة، ويقوي تظاهرتهم بالاندماج بين العرب من جهة ثانية، ويسبغ على سيادتهم على يثرب نوعاً من الشرعية. ولعلهم كانوا يفكرون في الاستفادة من خبرات هؤلاء الوافدين من عرب اليمن في المجال الزراعي وهي خبرات اكتسبها منذ القدم في أراضيهم اليمنية التي هاجروا منها، فأرادوا أن

(١) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ٣٦-٣٧؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣١٢.

(٢) ابن رسته، الأعلام النفيسة، الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية، تحقيق دي غوية، (ليدن:

١٨٩٢م)، ٦٢؛ بن النجار، الدرر الثمينة، ٣٢٦.

يتخذوا منهم أعواناً في فلاحه الرض، ويصطنعوههم في الأعمال التجارية التي برع عرب الجنوب فيها، فيشتغلون لحسابهم، وبذلك تنمو ثرواتهم، وتزداد أموالهم. وقنع الأوس والخزرج بادئ ذي بدء بتحالفهم مع اليهود وبالاشتغال لهم، عليهم يصيبوا من وراء ذلك مكاسب تهيء لهم مشاركة اليهود في استغلال مصادر الثروة في يثرب، والاستثمار مستقبلاً بهذه الثروات عندما يقوون عليهم. ومع أن الأوس والخزرج قنعوا بمجاورة اليهود، ومع أن هؤلاء كانوا متفوقين على العرب من حيث الغلبة العددية والقوة، فقد كانوا يخشون أن يقوى العرب عليهم ذات يوم، فيتمكنوا من انتزاع السيادة على يثرب من أيديهم، فنراهم يكثررون من اتخاذ الآطام والحصون، ويراقبون العرب عن كثب. ومضى على الحلف المنعقد بين اليهود والعرب زمان طويل، فأثرى الأوس والخزرج، وصار لهم مال وعدد، (فلما رأت قريظة والنضير حالهم خافوهم أن يغلبوهم على دورهم وأموالهم، فتنمروا لهم، وقد حطم الحلف الذي كان بينهم، وكانت قريظة أكثروا، فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم وهم خائفون أن تحتلهم يهود، حتى نجم منهم مالك بن العجلان، أخو بني سالم بن عوف ابن الخزرج^(١)).

استبد اليهود بعرب يثرب، وكانت لليهود بعد الغلبة والكثرة، وعز على العرب أن يستبد بهم أغراب لا تربطهم بالعرب صلة، وكان قد ظهر من بين الأوس والخزرج شاب قوي طموح هو مالك بن العجلان، سوده الحيان عليهما، وأنف مالك أن يظل قومه تحت رحمة اليهود في الوقت الذي استطاع بني عمر ابن عامر الأزدي أن يصيبوا ملكاً لهم في الشام، والعراق والبحرين، فعزم على أن يضع حداً لتسود اليهود على

(١) ابن رسته، الأعلام النفيسة، ٦٣؛ بن النجار، الدرر الثمينة، ٣٢٧.

قومه، فوثب بزعيم يهودي يقال له الفطيون وقتله، وخرج حتى قدم الشام فنزل على أبي جبيلة الغساني، من ملوك غسان^(١)، وقيل أن مالك أرسل إلى أبي جبيلة الغساني رسولاً من قومه هو الدمق بن زيد ابن امرئ القيس أحد بني سالم بن عوف بن الخزرج^(٢). ويستبعد السهمودي ما ذكره الأخباريون من اعتداء الفطين ملك يهود يثرب على بنات الأوس والخزرج، وسواء أرسل مالك رسولاً من قبله أم ذهب هو بنفسه إلى ملك غسان لالتماس نصرته على يهود يثرب، فإن الملك الغساني لم يتردد في تسيير حشد من قواته إلى يثرب لنصرة الأوس والخزرج، ويذكر الرواة وأصحاب الأخبار أن ملك غسان (عاهد الله لا يبرح حتى يخرج من بها من اليهود أو يذلهم ويصيرهم تحت يد الأوس والخزرج)، وذكروا أنه سار إلى بلاد العرب متظاهراً بقصد بلاد اليمن حتى اقترب من يثرب، واتصل بوفد من الأوس والخزرج، فاتفق معهم على أن يتكتموا خبر وصوله حتى لا يتحصن اليهود في آطامهم فلا يقدر العرب عليهم، نصحه الأوس والخزرج بأن يدعوهم للقائه، ويتلطف بهم، حتى يأمنوا جانبه فيتمكن منهم. فصنع ملك غسان لليهود طعاماً، وأرسل إلى وجههم ورؤسائهم، فقدموا، ثم وثب بهم وقتلهم عن آخرهم. فلما تم له ذلك أصبح للعرب الغلبة على

(١) ذكر ابن حزم أن أبا جبيلة الملك الغساني الذي استنصر به مالك بن العجلان لقتل يهود المدينة كان ابناً لعبد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج. (ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، ٣٣٦). ولكننا لم نسمع عن أحد ملوك غسان يحمل هذا الاسم أو يتنسب إلى الخزرج، وليس من بطون الخزرج غساني. انظر: السهمودي، *وفاء الوفاء*، ج ١، ١٢٦، والأرجح أنه أحد بني الخزرج سار إلى الشام ونزل في ديار الغساسنة وانتسب إليهم، وأصبح أميراً من أمرائهم.

(٢) ابن النجار، *الدرة الثمينة*، ٣٢٧.

يهود يثرب، (فعزت الأوس والخزرج بالمدينة، واتخذوا الديار والأموال)، وتفرقت الأوس والخزرج في عالية المدينة سافلتها، وبعضهم نزل في مناطق لم تكن مأهولة، فعمرها، ومنهم من لجأ إلى قرية من قرى يثرب، واتخذوا الأموال والآطام، فابتنوا مائة وسبعة وعشرين أطماً^(١).

وروى السمهودي عن ابن زباله أن بني عبد الأشهل بن جشم، وبني حارثة بن الحارث بن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك نزلوا دار بني عبد الأشهل بطرف الحرة الشرقية، وابتنى بنو عبد الأشهل أطماً يقال له واقم، وبه سميت الناحية كما ابتنوا أطماً يقال له الرعمل، أطاماً أخرى غيرهما. وابتنى بنو حارثة أطماً اسمه المسير، آلت ملكيته إلى بني عبد الأشهل بعد خروج بني حارثة من حرب قامت بينهم وبين بني عبد الأشهل. ونزل بنو عمرو بن عوف مالك بن الأوس قباء، فابتنوا أطماً يقال له الشنيف، وأطماً آخر يقال له واقم بقباء في جنوب يثرب. وكان في رحبة بني زيد بن مالك بن عوف ١٤ أطماً يقال له المستظل. ونزل بنو معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف وراء بقيع الغرقد، وابتنى بنو لوذان أطماً يقال له السعدان، وابتنى بنو واقف بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس أطماً يقال له الزيدان، ونزل بنو خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس دارهم المعروفة بهم، وابتنوا بها الآطام، وغرسوا النخيل، ومن بين أطامهم أطم يقال له صع درع جعلوه كالحصن للقتال. أما بنو الحارث بن الخزرج فنزلوا دارهم بالعالي أي شرقي وادي بطحان، وابتنوا أطماً يقال له السنج وبه سميت الناحية. ونزل سالم وغنم ابنا عوف بن عمر بن عوف بن الخزرج دارهم المفروعة بدار بني سالم، وتقع على طرف الحرة الغربية، غربي الوادي، ببطن رانونا،

(١) ابن النجار، الدرّة الثمينة، ٣٢٧؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ١٢٧، ١٣٤.

وابتنوا آطاما منها المزدلف الذي بناه عتبان بن مالك، ومنها الشماخ والقواقل. وآطام بني الخزرج كثيرة^(١). ويربط بعض المؤرخين المحدثين نكسة يهود يثرب بنكسة يهود اليمن، ويجعلون النكسة الأولى نتيجة من نتائج النكسة الثانية، ويعزون أسباب هاتين النكستين إلى سياسة الدولة البيزنطية التي دفعت الأحباش في الجنوب إلى هدم كيان اليهود في اليمن ممثلاً في الدولة الحميرية الثانية، الغساسنة في الشمال، إلى التدخل في يثرب لتعضيد الأوس والخزرج ونصرتهم على اليهود^(٢).

ولكننا نستبعد أن يكون لتدخل الغساسنة في شئون يثرب صلة بنكسة يهود اليمن، فمن المعروف أن هذا التدخل لم يكن ليتم لولا استنجد أحد بني الخزرج بأمر من قومه انتسب إلى غسان بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، الذي لم يتردد في نصرة قومه، فسار يجمع من الغساسنة إلى يثرب، أقل من أن يكون فرقة من جيش، بحيث نصحه جماعة من الأوس والخزرج باصطناع المكر والخديعة في القضاء على رؤساء اليهود ووجوههم على النحو الذي ذكرناه. وقد رأينا من قبل أن قصي بن كلاب، عندما جد الجد واصطدم مع خزاعة في مكة، أرسل إلى أخيه رزاح بن ربيعة بن حرام القضاعي يدعه إلى نصرته، فقدم إليه رزاح في جموع من بني عذرة وقضاعة، وانتهى الأمر بانتصار قصي.

ولو أن البيزنطيين هم الذين دفعوا الغساسنة ضد يهود الحجاز، فلماذا اقتصر ذلك على يثرب دون غيرها من مناطق نفوذ اليهود في الحجاز مثل خيبر وتبوك وتيماء ووادي القرى.

(١) السهمودي، وفاء الوفاء، ج ١، ١٢٥، ١٣٤.

(٢) ولفنسون، تاريخ اليهود، ٥٩ - ٦١.

أقام الأوس والخزرج بعد غلبتهم على يهود يثرب متفقي الكلمة، متحدي الصفوف، حيناً من الزمن، ثم ساءت العلاقات بين الأخوين، ووقع الخلاف، وانتهى الأمر بقيام حروب بينهما كثيرة امتدت حتى قبيل الهجرة النبوية، أولها حرب سمير، ثم يوم السرارة، ثم يوم الديك، ويوم فارع، ويوم الفجار الأول والثاني، وكان آخرها يوم بعث، وقد حدثت هذه الحرب قبل الهجرة بخمس سنوات^(١). وفي هذه الأيام والحروب استعان فريق من العرب على الآخر بقبيلة يهودية تحالف معها على خصومه من بني جنسه. ويبدو أنه كان لليهود في يثرب يد في نشوب الخلاف بين العرب بعضهم بعضاً، وأنهم كانوا يسعون إلى تفتيت وحدتهم حتى ينالوا منهم وتعود لهم السيادة في يثرب^(٢) كانت الغلبة في جميع الأيام السابقة لبعاث للخزرج على الأوس، (فلما رأَت الخزرج أنها قد ظفرت بالأوس افتخروا عليهم في أشعارهم، وقال عمر بن النعمان البياضي: يا قوم إن بياضة بن عمر أنزلكم منزل سوء، والله لا يمس رأسي غسلاً حتى أنزلكم منازل بني قريظة والنضير وأقتل رهنهم. وكانت لهم غزار المياه وكرام النخيل)^(٣). وعلى هذا النحو التقت أهداف الأوس ويهود قريظة والنضير، فتحالفوا. وقامت الحرب بين الأوس والخزرج على أثر ذلك في بعث وهو حصن، وانتهى اليم بهزيمة الخزرج^(٤)، وفيه تقول عائشة رضي الله عنها: (كان يوم بعث يوماً قدمه الله لرسوله صل الله عليه وسلم، فقدم رسول الله صل الله عليه وسلم وقد افترق ملؤهم وقتلت سراتهم، وجرحوا، فقدمه الله لرسوله صل الله عليه وسلم في دخولهم

(١) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ١٥٥.

(٢) الشريف، مكة والمدينة، ٣٣٨.

(٣) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ١٥٣.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ٤١٨؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ١٥٤.

في الأوسلام^(١). وأصل النزاع الذي نشب بين حيي العرب في يثرب يرجع إلى عوامل اقتصادية وسياسية، اما الاقتصادية فيدل عليها أن رئيس الخزرج عمرو بن النعمان البياضي كان يتطلع إلى إنزال قومه في منازل بني قريظة والنضير، وكانت أكثر مياهاً وأكثر نخيلاً من منازل الأوس. وأما الأسباب السياسية فمرجعها أن انتصار العرب على اليهود تم على يد مالك بن العجلان والخزرجي، فالمسألة أصبحت في نظر الأوس الخزرج مسألة تنافس سياسي على الرئاسة في يثرب، إذ لم يقبل الأوس أن يتباهي عليهم الخزرج، ويصبح لهم الذكر والشرف في يثرب.

ومهما كان أصل النزاع، فإن نتيجته في النهاية، وإن كانت في صالح الأوس، لم تؤد إلى القضاء نهائياً على الخزرج، بل إن الأوس لم ينساقوا وراء يهود بني قريظة والنضير، وقنعا بحدّة سطوة الخزرج، وفطن الأوس والخزرج معاً إلى ما يسعي إليه اليهود من ضرب فريق منهم بالآخر حتى تصبح لهم السيادة، وكانت الحرب بينهما قد سببت لهم خسائر كثيرة في الأرواح وفي الأموال والأموال، فعمدوا إلى تحقيق السلام في يثرب، وفكروا في تولية واحد منهم أميراً وسيداً عليهم، ويبدو أنهم توصلوا إلى اتفاق نهائي في هذا الشأن، فكان سيد الخزرج عبد الله ابن أبي بن سلول، وكان سيد الأوس أبو عامر عبد عمر بن صيفي بن النعمان أحد بني ضبيعة بن زيد، وقد شقى هذان السيدان بشرفهما عند ظهور الإسلام. أما عبد الله بن أبي بن سلول، (فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم، فجاءهم الله تعالى برسوله صل الله عليه وسلم وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن ورأى أن رسول الله صل الله عليه وسلم قد استلبه ملكاً. فلما رأى قومه قد أبا إلا الإسلام دخل فيه كارهاً

(١) صحيح البخاري، ج ٥، ١٠٨.

مصرًا على نفاق وضغن^(١). وأما أبو عامر بن عبد عمر بن صيفي (فأبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتماعا على الإسلام ، فخرج منهم إلى مكة ببضعة عشر رجلًا مفارقًا للإسلام ولرسول الله صل الله عليه وسلم)، وظل مقيمًا بمكة حتى افتتحها النبي، فخرج إلى الطائف. فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام، فمات بها طريدًا غريبًا وحيدًا^(٢).

د - الحياة الاقتصادية:

أرض يثرب من أخصب أراضي الحجاز، فهي أرض بركانية خصبة، تتوافر فيها مياه الأودية والآبار العيون، وأرض على هذا النحو من الخصب تكون صالحة للزراعة، وقد رأينا أن النخيل كان أهم مزروعات يثرب، وعليه كان يعتمد سكانها^(٣). وتثر يثرب الصيحاني يفوق تمر غيرها^(٤). وكان الشعير والتمر، أما الموسر منهم فكان يتناع من الدرمل ما يخص به نفسه^(٥). وكان يزرع أيضًا القمح والكرم وفواكه أخرى كالرمان والموز. ومن مصادر الثروة الزراعية أيضًا حب البان، ومنها كان يحمل إلى سائر البلدان^(٦). وإلى جانب الاشتغال بالزراعة، كان الاشتغال بالتجارة من الأعمال الرئيسية في يثرب، ففيها نشطت حركة التجارة الداخلية، وكانت تقام بيثرب الأسواق المختلفة لبيع التمور والشعير والخطب والصوف والسلاح. ومن الأسواق المعروفة في

(١) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ٢، ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٢) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ٢، ٢٣٥.

(٣) اليعقوبي، كتاب البلدان، ٣١٣.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ٨٧.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٧٨.

(٦) ياقوت، معجم البلدان، ٨٧.

الجاهلية سوق بني قينقاع، وسوق زباله، وسوق الجسر، وسوق الصفاف، وسوق البطحاء، وفيها كان بنو سليم يبيعون الخيل والإبل والغنم والسمن^(١)، وكانوا يجلبون إلى أسواق يثرب من الطائف الزبيب، ومن اليمن المنسوجات القطنية والحريية، ومن الشام الخنطة. وكانت التجارة مع الشام واليمن تتبع الطريق البري المعروف والطريق البحري عبر البحر الأحمر. ويذكر اليعقوبي أن (البحر الأعظم) (أي البحر الأحمر) منها على ثلاثة أيام، وساحلها موضع يقال له الجار، وإليه ترسي مراكب التجار والمراكب التي تحمل الطعام من مصر^(٢). وكانت الجار على حد قول ياقوت: (فرصة ترفاً إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند. وبحذاء الجار جزيرة في البحر تكون ميلاً في ميل، لا يعبر إليها إلا بالسفن، وهي مرسى الحبشة خاصة، يقال لها قراف، وسكانها تجار كنحو أهل الجار)^(٣) ولقد قامت في يثرب بعض الصناعات التي تعتمد على الإنتاج الزراعي مثل صناعة الخمر من التمر، وصناعة المكاتل والقفف من سعف النخل، والنجارة من شجر الطرفاء والأثل، وهو شجر يكثر في غابة يثرب^(٤). واختصت يثرب أيضاً بصناعة التحف المصنوعة من المعادن كالخلي وأدوات الزينة وبصناعة الأسلحة والدروع. وقد احترف اليهود وخاصة يهود بني قينقاع هاتين الصناعتين^(٥)، ولذلك غنم المسلمون عندما أجلوا بني قينقاع من المدينة كثيراً من الدروع والسيوف والأقواس، ووجدوا في حصونهم سلاحاً كثيراً وآلة

(١) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ٥٤٤.

(٢) اليعقوبي، كتاب البلدان، ٣١٣.

(٣) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٢، ٩٣.

(٤) الشريف، مكة والمدينة، ٣٧٦.

(٥) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ١٩٨.

للصياغة^(١). كذلك غنم المسلمين من بني قريظة ألفاً وخمسمائة سيف وألفي رمح وألفاً وخمسمائة ترس وحجفة وثلاث مائة درع^(٢).

ثالثاً: مدينة الطائف

(أ) جغرافية الطائف: الموقع والمناخ:

الطائف مدينة صغيرة قديمة البنيان، تقع قريباً من مكة، وقد سميت بهذا الاسم لأن رجلاً من الصدف يقال له الدمون بن عبد الملك - وكان تاجراً ثرياً - قتل ابن عم له بحضر موت ثم خرج هارباً حتى نزل بأرض الطائف، فخالف مسعود بن معتب الثقفي، وتزوج من ثقيف. وفي مقابل ذلك أقام لهم طوفاً مثل الحائط حتى لا يصل إلى ثقيف اخذ من العرب، ويكون هذا الطوف حصناً لثقيف، فبناه بهاله، وسمى الموضع لذلك بالطائف^(٣)، وأعتقد أن الطائف إنما سميت كذلك من الطواف حول بيت اللات، وأن التسمية بالطائف كانت نتيجة لأهمية الطائف الدينية باعتبارها المركز الوثني الثاني في الحجاز بعد مكة.

وكانت الطائف تسمى في القديم باسم وج وهو اسم وادي وج الذي ينسب إلى وج بن عبد الحي من العماليق.

وتقع الطائف على ظهر جبل غزوان من جبال السراة، وبغزوان قبائل هذيل^(٤)، والطائف محلتان: محلة إلى جانب من ادي وج تسكنه ثقيف، والأخرى على الجانب

(١) الواقدي، مغازي رسول الله، ١٤٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ٥٤.

(٣) البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ٦٧؛ الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤، ٩.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ٧٩.

المقابل و يقال لها الوهط^(١). وقد ظل اسم وج يطلق على موضع من الطائف يقع على الوادي يقال له برد في العصر العباسي، إذ أقامت فيه زبيدة زوجة هارون الرشيد حائطين، يقال لهما وج^(٢)، ووادي الطائف الذي يعرف بوادي وج تجري فيه مياه المدابغ التي يدبغ بها الأديم^(٣).

ويشرف جبل غزوان، أعظم جبال السراة، على المدينة. وجبال السراة تمتد بحذاء البحر الأحمر، و كان يعتقد أنها تبدأ من اليمن لكي تصل إلى الشام^(٤)، وواجهة السراة الشرقية تشرف على هضاب متفتحة على بلاد العربية الوسطى عن طريق أفجاج و شعب وأودية تنتهي إلى البحر، وقد سهلت هذه الشعب الإتصال بين القبائل الضاربة في الداخل والمدن التجارية بالحجاز، ومن بين هذه الوديان وادي نعمان بين الطائف وعرفة، وفيه طريق الطائف المختصرة إلى مكة^(٥).

وجبال السراة جنوبي الطائف امتداد لجبال اليمن، وهي جبال كانت تتخذ أسماء القبائل التي سكنتها مثل سراة بني علي فهم وسراة بجيلة و الأزد بن سلامان وسراة ألمع و دوس و عازر^(٦). ويحيط بالطائف نطاق من المزارع والبساتين تمتد إلى نحو ثلاثة أو أربعة كيلومترات من المركز العمراني بالمدينة، ويطوق جبل غزوان جانباً

(١) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤، ٩.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ١٢٠.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ٧٩.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ٤٨.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ١٢١.

(٦) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ١٢١.

من هذه المزارع بينما يفتح سهل الطائف تجاه مكة^(١). وبالقرب من الطائف تقع قرية العرج المعروفة بعرج الطائف، (وهي قرية جامعة في واد من نواحي الطائف، وإليها ينسب العرجي الشاعر، وهو عبد الله بن عمر بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان بن عفان، وهي أول تهامة).

وذكروا أن العرجي كان له حائط يقال له العرج، و كان العرج وادياً يبعد عن الطائف بنحو ساعة من الزمان^(٢). وإلى الجنوب الغربي من الطائف تقع قرية سلامة، وكان لأم الخليفة المقتدر فيها حائط^(٣). ومن نواحي الطائف المشهورة الفتق وجلدان، وجلدان هذا كان وادياً ينقلب إلى نجد، و كانت تسكنه قبائل بني هلال^(٤). و وهط قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وج، كانت لعمر بن العاص، وقد سميت كذلك لكثرة ما كان فيها من كروم، فقد غرس فيها عمرو ألف ألف خشبة^(٥). وإلى الشرق من الطائف يقع وادي لية، و كان يسكنه بنو نصر من هوازن. وقد مر النبي صل الله عليه وسلم بهذا الموضع عند منصرفه من حنين متجهاً إلى الطائف، وأمر وهو بلية بهدم حصن مالك بن عوف قائد غطفان^(٦).

وكانت الطائف المدينة الثانية في الحجاز من حيث الأهمية الاقتصادية، واسمها يقترب عادة بمكة فيقال مكة من الطائف والطائف من مكة، و كانتا تسميان

(١) Lammens, La cite. Arabe dw Taifa la veille de L'Hegire, Beyrouth, (1922), 20.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ٩٩.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ١٢١.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ١٢١.

(٥) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ٣٠.

(٦) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٥، ٣٠.

حواضر شبه الجزيرة العربية قديماً غرب الجزيرة نموذجاً

بالقريتين^(١) كما عرفتا بالمكتين^(٢). وقد يكون المقصود بالمكتين البطاح والظواهر، أو قد يكون المراد باللفظة الثنية فحسب، كما يقولون الكوفان والرقتان والمروتان والمشرقان والمغربان والنجدان^(٣). والطريق بين مكة والطائف طريقان، واحدة من ثلاثة مراحل، والأخرى مختصرة من مرحلتين^(٤).

ومناخ الطائف معتدل، فقد عرفت بأنها طيبة الهواء شامية^(٥)، وذكر المقدسي أنها شامية الهواء باردة الماء^(٦)، فكانت صيفاً لأهل مكة، يقبلون إليها في الصيف عندما تشتد حرارة مكة^(٧). ومما لا شك فيه أن موقع الطائف في منطقة مرتفعة، وتفتحها للرياح الشمالية كان سبباً في تلطيف مناخها أثناء الصيف. أما في فصل الشتاء فيسود البرد إلى حد تتجمد معه المياه^(٨).

ب- الحياة الاقتصادية في الطائف:

ساعد اعتدال حرارة الطائف وجودة تربتها بالاضافة إلى توافر مياهها وعذوبتها على قيام نشاط زراعي على نطاق واسع، وتعتبر الحنطة الانتاج الزراعي

(١) من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ سورة الزخرف.

(٢) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ٢٠٣.

(٣) Lammens, la cite de Taif, 12.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ١١٢.

(٥) الحموي، معجم البلدان، ٩.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ٧٩.

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ٩٥.

(٨) الحموي، معجم البلدان، ٩؛ الألويسي، بلوغ الأرب، ج ١، ١٩١.

الأول في الطائف، على حنطة الطائف كانت تعتمد كل حواضر الحجاز وخاصة مكة، فكانت العير تقبل من السراة الطائف تحمل الحنطة والحبوب والسمن والعسل إلى مكة^(١). كذلك اشتهرت الطائف بفواكهها المتعددة الأنواع، ففيها يكثر النخل و الأعناب و الموز والرمان، والتين و الخوخ والسفرجل و البطيخ^(٢)، وأكثر فواكه مكة تحمل من الطائف^(٣)، وأهم هذه الفواكه على الإطلاق التمر والعنب، أما تمر الطائف فكان يتمتع بشهرة كبيرة، فهو تمر طري ممتلئ يوحل فيه الضرس^(٤)، أما العنب فعليه تعتمد ثروة الطائف الاقتصادية، و كان إنتاجها من الكثرة بحيث يذكرون أن سليمان بن عبد الملك لما أدى فريضة الحج مر بالطائف، فرأى يبادر الزبيب فقال: ما هذه الحرار ؟ قالوا: ليست حرارًا ولكنها يبادر الزبيب^(٥). وذكر المقدسي أن في أكناف الطائف كروم على جوانب جبلها، (فيها من العنب العذب ما لا يوجد مثله في بلد من البلدان، واما زبيبها فيضرب بحسنه المثل)^(٦).

وذكروا أن النبي صل الله عليه سلم لما خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف سبوه وتصايحوا به و ألقوه إلى حائط (بستان) لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة،

(١) الأزرقي، أخبار مكة، ج ٢، ١٩٣.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ٦٩؛ الحموي، معجم البلدان، ٩.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ٧٩؛ الحموي، معجم البلدان، ٩؛ الأزرقي، أخبار مكة، ج ٢، ١٩٣.

(٤) Lammens, la cite de Taif, 33.

(٥) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٣، ٢٢٧؛ الحموي، معجم البلدان، ١٢.

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ٧٩.

فجلس الرسول في ظل حبله من عنب^(١). وإلى جانب حرفة الزراعة، كان أهل الطائف يشتغلون بثلاثة حرف أخرى هي الصيد وتربية النحل واستخراج العسل ثم حرفة التجارة.

أما الصيد، فكان يتم في الغابات المجاورة للطائف على سفوح جبل غزوان، فهذه الغابات إلى جانب ما كان يستفاد من أشجارها في اتخاذ الحطب للوقود وصناعة الفحم، و ما كان يستخرج من قطران، كانت ميداناً للصيد، ففي هذه الغابات كان جماعات الصيادين يأتون من مكة ومعهم كلاب الصيد والبزاة لصيد الحيوانات والفهود^(٢). وأما تربية النحل فكانت من الأعمال الهامة التي اشتهر بها أهل الطائف، وكان العسل أحد مصادر ثروة الطائف، وكان أصحاب النحل يؤدون إلى الرسول من كل عشر قرب عسل قرية، ثم انقطعوا عن أدائها بعد وفاته، فكتب أمير الطائف إلى عمر بن الخطاب بذلك، فأمره بأن يؤدوا إليه ما كانوا يؤدونه إلى النبي، ومن المعروف أن في العسل العشر إذا كان في أرض العشر، أما إذا كان في أرض الخراج وفي المفاوز والجبال وعلى الأشجار و في الكهوف، فلا يؤخذ عليه العشر، لأنه يكون بمنزلة الشمار^(٣).

وكان العرب يعتبرون العسل من أشهى الأطعمة، وكان عسل الطائف مما يهادى به في مكة، فقد ذكر البلاذري أن أم سلمة زوج الرسول كان لها نسيب بالطائف يهديها عسلاً^(٤)، و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب شرب العسل عند زوجاته

(١) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ٢، ٦١ .

(٢) Lammens, La cite de Taif, 32.

(٣) ابو يوسف، كتاب الخراج، ٤٠ ؛ البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ٦٧ .

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ٤٢٧ .

ثم حرمه على نفسه^(١)، فنزلت الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاحِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢). ولقد وعد الله المسلمين بجنت تجري من تحتها أنهار من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه، ومن عسل مصفى^(٣)، و كان العسل دواء يعالج به المرضى، من قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا سَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾^(٤). ولذلك كان العسل من الأطعمة الممتازة عند العرب، وكانوا يستخرجونه من بيوت الجبال ومن الشجر، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ امْتَسِكِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾^(٥). وكان عسل الطائف يطلب في سائر أنحاء بلاد العرب في الجاهلية والإسلام، فقد ذكر الأصمعي أن بعض الخلفاء كتب إلى عامله بالطائف (أن أرسل إلى بعسل أخضر في سقاء أبيض في الإناء من عسل الندغ والسحاء من حداب بني شبابة)، وكان بنو شبابة يسكنون في السراة مما يلي الطائف^(٦). أما التجارة فكانت من الحرف الهامة في الطائف، وكانوا يتجرون في الزبيب والحنطة والعسل والأديم، وكانت القوافل تخرج إلى مكة حاملة هذه السلع كل يوم. وقد عانى أهل مكة كثيرًا عندما كان يخرج زيد بن حارثة يترصد هو وجماعة من المسلمين تجارة قريش من الطائف في أرض نخلة^(٧). و كان غيلان ابن سلمة الثقفي

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٤٢٤-٤٢٥.

(٢) سورة التحريم ٦٦ آية ١.

(٣) سورة محمد ٤٧ آية ١٥.

(٤) سورة النحل آية ٦٩.

(٥) سورة النحل آية ٦٨.

(٦) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٣، ٢٠٥.

(٧) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٢٧.

أحد وجوه ثقيف بالطائف يشتغل بالتجارة إلى العراق وفارس، وقد بنى له كسرى بالطائف أطماً، وكان قصرًا مبنياً بالحجارة^(١).

ج - سكان الطائف وعلاقتهم بأهل مكة:

كان سكان الطائف من ثقيف، وهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، و كان سبب نزوله في الطائف أن قسي هذا كان له ابن خالة يقال له النخع بن عمرو، فخرجا منتجعين ومعهما شياه و عنز لبون يشربان لبنها، فتعرض لهما مصدق لبعض ملوك اليمن، فطمع في شاة لهم، وأراد أخذها، فمنعاه من ذلك ورمى أحدهما المصدق فقتله، فقال أحدهما للآخر: والله ما تحملنا أرض واحدة، فاتفقا على الافتراق فمضى النخع شرقاً حتى نزل ببيشة من أرض اليمن، اما قسي فقد غرب حتى أتى وادي القرى، ونزل على عجوز يهودية لا ولد لها، فاتخذته ولداً، ولما حضرته الوفاة أعطته مالا وقضبان من العنب، نصحته بان يغرسها، في واد ينزل به فيه ماء، ففعل ما أمرته به، وأخذ المال وقضبان العنب بعد موتها، ومضى سائراً حتى إذا كان قريباً من وج وهي الطائف، إذا هو بأمة حبشية ترعى مائة شاة، فطمع فيها وهم بقتلها، فحذرته الأمة ألا يفعل حتى لا يتعرض لغضب صاحب الغنم وهو عامر بن الظرب العدواني سيد قيس وحكمها، ونصحته بأن ينزل عنده، فأتاه قسي واستاجرته فزوجه ابنته، ثم غرس قسي قضبان الكرم بوادي وج، فنبتت، فلما أثمرت قالوا: (قاتله الله كيف ثقف عامراً حتى بلغ فيه ما بلغ، وكيف ثقف هذه العيدان حتى جاء منها ما جاء)، فسمي ثقيفاً من يومئذ. وما زال

(١) الألويسي، بلوغ الأرب، ج ١، ٣٢١.

ثقيف مع عدوان حتى كثر ولده وربلوا، وقوى جأشهم، وجرت بينهم وبين عدوان حروب انتهت باخراج عدوان عن أرض الطائف، واستخلصوا بنو ثقيف لأنفسهم، و غرسوا فيها كرومهم، (وأصبحت ثقيف أعز الناس بلدًا، وأمنعه جانبًا، وأفضله مسكنًا، وأخصبه جنبًا، مع توسطهم الحجاز، وإحاطة قبائل مضر واليمن، وقضاة بهم من كل وجه، فحمت دارها وكاوت العرب عنها)^(١).

وكان يسكن بالطائف إلى بني ثقيف جماعة من حمير وقوم من قريش، فالحميريون من أزد السراة، والقرشيين من كنانة وعذرة، كما سكنها جماعة من هوازن والأوس الخزرج ومزينة وجهينة. وكان يسكن غزوان قبائل هذيل^(٢).

وكان المكيون يرتبطون بأهل الطائف ارتباطًا وثيقًا، من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، فمن الناحية الاجتماعية كان يقال: قرشي وختناه ثقفيان، أو ثقفني وختناه قرشيان^(٣). وكان كثير من قريش يمتلكون في الطائف مزارع وبساتين، كما كانت لهم فيها تجارات وأموال، فالعاصي بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص كانت له أموال ومزارع بوهط، ومات وهو في شعب من شعب الطائف^(٤)، كذلك توفي أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية بالطائف^(٥). وكان لعمرو بن العاص كروم كثير في وهط بالطائف، كما كانت لعمر

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٧؛ البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ٦٤ - ٦٧؛ الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤، ١٠؛ عبدالرحمن الطيب الأنصاري، محمد سلطان العتيبي، الطائف إحدى القريتين، (الرياض: دار القوافل، ١٤٢٧/٥، ٢٠٠٦م)، ١٣-١٥.

(٢) الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤، ٩.

(٣) Lammens, La cite de Taif, p. 12.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ١٣٩.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ١٤٢.

ابن الخطاب املاكاً بركة من ارض الطائف. وكان للعباس بن عبد المطلب ارض بالطائف مزروعة بالكروم، وكان الزبيب يحمل منها الى مكة فينبذ في السقاية للحجيج، وكان لعامة قريش اموال بالطائف يأتونها من مكة فيصلحونها^(١). وإلى جانب هذه الطبقة من العرب، كان يسكن الطائف جماعات من اليهود أقاموا فيها للتجارة، ومن بعضهم ابتاع معاوية أمواله بالطائف، كما سكنها قوم من الروم، فقد ذكر البلاذري من بينهم الأزرق والد نافع بن الأزرق الخارجي، وكان عبداً رومياً حداذاً، كما ذكر بالطائف عبداً رومياً يقال له عبيد، تزوج سمية أمة الحارث بن كلدة الثقفي، وكان طيب العرب^(٢)، وذكر ابن هشام اسم غلام لعتبة وشيبة ابني ربيعة يقال له عداس وكان نصرانياً من نينوي^(٣).

د- مركز الطائف الديني:

كانت الطائف المركز الديني الثاني في بلاد العربية الغربية بعد مكة، فقد كان لثقيف بالطائف بيت يسترونه بالثياب و يهودون له الهدى ويطوفون حوله ويسمونه الربة، يعظمونه كتعظيم أهل مكة للكعبة^(٤)، هذا البيت كان يضم صخرة مربعة تعرف باللات، وكان سدنتها من ثقيف وهم بنو عتاب بن مالك، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها^(٥). فلما عزم الرسول صل الله عليه وسلم على فتح الطائف، في العام

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥٧؛ البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ٦٦؛ الأزرق، أخبار مكة، ج ٢، ٦٥.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٤٨٩، ٤٩٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ٦٥.

(٣) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ٢، ٦٢.

(٤) ابن هشام، سيرة بن هشام، ج ١، ٤٩؛ الجارم، أديان العرب في الجاهلية، ١٤٩.

(٥) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ١٦.

الثامن للهجرة عند منصرفه من حنين، امتنع أهل الطائف في حصنهم، فنصب عليها منجنيقا اتخذها سلمان الفارسي، وكان مع المسلمين دبابه يقال أن خالد بن سعيد بن العاص قدم بها من جرش، فحاصر النبي أهل الطائف خمسة عشر يومًا^(١)، وقيل شهرًا^(٢)، فلما استهل ذو الحجة رجع معتمرًا إلى مكة، ثم تجهز بعد الأشهر الحرم لمعاودة حصار الطائف، فلما بلغ أهل الطائف ذلك بعثوا وفداهم إلى النبي للمفاوضة في الصلح فطلبوا الصلح على الشروط التالية: ألا يحشروا وألا يعشروا وألا يجنوا وأن يتمتعوا باللات سنة^(٣). فأعرض عنهم رسول الله، فقبلوا أن تكسر اللات، وتولى كسرها كما يزعمون المغيرة بن شعبة، وقيل هدمها وأحرقها بالنار.^(٤)

رابعاً: خيبر

خيبر بلد تاريخي قديم عرفت بهذا الاسم منذ أقدم العصور . وقد وردت عدة روايات في تفسير سبب التسمية لعل من أهمها هو اشتهاؤها بحصونها وقلاعها ، ذلك أن كلمة (خيبر) وجمعها (خيابر) تعني الحصن بلغة الأقوام السامية التي سكنت خيبر قديماً والمعروفة باسم العمالة أو العماليق ، والظاهر أن هذه التسمية ليست وصفا لضخامة أجسام هذه القبائل بل هو اسم لأولئك الأقوام الذين سكنوا هذه المنطقة منذ القدم ، إذ أن الشواهد والآثار الموجودة في المنطقة تؤيد هذا الرأي .

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣٦٦.

(٢) الواقدي، مغازي رسول الله، ٣٣٨.

(٣) الواقدي، مغازي رسول الله، ٣٣٩.

(٤) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ١٧.

حواضر شبه الجزيرة العربية قديماً غرب الجزيرة نموذجاً



ويوجد تقارب لفظي ومعنوي للغات السامية وخاصة القديم منها نتيجة وحدة المصدر لتلك اللغات، وعرفت خير قبل الإسلام بأنها ريف الحجاز^(١) وهي على ثمانية أميال من المدينة لمن يريد الشام وتشمل هذه المنطقة على سبعة حصون وبها مزارع نخل كثير، وأسماء حصونها: حصن ناعم، والقموص، وحصن أبي الحقيق وحصن الشق، وحصن النظاة والسلام وحصن الوطيح، والكتيبة، وأما لفظ خير

(١) الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٧٠٣؛ عبدالرحمن الطيب الأنصاري، خير الفتح الذي سر به النبي صلى الله عليه وسلم، (الرياض: دار القوافل، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ١٢-٢٠.

فهو بلسان اليهود الحصن ويكاد يجمع المؤرخون القدماء منهم والمحدثون على أن أول من سكن خيبر هم العمالق من العرب البائدة التي بادت قبل الإسلام . كما ورد اسم خيبر كأحد المناطق التي استولى عليها الملك البابلي نابونيد وكانت تابعة للملكه الذي ضم تيماء ودادان وخيبر ، وذلك خلال الفترة من (٥٥٥ الى ٥٣٩ قبل الميلاد) حيث ورد اسمها في كتابات الآشوريين (خبرا)^(١).

ويهود خيبر هم الذين قالوا عن أنفسهم: "نحن أرباب النخل وأهل المعرفة بها"^(٢)، و "إن لنا بالعمارة والقيام على النخل علماً"^(٣)، كما كان يهود خيبر في نظر من حولهم من القبائل العربية هم "أهل النخل"^(٤). ولا عجب! فيهود منطقة الحصون، كانوا أحرص الناس على زرع النخيل وغرسه، وكانوا أكثر خبرة بزراعته وسقيه^(٥) فالنخلة عندهم "أحب إليهم من أبكار أولادهم"^(٦).

ومن أشهر حصون خيبر: الشق والنطاة وماحيز والكتيبة والسلام والوطيح^(٧). وحصن ناعم والقموص، وحصن أبي الحقيق^(٨)، وحصن الأبلق، وحصن السموءل ابن عاديا المشرف على تيماء^(٩).

(١) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠٩؛ الأنصاري، خيبر، ٢١-٢٢.

(٢) الواقدي، المغازي، ج ٢، ٦٩٠.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٦.

(٤) الواقدي، المغازي، ج ٢، ٧٢٩.

(٥) الواقدي، المغازي، ج ٢، ٦٤٤.

(٦) الواقدي، المغازي، ج ٢، ٦٤٤.

(٧) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٨-٣٩.

(٨) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ٤٩.

(٩) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ٦٧.

خامساً: تيباء

تقع مدينة تيباء تاريخياً وجغرافياً في الجزء الشمالي الغربي من جزيرة العرب، على خط الطول ٢٩ ٣٨ شرقاً، ودائرة العرض ٣٨ ٢٧ شمالاً،^(١) حيث إستوطنها وبناها العرب القدماء من الثموديين والعماليق وغيرهم من الأقوام القدماء في قديم الزمان. كسبت أهميتها التاريخية لوقوعها على طريق القوافل التجارية التي كانت تربط الجزيرة العربية بالعراق بواسطة عرار ووادي العبيد، ثم بالشام بواسطة البتراء ومعان وغزة، ولموقعها الاستراتيجي على أطراف النفودات المعروفة بنفودات البتراء من الشمال وغزيرة من الشرق، والحيزاء من الجنوب الشرقي.^(٢)

وتتصل هذه النفودات بالنفود الكبير أعظم صحاري الجزيرة العربية والمعروف عند الجغرافيين العرب برملة عالج، وهو يمتد شمالاً إلى وادي السرحان، وجنوباً إلى جبلي آجا ولوقوعها على طريق الحج الشامي، تكلم عنها عدد من الرحالة والمؤرخين العرب، واصفين موقعها وآثارها، منهم ياقوت الحموي في معجم البلدان وأبو عبيد البكري في المسالك والممالك. وابن الفقيه في البلدان، والإصطخري في مسالك الممالك، وأبو الفداء في تقويم البلدان، والمقدسي في أحسن التقاسيم والقزويني في آثار البلاد وأخبار العباد، وقال عنها

(١) محمد بن عائل الذبيبي، التواصل الحضاري من خلال نقش أثري للملك رمسيس الثالث المكتشف بواحة تيباء في شمال غربي المملكة العربية السعودية، (الرياض: أدماتو، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، ٧؛ سليمان بن عبدالرحمن الذبيبي، نقوش موقع سرمداء محافظة تيباء، (الرياض: الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م)، ١١.

(٢) الذبيبي، التواصل الحضاري، ٧-٩.

المقدسي المتوفى سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م إنه ليس بالحجاز أجلّ وأعمر وأكثر تجارًا وأموالاً منها بعد مكة^(١).

كما وصفها الإصطخري إبراهيم بن محمد المتوفى سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٧م قبله في كتابه مسالك الممالك بمثل ذلك. وجاءت في عدد من قصائد الشعراء الجاهليين^(٢) وكانت الآطام منتشرة في شمالي الجزيرة العربية. وقد أورد السمهودي في كتابه خلاصة وفاء الوفا بمدينة المصطفى^(٣) أسماء عدد من آطامها، كالسعدان والزيدان والأجش والأشنف والضحيان، ولا تزال أطلال الأخير قائمة حتى اليوم. وفي مطلع قرننا الميلادي كانت تيماء محطة من محطات سكة حديد الحجاز التي قام السلطان عبد الحميد بإنشائها بمعاونة عدد من الدول العربية والإسلامية، والتي بدئ العمل فيها سنة ١٩٠٠م وانتهى سنة ١٩٠٨هـ^(٤).

وأهم من كتب عن تيماء من المؤرخين المعاصرين الأستاذ الشيخ حمد الجاسر الذي زارها سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م وأفرد لها فصلاً مطولاً في كتابه (في شمال غرب الجزيرة العربية) والأستاذ عبد القدوس الأنصاري الذي زارها في التاريخ نفسه وبسط الكلام عنها في كتابه (بين التاريخ والآثار) وحافظ وهبة مؤلف كتاب (جزيرة العرب في القرن العشرين) المطبوع في الرياض سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م، وفؤاد حمزة مؤلف كتاب (قلب جزيرة العرب) المطبوع في الرياض سنة

(١) البكري، المسالك والممالك، ٩٣.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ٣٩٥.

(٣) الإصطخري، مسالك الممالك، ٢٢.

(٤) نبيل عبد الحي رضوان، الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية، (جدة: د.ن،

١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ٣٨.

١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ، ولمجىء ذكرها في جغرافية بطليموس والحوليات الآشورية والبابلية كحوليات تيغلات بلاسر ونابو يدوس .

وقد كشفت دراسات الباحثين أن (تيماء) أخذت حظاً من الازدهار في التاريخ القديم ، ولذا فقد ورد ذكرها بأسفار التكوين وأيوب وأشعيا من التوراة ، وفي جغرافية بطليموس وحوليات تيغلات بلاسر الآشوري (٤٧٥ - ٧٢٧ ق.م) كما جاءت في حوليات الملك البابلي نابو نيدوس (٥٥٥ - ٥٣٨ ق.م) كواحدة من الأماكن التي غزاها في شمالي الجزيرة العربية،^١ حسبما جاء في نقشه الذي عثر عليه سنة ١٩٦٥م بحران وأودع بالمتحف البريطاني، ويفيد هذا النقش الذي قام بدراسته ونشره سدني سميث S. Smith في مجلة بابليون التاريخية p.89، أن هذا الملك البابلي قد استقر بتيماء وبنى بها قصرًا على غرار قصره في بابل بعد أن تجول في المدن المجاورة كدادان -العلاء - وخيبر وفدك ويثرب ، وعقد صلحاً مع المصريين والعرب، وقد نُشر هذا النقش مترجماً في مجلة الدراسات الأناطولية^(٢).

وقد سبق الملك البابلي في غزو تيماء ملوك آشور، وهم: تجلات بلاسر (٧٤٥- ٧٣٧ ق.م)، وسرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م)، وآشور بانيبال (٦٦٩-٦٢٧ ق.م)، وذلك نتيجة لموقعها الإستراتيجي على الطرق التجارية التي تربط وسط الجزيرة بغيرها

(١) سعيد فايز إبراهيم السعيد، حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، (الرياض، الجمعية التاريخية السعودية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ٧-٨؛ عبدالرحمن الطيب الأنصاري، حسين بن علي أبو الحسن، تيماء ملتقى الحضارات، (دار القوافل: الرياض، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، ٢٢-٢٥.

(٢) الأنصاري، بين التاريخ والآثار، ٣١١؛ الذيب، نقوش موقع سرمدا، ١١؛ Antolian Studies, The Harran Inscription of Nabonidus, viii, (1958), 35, 69, 78.

وشمالها، وسبق الإشارة إلى ذلك.^(١) وتعد تيماء من المدن الغنية بالآثار القديمة والتي تعود إلى ما قبل التاريخ، ومن أشهر أثارها، قصر الابلق والحمراء وبئر هداج وقصر الرضم. وكثير من السياح المحليين والأجانب يقومون في زيارة أرضها خصبة صالحة للزراعة، تشتهر بتمرها الجيد، وبها عين ماء شهيرة في بلاد العرب وهو بئر هداج، يوجد بها نقوش كثيرة باللغات السامية بالآرامية والكنعانية واللحيانية والشمودية والسبئية والنبطية وقد عثر بها على نقوش يظن أنها من القرن السادس ق.م، ورد ذكرها أكثر من مرة في التوراة وبعض هذه المقتنيات معروضة في متحف تيماء. حيث تنسب إلى تيماء أحد أبناء إسماعيل.

سادساً: دومة الجندل

سميت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل، وقال أبو عبيد السكوني: دومة الجندل حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء كانت به بنو كنانة من كلب، قال: ودومة من القرى، من وادي القرى إلى تيماء أربع ليال، والقرىات: دومة وسكاكة وذو القارة، فأما دومة فعليها سور يتحصن به، وفي داخل السور حصن منيع يقال له مارد، وهو حصن أكيدر الملك بن عبد الملك بن عبد الحفي بن أعيا بن الحارث بن معاوية بن خلاوة بن أبامة بن سلمة بن شكامة بن شبيب بن السكون بن أشرس بن ثور بن عفير وهو كندة السكوني الكندي^(٢).

(١) الذيب، نقوش موقع سرمداء، ١١.

(٢) الأنصاري وآخرون، تيماء، ١٦-١٨.

(٣) البكري، معجم البلدان، ج ٢، ٤٨٧.

وتشير المصادر الآشورية إلى دومة الجندل بـ (أدوماتو)، أو (أدومو)، كما تشير إلى وقوعها ضمن ممتلكات قبيلة قيدار العربية،^(١) وفي التوراة "دومة"، وفي جغرافية بطليموس "Doumatha" "Adomatho"، كما تبدأ الإشارة إلى دومة الجندل في القرن الثالث الميلادي في عهد الملكة العربية الشهيرة (زنوبيا)، ويبدو أن هذه الملكة غزت دومة الجندل، لكن قلعة المدينة كانت حصينة بحيث لم تتمكن من اقتحامها فارتدت خائبة، وقالت مقولتها الشهيرة: «تمرد مارذ وعز الأبلق»، ومارذ هذا هو قصر مارذ في دومة الجندل، والأبلق قصر مشهور في تبءاء.

وأما في المصادر العربية فهي "دومة الجندل"، نسبة إلى دوم "أو دومان أو دما أو دوماء" بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام^(٢) كما ظهرت المدينة مرة أخرى في السجل التاريخي في القرن الخامس الميلادي عندما سيطر عليها الملك العربي امرؤ القيس، وتبع ذلك ظهور مملكة الأكيدر^(٣).

ودومة أو دومة الجندل، واحة آدوم الكبيرة، وتقع على مبعدة، ٤٠٠ كيلو متر إلى الشرق من البتراء عصامة الأنباط^(٤)، على حافة النفود الكبير، ومن ثم فقد كانت ذات أهمية كبيرة في التاريخ القديم، إذ كانت تعتبر بمثابة قلعة الجزيرة العربية الشمالية في وجه المهاجمين من الشمال والشمال الشرقي، وإذا ما سقطت دومة الجندل تساقطت

(١) عبدالرحمن الطيب الأنصاري، الجوف قلعة الشمال الحصينة، (الرياض: دار القوافل،

١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ٢٦-٢٧.

(٢) W.F. Albright, (Jras, 1925), 293.

(٣) البكري، معجم ماستعجم، ج ٢، ٥٦٥.

(٤) D.J. Wiseman, The Vassal - Treaties Of Esarhaddon. (London, 1958), 4.

(٥) موصل، شمال الحجاز، ١٢٨.

بالتالي باقي المدن المجاورة^(١). ونقرأ في حوليات العاهل الآشوري "تجلات بلاسر الثالث" التي عثر عليها في "كالح" عن جزية من "زيببي" ملكة بلاد العرب، التي يرى "ألويس موسل" أن مقرها إنما كان في "دومة الجندل"^(٢)، كما نقرأ في نقوش الملك "إسرحدون 680669" "ق. م" أن أباه "سنحريب" "٥٠٧-٦٨١ ق. م" قد أخضع أدوماتو "أدمو" "Adumu" حوالي عام ٦٨٨ ق. م، وأخذ أصنامها إلى عاصمته، والأمر كذلك بالنسبة إلى الأمير "تاربي" "تبوة" "Tabua"، وكانت ملكة دومة الجندل "تلخونو" "تلخونو" قد امتد سلطانها حتى حدود بابل، ثم وقفت بجانب الثوار البابليين ضد "سنحريب" "٧٠٥-٦٨١ ق. م" ومن ثم فإن العاهل البابلي ما أن انتهى من القضاء على الثورة، حتى أتى إلى دومة الجندل وفرض الحصار عليها^(٣)، وهناك ما يشير إلى أن خلافا قد حدث بين الملكة وبين حزائيل -سيد قبيلة قيدار- الذي تولى قيادة الجيوش ضد سنحريب، مما أدى إلى استسلام الملكة وفرار حزائيل إلى البادية، فضلا عن أسر الأميرة تبوة وأخذها إلى بابل، تمهيدا لإعدادها لتكون ملكة على قومها، تعمل بأمر آشور، وتنفذ سياسة ملوكها فيما يختص بالأعراب^(٤)، غير أن آمال الآشوريين في الملكة الجديدة قد خابت، فما أن يتم تعيينها ملكة على دومة الجندل حتى تفشل في مهمتها، ولعل السبب في ذلك إنما يرجع إلى العداء الدفين بين العرب والآشوريين، والذي ما كان في استطاعة تبوة القضاء عليه^(٥).

(١) الأنصاري، مواقع أثرية، ٨٢.

(٢) A. Musil, Arabia Deserta., 477.

(٣) D.D. Luckenbill, Ancient Records Of Assyria And Babylonia. Ii, 518.

(٤) British Museum Tablets, K, 3087- 3405.

(٥) A.L. Oppenheim. In Anet, 291.

حواضر شبه الجزيرة العربية قديماً غرب الجزيرة نموذجاً

وعلى أي حال، و الواضح أن دومة الجندل كانت في هذه الفترة مركزاً دينياً مهما للقبائل العربية، كما أن هذه المنطقة قد عرفت في هذه الفترة حكم الملكات اللاتي كن يجمعن بين السلطتين الدينية والزمنية، ولعل أشهرهن زبيبة "زبيبي" وشمسي وتعلخونو وتبوة^(١).

سوق دومه الجندل قبل الاسلام

كان للعرب في الجاهلية أسواق في أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية يتجمعون فيها في مواسم معينة ويتبادلون البيع والشراء، ويعد سوق دومة الجندل أول أسواق العرب في الجاهلية والإسلام من حيث التوقيت الزمني له، حيث كان يعقد منذ أول أيام شهر ربيع الأول من كل سنة، ويستمر حتى منتصف الشهر لأغراض البيع والشراء^(٢). وربما استمر سوق دومة الجندل حتى نهاية شهر ربيع الأول إذا لم تنته بيوعه خلال نصفه الأول^(٣)

وتجتمع في سوق دومة الجندل قبائل عدة أشهرها: (بنو كلب، كندة، جديلة طيء، غسان، تميم) فتبيع هذه القبائل وتشترى فيه طوال الموسم^(٤) وتشير المصادر التي اطلعت عليها إلى أن السيطرة على سوق دومة الجندل تختلف من موسم لآخر، فقد يكون المسيطر على السوق هو حاكم دومة الجندل

(١) الأنصاري، مواقع أثرية، ٨٢.

(٢) ابن حبيب، (ت ٢٤٥هـ)، كتاب المحبر، ٢٦٣؛ المرزوقي (ت ٤٢١ هـ)، الأزمنة والأمكنة، ج ٢، ١٥٢.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ٤٦٨.

(٤) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ج ١، ١٥٢.

تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم

(الأكيدر الكندي)، وبذلك تكون كندة هي القائمة على السوق فتبيع ما تريد من بضائعها وتشتري ما تريد من بضائع السوق قبل الآخرين، ولها حق العشر من دخل ذلك الموسم وحق التدخل في تحديد الأسعار^(١)



قريه دومة الجندل الأثريه وما بقي من تراثها وسوقها

وقد يكون المسيطر على السوق قبيلة بنو كلب أو غسان أو طيء، فأيا قبيلة منها غلبت على السوق، فإن ذلك يعد ترشيحاً لقنافة الكلبي ليكون هو سيد ذلك

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ٤٦٨.

حواضر شبه الجزيرة العربية قديماً غرب الجزيرة نموذجاً

الموسم،^(١) وذلك بعدما يخرج الأكيدر ومن معه من حاشيته من دومة الجندل نحو الحيرة تاركاً لبني كلب حرية التصرف في السوق والحصول على جميع الامتيازات فيه^(٢)



حصون قلعة مار د نقلاً عن: من معالم التراث المعماري في المملكة العربية السعودية، ص ١٩٩ .

(١) المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة، ج ٢، ١٥٢ .

(٢) القلقشندي،صبح الأعشى، ج ١، ٤٦٨ .

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- ١- ابن الأثير، (علي بن أحمد بن أبي الكرم): الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٩٩٥م.
- ٢- """"، (أسد الغابة في معرفة الصحابة)، ج ١، تحقيق محمد صبيح، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ٣- الإدريسي، (الشريف أبو عبد الله محمد بن العزيز): صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذة من كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، نشره دوزي ودي غوية، ليدن، ١٨٩٣م.
- ٤- الأزرق، (أبو الوليد محمد بن عبد الله): كتاب أخبار مكة، وما جاء فيها من آثار، نشره رشدي الصالح ملحس، في جزأين، مكة، ١٣٥٢هـ.
- ٥- الأندلسي، (أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد، طبقات الأمم، (مصر: مطبعة التقدم، د.ت).
- ٦- أرنولد (توماس) الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، القاهرة، ١٩٤٧م.

المصادر والمراجع

- ٧- الاصطخري، (أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي): كتاب المسالك والممالك، طبعة ليدن، ١٩٢٧م.
- ٨- الأصفهاني، (أبو الفرج): كتاب الأغاني، طبعة بيروت، ٢١ جزءاً، ١٩٥٦م.
- ٩- الأصفهاني، (حمزه بن الحسن): تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، برلين، ١٣٤٠هـ.
- ١٠- الأصفهاني (أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي)، الأزمنة والأمكنة، تحقيق، خليل المنصور، (دار الكتب العلمية: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- ١١- الأصمعي، (عبد الملك بن قريب): تاريخ العرب قبل الإسلام، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد، ١٩٥٩م.
- ١٢- البحري، (أبو عبادة الوليد بن عبيد): كتاب الحماسة، تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي، بيروت، ١٩١٠م.
- ١٣- البخاري، (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخاري، طبعة مصر، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ.
- ١٤- ابن بطوطة، (أبو عبد الله محمد اللواتي الطنجي): رحلة ابن بطوطة، مطبعة صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
- ١٥- البكري، (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز): معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، ج ١، القاهرة، ١٩٤٥م.
- ١٦- البلاذري، (أحمد بن يحيى بن جابر): كتاب فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، ٣ أجزاء، القاهرة، ١٩٥٦-١٩٥٧م.
- ١٧- ———، (أنساب الأشراف)، ج ١، تحقيق الدكتور محمد حميد الله، القاهرة، ١٩٥٩م.

المصادر والمراجع

- ١٨ - الجاحظ، (أبو عثمان عمرو بن بحر): كتاب البيان والتبيين، طبعة السندوبي، ج ١، القاهرة، ١٩٣٢م.
- ١٩ - ابن حبيب (أبو جعفر محمد ابن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي)، كتاب المحبر، رواية الحسن بن الحسين السكري، دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان.
- ٢٠ - ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد) جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ١٩٤٨م.
- ٢١ - ———، جوامع السيرة، تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد، مجموعة تراث الإسلام، عدد ٢.
- ٢٢ - ———، حجة الوداع، تحقيق ممدوح حقي، بيروت، ١٩٦٦م.
- ٢٣ - الحموي (ياقوت): معجم البلدان، تحقيق فريد الجندي، ج ٥، ٣، ٢، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).
- ٢٤ - الحميري، (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم)، صفة جزيرة الأندلس، من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٣٧م.
- ٢٥ - ابن حوقل النصيبي، (أبو القاسم محمد)، كتاب صورة الأرض، طبعة بيروت، ١٩٦٣.
- ٢٦ - ابن حيان، (أبو مروان حيان بن خلف)، قطعة من كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، من عهد الأمير عبد الله، القسم الثالث، تحقيق الأب ملشور أنطونية، باريس، ١٩٣٧م.

المصادر والمراجع

- ٢٧- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة، ١٩٥٧ م.
- ٢٨- ———، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، الجزء الثاني، طبعة بيروت، ١٩٦٥ م.
- ٢٩- الدينوري (أبو حنيفة): الأخبار الطوال، تحقيق الأستاذ عبد المنعم عامر، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- ٣٠- ديوان الأعشى الكبير، شرح وتحقيق محمد حسين، بيروت، ١٩٦٨ م.
- ٣١- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، القاهرة، ١٣٢١ هـ.
- ٣٢- ديوان السموأل، شرح عيسى سابا، بيروت، ١٩٥١ م.
- ٣٣- ديوان الشريف الرضي (محمد بن أبي أحمد الحسين)، بيروت، ١٣٠٧ هـ.
- ٣٤- ديوان النابغة الذبياني، نشر وتحقيق محمد جمال، بيروت، ١٩٢٩ م.
- ٣٥- ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر): الأعلام النفسية، الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية، تحقيق دي غوية، لندن، ١٨٩٢ م.
- ٣٦- الزبيدي (أبو الفيض مرتضى بن محمد): تاج العروس، طبعة مصر، ١٣٥٦ هـ.
- ٣٧- الزبيري (أبو عبد الله المصعب): كتاب نسب قريش، تحقيق الأستاذ ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٣ م.
- ٣٨- الزمخشري: الكشف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، ج ٢، القاهرة، ١٩٢٥.
- ٣٩- السخاوي (محمد بن عبد الرحمن بن محمد): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، نص نشره روزنثال في كتابه علم التاريخ عند المسلمين، بغداد، ١٩٦٣.

المصادر والمراجع

- ٤٠- ابن سعد (أبو عبد الله محمد): الطبقات الكبرى، طبعة ليدن، تحقيق الدكتور سترستين، ١٣٢٢هـ (١٠٩٥م) وطبعة بيروت ١٩٥٧م.
- ٤١- السمهودي (أبو الحسن بن عبد الله): كتاب وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، جزآن القاهرة، ١٣٢٦هـ.
- ٤٢- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): بغية الوعاة، القاهرة، ١٣٢٦هـ.
- ٤٣- ———، المزهري في علوم اللغة، شرح الأستاذ محمد أحمد جاد المولى وآخرين.
- ٤٤- ———، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج ١، طبعة مصر، ١٣٢٧هـ.
- ٤٥- الشابشتي: كتاب الديارات، تحقيق كوركيس عواد، بغداد، ١٩٥١م.
- ٤٦- صاعد الأندلسي: طبقات الأئمة، طبعة مصر، مطبعة التقدم، (د.ت).
- ٤٧- الطبري (محمد بن جرير): تاريخ الأئمة والملوك، طبعة القاهرة، ١٣٥٨هـ، وطبعة ليدن، ١٨٨١-١٨٨٢م.
- ٤٨- ابن عبد الحق (صفي الدين عبد المؤمن): كتاب مراصد الإطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع، طبعة جوينبل juynboll ٤ أجزاء، ليدن، ١٨٥٢-١٨٥٣م.
- ٤٩- ابن عبد الحكم (عبد الرحمن عبد الله القرشي): فتوح مصر وأفريقية والأندلس، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، ١٩٦١م.
- ٥٠- ابن عبد ربه: العقد الفريد، القاهرة، ١٩٢٨م.
- ٥١- ابن العبري (غريغوريوس الملطي): تاريخ مختصر الدول، بيروت، ١٩٥٨م.

المصادر والمراجع

- ٥٢- عبيد بن شربة: أخبار عبيد بن شربة، ملحق بكتاب التيجان في ملوك حمير، طبعة حيدر آباد الدكن، ١٣٤٧هـ.
- ٥٣- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار المغرب، ج ٢، بيروت، (د.ت).
- ٥٤- العمري (شهاب الدين بن فضل الله): كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الأول، نشره وحققه الأستاذ أحمد زكي باشا، القاهرة، ١٩٢٤م.
- ٥٥- أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل): المختصر في أخبار البشر، صيدا، ١٩٥٩م.
- ٥٦- ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ليدن، ١٨٨٥م.
- ٥٧- ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم): كتاب المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م.
- ٥٨- ———، الشعر والشعراء، تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر، ج ١، القاهرة، ١٣٦٤هـ.
- ٥٩- ———، عيون الأخبار، ٤ أجزاء، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ٦٠- ———، الإمامة والسياسة، ج ١، القاهرة ١٩٣٧م.
- ٦١- القرشي جمهرة أشعار العرب، بولاق، ١٣٣٨هـ.
- ٦٢- القسطلاني (أحمد بن محمد): كتاب إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القاهرة، ١٢٨٨هـ.
- ٦٣- قصة شداد بن عاد، لمؤلف مجهول، مخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم ٩/٤٩٣٢ مجاميع.

- ٦٤- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٤ جزءاً، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣م.
- ٦٥- ———، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق الأستاذ إبراهيم الإبياري، القاهرة ١٩٥٩م.
- ٦٦- ابن كثير الدمشقي (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل): تفسير القرآن الكريم، ٤ أجزاء، القاهرة، ١٩٣٧م.
- ٦٧- ———، السيرة النبوية، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد، القاهرة، ١٩٦٤.
- ٦٨- البداية والنهاية، اعتنى به عبد الحميد الهندي، ط ١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت - لبنان، (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م).
- ٦٩- ابن الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد): كتاب الأصنام، نشره أحمد زكي باشا، صورته الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥م.
- ٧٠- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين): مروج الذهب ومعادن الجوهر، أربعة أجزاء، طبعة الأستاذ محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٨.
- ٧١- ———، التنبيه والإشراف، طبعة بيروت (مكتبة خياط) ١٩٦٥م.
- ٧٢- المقدسي (المطهر بن طاهر): كتاب البدء والتاريخ، ج ٤، باريس ١٩٠٣م.
- ٧٣- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٧٤- المقرئزي (تقي الدين أحمد): كتب المواعظ، والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ١، طبعة بولاق، ١٢٧٠هـ.
- ٧٥- ابن منظور: لسان العرب، بيروت، ١٩٥٥م.

المصادر والمراجع

- ٧٦- موسل (ألويس): شمال الحجاز، ترجمة عبد المحسن الحسيني، الإسكندرية، ١٩٥٢م.
- ٧٧- الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري): مجمع الأمثال، القاهرة، ١٣٥٢هـ.
- ٧٨- النويري (شهاب الدين أحمد): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.
- ٧٩- النهروالي (قطب الدين): كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق وستفلد، لينزج، ١٨٥٧م.
- ٨٠- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك): كتاب سيرة النبي، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، ١٩٣٦ - ١٩٥٥م.
- ٨١- الهمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد): كتاب الإكليل، الجزء الثامن، تحقيق نبيه فارس، برنستن ١٩٤٠م. والجزء العاشر، تحقيق الأستاذ محب الدين الخطيب، القاهرة، ١٣٦٨هـ.
- ٨٢- ———، صفة جزيرة العرب، نشره محمد بن عبد الله بن بلهيد النجدي، القاهرة، ١٩٥٣م.
- ٨٣- الهمداني (ابن الفقيه): مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن، ١٨٨٥م.
- ٨٤- الواقدي (أبو عبد الله محمد بن عمر): مغازي رسول الله، القاهرة، ١٩٤٨م. (وطبعة اكسفورد تحقيق مارسدن جونس، ١٩٦٦م).
- ٨٥- وهب بن منبه: كتاب التيجان في ملوك حمير، حيدر آباد الدكن، ١٣٤٧هـ.
- ٨٦- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله): معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٦٥م.

المصادر والمراجع

- ٨٧- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب): كتاب البلدان، نشره دي غوية مع الأعلام النفيسة لابن رسته، في الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية، ليدن، ١٨٩٢م.
- ٨٨- ———، تاريخ اليعقوبي، ج ١، طبعة النجف، ١٣٨٥هـ.
- ٨٩- أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم): كتاب الخراج، طبعة بولاق، ١٣٠٢هـ.
- ٩٠- يوسفوس: تاريخ يوسفوس، طبعة دار صادر، بيروت، (د.ت).

ثانياً: المراجع العربية:

- ١- أحمد (يوسف): المحمل والحج، القاهرة، ١٩٣٧م.
- ٢- الأفغاني (سعيد): أسواق العرب، دمشق، ١٩٣٧م.
- ٣- الألوسي (محمود شكري) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ٣ أجزاء، القاهرة، ١٩٢٤م.
- ٤- أمين (أحمد): فجر الإسلام، القاهرة، ١٩٤٥.
- ٥- ———، ضحى الإسلام، ج ١، القاهرة ١٩٤٦م، ج ٢، القاهرة، ١٩٣٨م.
- ٦- الأنصاري، عبدالرحمن الطيب: "لمحات عن بعض المدن القديمة"، (الدارة، ١٩٧٥م).
- ٧- مواقع أثرية وصور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية، (الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
- ٨- حسين بن علي أبو الحسن، العلا ومداين صالح "الحجر"، (الرياض: دار القوافل، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).

المصادر والمراجع

- ٩- القصيم تاريخ وحضارة وتجارة، (الرياض: دار القوافل، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).
- ١٠- فرج الله أحمد يوسف، القطيف والأحساء آثار وحضارة، (الرياض: دار القوافل، ١٤٣٢هـ).
- ١١- حسين بن علي أبو الحسن، تيماء ملتقى الحضارات، (دار القوافل: الرياض، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).
- ١٢- خبير الفتح الذي سر به النبي صلى الله عليه وسلم، (الرياض: دار القوافل، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
- ١٣- خالد فايز الأسمرى، عسير حصن الجنوب الشامخ، (الرياض: دار القوافل، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
- ١٤- الباحة الجمال الباسم، (الرياض: دار القوافل، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
- ١٥- صالح بن محمد آل مريح، نجران منطلق القوافل، (الرياض: دار القوافل، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
- ١٦- الجوف قلعة الشمال الحصينة، (الرياض: دار القوافل، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
- ١٧- محمد سلطان العتيبي، الطائف إحدى القريتين، (الرياض: دار القوافل، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
- ١٨- فرج الله أحمد يوسف، حائل ديرة حاتم، (الرياض: دار القوافل، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
- ١٩- بافقيه، (محمد) عبد القادر وآخرون: مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٥م).

المصادر والمراجع

- ٢٠- بامؤمن، (كرامه)، بن مبارك بن سليمان، الفكر والمجتمع في حضرموت، (دار التيسير: صنعاء، ٢٠٠٦م).
- ٢١- برو (توفيق): تاريخ العرب القديم، (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠١م).
- ٢٢- المغرب الكبير، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٦٦م).
- ٢٣- ب. فيدال: "العثور على ضريح من عهد الجاهلية في المنطقة الشرقية"، مجلة المنهل، العدد السابع عشر، (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).
- ٢٤- بعلبكي (رمزي): الكتابة العربية والسامية دراسات في التاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١).
- ٢٥- البكري، (صلاح): تاريخ حضرموت السياسي، ج ١، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠١م).
- ٢٦- برانق (محمد أحمد) والمحجوب (محمد يوسف): محمد واليهود، سلسلة مع العرب، عدد ٤، (د.ت).
- ٢٧- بريتون (جونف) رانسوا: "العربية السعيدة في عصر ملكة سبأ"، حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، (صنعاء: ٢٠٠٢م).
- ٢٨- بغنية (أحمد): تاريخ العرب القديم، (بيروت: دار الصفوة، ١٩٤٤م).
- ٢٩- البني (عدنان): حول المشروع التدمري الاستثنائي، مجلة الحوليات الأثرية السورية، العدد ١٣، سنة ١٩٦٣م.
- ٣٠- بروكلمان (كارل): تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، بيروت، ١٩٤٨م.
- ٣١- بيرين (جاكلين): اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدرى قلعجي، بيروت، ١٩٦٣م.

المصادر والمراجع

- ٣٢- توفيق (محمد): آثار معين في جوف اليمن، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥١م.
- ٣٣- جاد، السيد محمد، الملوك العرب والقبائل العربية وبداية الذاكرة التاريخية العربية في النقوش الرومانية المتأخرة، (الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م).
- ٣٤- جاد المولى (محمد) أحمد وآخرون: أيام العرب، (القاهرة: د.ن، ١٩٤٢م).
- ٣٥- الجارم (محمد) نعمان، أديان العرب في الجاهلية، (القاهرة: د.ن، ١٩٢٣).
- ٣٦- الجاسر (حمد): "لمحة عن عمران الخرج قديماً"، المجلة العربية، العدد ١٩ (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).
- ٣٧- جب (هاملتون): دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس و محمد نجم و محمود زايد، بيروت، ١٩٦٤م.
- ٣٨- جبران (نعمان) محمود وآخرون: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، (الأردن: المؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، ١٩٩٨م).
- ٣٩- الحامد (صالح): تاريخ حضرموت، ج ١، (جدة: مكتبة الإرشاد، ١٩٦٨م).
- ٤٠- حتي (فيليب): تاريخ العرب، ترجمة محمد مبروك نافع، القاهرة ١٩٥٣م.
- ٤١- تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد، و عبد الكريم رافق، ج ١، بيروت، ١٩٥٨م.
- ٤٢- تاريخ العرب عصر ما قبل الإسلام، (تحقيق: محمد مبروك نافع، ط ٢، دار السعادة، القاهرة، ١٩٥٢م).
- ٤٣- الحداد، (محمد) يحيى، تاريخ اليمن قبل الإسلام، (القاهرة: دار وهدان ، ١٩٦٨م).

المصادر والمراجع

- ٤٤- "الحفريات البولونية في تدمر"، مجلة الحوليات الأثرية السورية، المجلد العاشر، (١٩٦٠م).
- ٤٥- حسن (حسن إبراهيم): تاريخ الإسلام السياسي، الجزء الأول، القاهرة ١٩٥٩م.
- ٤٦- حسنين (فؤاد): استكمال لكتاب التاريخ العربي القديم، القاهرة، ١٩٥٨م.
- ٤٧- أبو الحسن (حسين): قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٦٤م).
- ٤٨- الحسني، (جمال) محمد ناصر عوض: الإله سين في ديانة حضرموت القديمة دراسة من خلال النقوش والآثار، (دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م).
- ٤٩- حسين (طه): في الأدب الجاهلي، القاهرة، وطبعة ١٩٣٣م.
- ٥٠- الحسيني (عبد المحسن): تقويم العرب في الجاهلية، الإسكندرية، ١٩٦٣م.
- ٥١- الحشاش (عبد الحميد) وآخرون: "تقرير حفرة ثاج (تل الزاير) لموسم ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م"، مجلة أطلال، العدد السادس عشر، (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م).
- ٥٢- الحموري، خالد، مملكة الأنباط دراسة في الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، (عمان: دار الأنباط، ٢٠٠٢م).
- ٥٣- الحوفي (أحمد محمد): الحياة العربية من الشعر الجاهلي، (القاهرة: دن، ١٩٥٦م).
- ٥٤- ———، المرأة في الشعر الجاهلي القاهرة، ١٩٥٤م.

المصادر والمراجع

- ٥٥- الحيمي (الحسن بن أحمد) كتاب سيرة الحبشة، ومقدمة مراد كامل، القاهرة، ١٩٥٨م.
- ٥٦- الخازن (الشيخ نسيب وهيبه): من الساميين إلى العرب، بيروت، ١٩٦٢م.
- ٥٧- خان (محمد) عبد المعيد: الأساطير العربية قبل الاسلام، (القاهرة: د.ن، ١٩٣٧).
- ٥٨- الخربوطي (علي حسني): العرب واليهود في العصر الإسلامي، من سلسلة كتب قومية، عدد ٢٤٧، (١٩٧٢م).
- ٥٩- ———، الدولة العربية الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ٦٠- بن خياط (خليفة)، تاريخ خليفة، ضبطه: مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م).
- ٦١- رستم (أسد)، الروم في تاريخهم وحضارتهم وصلاتهم بالعرب، (بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٥م).
- ٦٢- رضوان (نبيل) عبد الحي: الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية، (جدة: د.ن، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
- ٦٣- رفعت (إبراهيم): مرآة الحرمين، القاهرة، ج ١، ١٩٢٥م.
- ٦٤- دراج، ندى أبوالقاسم، العلاقات السياسية بين روما ومملكة تدمر من القرن الأول قبل الميلاد إلى أواخر القرن الثالث الميلادي، رسالة ماجستير، (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م).
- ٦٥- الدوري (عبد العزيز): نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت: د.ن، ١٩٦٠م).

- ٦٦- الدغيم، صالح إبراهيم ، التنظيمات العسكرية النبطية، (الجوف: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).
- ٦٧- ديسو (رينيه): العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة الأستاذ عبد الحميد الدواخلي، القاهرة، ١٩٥٩م.
- ٦٨- الذبيبي محمد عائل ، حصن إسلامي مكتشف بموقع دادان الأثري، (الرياض: دراسات في علم الآثار والتراث، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).
- ٦٩- التواصل الحضاري من خلال نقش أثري للملك رمسيس الثالث المكتشف بواحة تيماء في شمال غربي المملكة العربية السعودية، (الرياض: أدماتو، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).
- ٧٠- الذيب، سليمان بن عبدالرحمن ، نقوش نبطية قديمة دراسة تحليلية، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
- ٧١- نقوش نبطية في الجوف، العلا، تيماء، المملكة العربية السعودية، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).
- ٧٢- نقوش موقع سرمدا محافضة تيماء، (الرياض: الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م).
- ٧٣- نقوش جبل أم جذايد النبطية، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).
- ٧٤- منطقة الرياض التاريخ السياسي والحضاري القديم، (الرياض: أمانة منطقة الرياض، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).
- ٧٥- الرحيلي، نسرین سليمان، مملكة دادان ولحيان دراسة حضارية، رسالة ماجستير، (المدينة المنورة: جامعة طيبة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م).

المصادر والمراجع

- ٧٦- رودو كاناكيس (نيكولوس): الحياة العامة للدول العربية الجنوبية، من كتاب التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين علي، القاهرة، ١٩٥٨ م.
- ٧٧- روزنثال (فرانز): علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، بغداد، ١٩٦٣ م.
- ٧٨- زيدان (جرجي): العرب قبل الإسلام، طبعة دار الهلال، بمراجعة حسين مؤنس، (د.ت).
- ٧٩- سالم (السيد عبد العزيز): المغرب الكبير، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٦٦ م).
- ٨٠- السبالي، عوض بن علي وآخرون، تقرير حفرة نجران: الموسمان السادس والسابع (١٤٢٩-١٤٣٠هـ)، (الرياض: الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).
- ٨١- السعيد، سعيد فايز إبراهيم، حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية، (الرياض، الجمعية التاريخية السعودية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).
- ٨٢- السقاف (منير) عربش وعبد الرحمن ، نقش جديد من عهد يدع أب ذبيان يهنعم ملك قتبان، ويدع أب غيلان ملك حضرموت، (ريدان ٧، ٢٠٠١م).
- ٨٣- السلاميين، زياد مهدي ، العلاقات النبطية الخارجية "دراسة في ضوء المصادر التاريخية والشواهد الأثرية، (الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م).
- ٨٤- سليم (أحمد): جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م).

المصادر والمراجع

- ٨٥- سرور (الدكتور محمد جمال الدين): قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد صلى الله عليه وسلم، القاهرة، ١٩٥٦ م.
- ٨٦- ———، الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- ٨٧- سنت (هاري): جون فيلبي، أرض مدين، ترجمة: يوسف مختار الأمين (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ م).
- ٨٨- سيدير: تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، ١٩٤٨ م.
- ٨٩- شاه، جيهان عبدالرحمن، تأثير الاحتلال الروماني على الولاية العربية خلال الفترة من ١٠٦-٣٠٥ م، (الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، ١٤٣١هـ).
- ٩٠- الشريف (أحمد إبراهيم): مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، القاهرة، ١٩٦٧ م.
- ٩١- ———، الدولة الإسلامية الأولى، المكتبة التاريخية، القاهرة، ١٩٦٥ م.
- ٩٢- شلبي (عبد المنعم عبد الرؤوف): شرح ديوان عنتر ابن شداد، (د.ت).
- ٩٣- الشنقيطي (أحمد بن الأمين): تراجم أصحاب المعلقات العشر وأخبارهم، القاهرة، ١٣٢٩هـ.
- ٩٤- الشيخ (حسين): العرب قبل الإسلام، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣ م).
- ٩٥- الشيباني (أبو العباس أحمد بن يحيى): شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- ٩٦- الصالح (صبحي): مباحث في علوم القرآن، دمشق، ١٩٦٢ م.
- ٩٧- ———، دراسات في فقه اللغة، دمشق، ١٩٦٠ م.

المصادر والمراجع

- ٩٨- صالح (عبدالعزیز): تاریخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩١م).
- ٩٩- بن صراي، حمد، البيزنطيون ومنطقة الخليج العربي، (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٣١-١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م).
- ١٠٠- صفدي (جميل): اللغة العربية: تطورها، كتابتها وتعليمها، البرازيل.
- ١٠١- ضيف (شوقي): العصر الجاهلي، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ١٠٢- طلس (محمد سعد): تاريخ الأمة العربية، عصر الانبثاق، بيروت، ١٩٥٧م.
- ١٠٣- طيران (أحمد)، "أهميه النقوش الكتابية القديمة كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية في عصر ما قبل الاسلام"، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد العشرون، العدد الثاني (ب)، (الأردن: ٢٠٠٤م).
- ١٠٤- عبادة (عبد الفتاح): انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي، القاهرة، ١٩١٥م.
- ١٠٥- العباسي (أحمد بن عبد الحميد): كتاب عمدة الأخبار في مدينة المختار، (د.ت).
- ١٠٦- عبد الله (يوسف) محمد: "خط المسند والنقوش اليمنية القديمة. دراسة لكتابة يمنية قديمة منقوشة على الخشب". النقوش والكتابات القديمة في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (تونس: ١٩٨٨م).
- ١٠٧- أوراق في تاريخ اليمن وآثاره بحوث ومقالات، ط ٢، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).
- ١٠٨- عبد الحق (سليم عادل): نظريات في الفن السوري قبل الإسلام، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مجلد ١١-١٢، ٦١-١٩٦٢م.

المصادر والمراجع

- ١٠٩- عبد الكريم (أحمد) عبد الله أحمد علي: هذه هي العلا بين الماضي والحاضر، (١٩٩٣م).
- ١١٠- عبد المعطي (مُحمَّد) عبد المعطي سمسّم، نظرة في التفسير الإسلامي للتاريخ (مصر: إيتراك للطباعة والنشر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م).
- ١١١- عجلوني، أحمد، حضارة الأنباط من خلال نقوشهم، (عمان: بيت الأنباط، ٢٠٠٣م).
- ١١٢- العدوي (إبراهيم أحمد): قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ١١٣- عرفة (محمود) ، العرب قبل الإسلام (القاهرة: دار الثقافة العربية ، ٢٠٠٢م).
- ١١٤- عزام (عبد الوهاب): مهد العرب، سلسلة اقرأ، عدد ٤٠ القاهرة، ١٩٤٦م.
- ١١٥- العظم (نزيه مؤيد): رحلة في بلاد العربية السعيدة، من مصر إلى صنعاء، القاهرة ١٩٣٨م.
- ١١٦- عصفور (محمد) أبو المحاسن: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٨٠م).
- ١١٧- عقاب، فتحية بنت حسين ، المرأة وفن الموسيقى والغناء في العصور القديمة، (الرياض: كندة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م).
- ١١٨- العلاقات بين الأنباط واليهود في ميزان الدولة الرومانية من أواخر القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي، (الرياض: الهيئة العامة للسياحة والآثار، ١٤٣٢هـ).

- ١١٩- دور المرأة في المعبد في الجزيرة العربية من القرن السابع قبل الميلاد إلى الرابع الميلادي دراسة في ضوء النقوش، (الرياض: دار الملك عبدالعزيز، العدد الثالث، السنة السادسة والثلاثون، ١٤٣١هـ).
- ١٢٠- معرفة المرأة في مجتمع الجزيرة العربية قبل الإسلام دراسة من خلال النقوش من القرن ٣ ق.م إلى القرن ٧م، (الرياض، مجلة أدما، العدد العشرون، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).
- ١٢١- العقيلي (نجيب): المستشرقون (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٢م)، ج ٢، ٨٣٥، ج ٣.
- ١٢٢- العلي (صالح أحمد): محاضرات في تاريخ العرب، ج ١، بغداد، ١٩٥٩م.
- ١٢٣- "منطقة الحيرة دراسة بلوغرافية مستندة على المصادر الأدبية"، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، العدد الخامس، نيسان ١٩٦٢م.
- ١٢٤- ———، منطقة الحيرة، دراسة طبوغرافية مستندة على المصادر العربية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ٥، نيسان ١٩٦٢م.
- ١٢٥- علي (جواد): تاريخ العرب قبل الإسلام، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ثمانية أجزاء، بغداد، ١٩٥٠-١٩٥٩م.
- ١٢٦- أصنام العرب، (بغداد: د.ن، ١٩٦٧م).
- ١٢٧- تاريخ العرب قبل الإسلام، القسم السياسي، ج ١، (١٩٥٠م).
- ١٢٨- علي (مولاي محمد): محمد رسول الله، ترجمة الأستاذ مصطفى فهمي، القاهرة، ١٩٤٥م.
- ١٢٩- العمري (حسين) عبد الله: وآخرون، في صفة بلاد اليمن عبر العصور - من القرن ٧ ق.م - نهاية القرن ١٩م، (دار الفكر المعاصر: بيروت، ١٩٩٠م).

المصادر والمراجع

- ١٣٠- العناني (علي) ومحرز (ليون): كتاب الأساس في الأمم السامية وقواعد اللغة العبرية وآدابها، القاهرة، ١٩٣٥ م.
- ١٣١- بن عويمر (عمير): لحيان عبر التاريخ (الرياض: د.ن، ٢٠٠٤ م).
- ١٣٢- الغزي، عبدالعزيز بن سعود، مملكة كندة في وسط الجزيرة العربية "دراسة تاريخية أثرية"، (الرياض: دار الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥-١٤٢٦ هـ).
- ١٣٣- غنيمه (يوسف رزق الله غنيمه): الحيرة، المدينة والمملكة العربية، بغداد، ١٩٣٦ م.
- ١٣٤- الفاسي (أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، جزآن، القاهرة، ١٩٥٦ م.
- ١٣٥- الفاسي (هتون): الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية، (١٩٩٣ م).
- ١٣٦- فخري (أحمد): اليمن: ماضيها وحاضرها، القاهرة، ١٩٥٧ م.
- ١٣٧- فخري (أحمد): رحلة أثرية إلى اليمن، ٣ مجلدات، القاهرة، ١٩٥٢ م.
- ١٣٨- ———، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق وسوريا واليمن وإيران، القاهرة، ١٩٥٨ م.
- ١٣٩- ———، اليمن، بحث في المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية الذي عقد في فاس سنة ١٩٥٩، القاهرة، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م.
- ١٤٠- فروخ (عمر): دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٤ م.
- ١٤١- فكري (أحمد) المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها، الإسكندرية، ١٩٦١ م.
- ١٤٢- فهمي (عبد الرحمن): النقود العربية، ماضيها وحاضرها، المكتبة الثقافية، القاهرة ١٩٦٥ م.

- ١٤٣- ———، فجر السكة العربية، من مجموعات متحف الفن الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٥ م.
- ١٤٤- القحطاني، سميرة سعيد، النفوذ السبئي والحميري في وسط الجزيرة العربية وشمالها خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين "دراسة في ضوء النقوش العربية الجنوبية القديمة، (الرياض: الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).
- ١٤٥- (كاسكل): "لحيان المملكة العربية القديمة"، ترجمة: منذر البكر، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة (١٩٧١م).
- ١٤٦- كاشف (دكتور سيدة إسماعيل): مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، القاهرة ١٩٦٠ م.
- ١٤٧- كرد علي (محمد): الإسلام والحضارة العربية، جزآن، القاهرة، ١٩٥٩ م.
- ١٤٨- لويس (برنارد): العرب في التاريخ، تعريب نبيه أمين فارس، ومحمود يوسف زايد، بيروت، ١٩٥٤ م.
- ١٤٩- لينز (فيليب): رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية، ترجمة: محمد محمد الحناش، (الرياض: دار الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ).
- ١٥٠- ماجد (عبد المنعم): مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، القاهرة، ١٩٥٣ م.
- ١٥١- ———، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٣ م.
- ١٥٢- التاريخ السياسي للدولة العربية، ج ١، (القاهرة: د.ن، ١٩٦٧م).
- ١٥٣- محمد حسين (محمد): الهجاء والهجاءون في الجاهلية، بيروت، ١٩٦٠ م.
- ١٥٤- محمود (حسن): قيام دولة المرابطين، (القاهرة: د.ن، ١٩٥٧م).

المصادر والمراجع

- ١٥٥- محمود، خالد عبدالبديع رضوان، التنخيون في سوريا وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية، (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٣١-١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م).
- ١٥٦- محمود (زاهر) محمد: الألقاب الرسمية في نقوش المسند السبئية القديمة، (رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، الزقارزق، مصر، ٢٠٠٠م).
- ١٥٧- المريخي (مشلح) بن كميخ: "نقش رقوش بالحجر (مدائن صالح) رؤية جديدة"، سلسلة مداولات اللقاء العلمي السنوي لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، (دبي: ذو الحجة ١٤١٩ هـ / إبريل ١٩٩٩ م).
- ١٥٨- مشوّح (وليد): مكة تجليات المكان في الشعر العربي.
- ١٥٩- المطهر، ذكرى عبدالملك، الصراع الديني في جنوب الجزيرة العربية من القرن الرابع حتى السادس الميلادي، (صنعاء، جامعة صنعاء رسالة ماجستير، ٢٠٠٣م).
- ١٦٠- المعجم الموسوعي في علم النفس، ترجمة: وجيه أسعد، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠١م).
- ١٦١- معطى (على) محمود: تاريخ العرب السياسى قبل الإسلام، (لبنان: دار المنهل اللبناني، ٢٠٠٤م).
- ١٦٢- موصل (لويس): شمال الحجاز، تحقيق، عبد المحسن الحُسَيني، الإسكندرية: دن، ١٩٥٢م.

المصادر والمراجع

- ١٦٣- مهران، (محمد) بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠١٠م).
- ١٦٤- ميخائيل (نجيب): الشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث من موسوعة مصر والشرق الأدنى القديم، (سورية) الإسكندرية، ١٩٦٦م.
- ١٦٥- ———، حضارة العراق القديمة، الجزء السادس من موسوعة مصر والشرق الأدنى القديم، الإسكندرية، ١٩٦١م.
- ١٦٦- الناصري (سيد) أحمد علي: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام (القاهرة: د.ن، ٢٠٠١م).
- ١٦٧- الناضوري (رشيد): المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، بيروت، ١٩٦٩م.
- ١٦٨- نامي (خليل يحيى): أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد الثالث، الجزء الثالث، مايو ١٩٣٥م.
- ١٦٩- ———، نقوش خربة براقش، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد ١٦، ج ١، ١٩٥٤م.
- ١٧٠- النجار (محمد بن محمود): كتاب الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ١٧١- نجم الدين (محسن): تاريخ شبه الجزيرة العربية منذ أقدم العصور حتى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، (جامعة القاهرة، ٢٠١٥م).
- ١٧٢- النصرات، محمد إسماعيل، مملكة الأنباط التاريخ السياسي، (عمان: بيت الأنباط، ٢٠٠٧م).

المصادر والمراجع

- ١٧٣- النعيم، نورة عبدالله، سفارة عمرو بن هند ملك الحيرة إلى الإمبراطور جستين الثاني، (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٣١-١٤٣٢هـ / ٢٠١٠م).
- ١٧٤- التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).
- ١٧٥- نولدكة (تيودور): أمراء غسان، ترجمة بندلي جوزي و قسطنطين زريق، بيروت، ١٩٣٣م.
- ١٧٦- النويصر (موفق): حائل السعودية «بنت الجبال وأخت القصيد» تجمع التاريخ والطبيعة الخلابة، (جريدة الشرق الأوسط، العدد ٨٣٥٦، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).
- ١٧٧- نينج، روبرت، البتراء عاصمة على تخوم الصحراء، ترجمة محمد محفل، مجلة العلوم التي تصدر عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، العدد نوفمبر-ديسمبر، مراجعة عدنان الحموي، (٢٠٠٣م).
- ١٧٨- نيلسون (ديتلف): تاريخ العلم ونظرة حول المادة، من كتاب التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين علي، القاهرة ١٩٥٨م.
- ١٧٩- ———، الديانة العربية القديمة، فصل في كتاب التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين علي، القاهرة، ١٩٥٨م.
- ١٨٠- هاردينج (لانكتر): آثار الأردن، تعريب سليمان موسى، عمان، ١٩٦٥م.
- ١٨١- الهاشمي (علي): المرأة في الشعر الجاهلي، بغداد ١٩٦٠م.
- ١٨٢- الهندي (هاني)، ومحسن إبراهيم: إسرائيل، بيروت، ١٩٥٨م.
- ١٨٣- هوساوي، سلمى محمد، علاقات مكة الخارجية في العصر الجاهلي "زمن قريش" ٤٠٠-٦١٠م، رسالة ماجستير، (مكة: جامعة أم القرى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).

المصادر والمراجع

- ١٨٤- العلاقات الثقافية والمعمارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية والحبشة ٤٥٠ق.م-٥٧٥م، (الأردن: دار زهران، ٢٠١٥م)،
- ١٨٥- التنظيمات العسكرية في الولاية العربية الرومانية (١٠٦ - ٣٠٥م)، رسالة ماجستير، (الرياض: جامعة الملك سعود، ٢٠١٤م).
- ١٨٦- هومل (فرتز): التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية، من كتاب التاريخ العربي القديم، ترجمة الدكتور فؤاد حسنين علي، القاهرة، ١٩٥٨م.
- ١٨٧- هيلند، ربرت، تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي إلى صدر الإسلام ٣٢٠٠ق.م-٦٣٠م، ط١، ترجمة عدنان حسن، شركة قدمس، بيروت، (٢٠١٠م).
- ١٨٨- ولفنسون (إسرائيل): تاريخ اليهود في بلاد العرب، القاهرة، ١٩٢٧م.
- ١٨٩- يحيى (لطفى) عبد الوهاب: هوميروس تاريخ حياة عصر (الإسكندرية: د.ن، ١٩٦٨م).
- ١٩٠- العرب في العصور القديمة، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م).
- ١٩١- يوسف، فرج الله أحمد ، مسكوكات مملكة الأنباط، (الرياض: دار القوافل، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- 1- Bell (Richard): The origin of Islam in its Christian environment, London, 1926.
- 2- Benjamin de Tudels, Viajes de Benjamin de Tudles, trad. espanols per Ignacio Gonzalez, Madrid, 1918.
- 3- Bevan (E. R) The Jews, in Cambridge. Medieval History. Vol. IX
- 4- Borton: Semitic and Hamitic origins, London, 1934.
- 5- Bubl, Tadmur, dans Eacyclopédia de l'Islam.
- 6- Contenau (Georges): Les civilisations anciennes du Proche Orient, Paris, 1955.
- 7- Cooke (G. A.): Palmyra in Ency, Britanica. t. 16, 1964.
- 8- Cooke (C. A.) Nabataei, in Ency. Of Religion and Ethics, vol. 9, 1930.
- 9- Cooke (G. A.): A text book of North Semitic inscriptions, Oxford, 1903.
- 10- Collart (Paul), Abdul Hak (Selim) et Dillon (Armando): Rapport de la mission envoyée par l'Unesco à le Syria en 1953, Paris, 1954.
- 11- De Perceval (Caussin): Essai sur l'histoire des Arabes, 3 bols., Paris,,1847.
- 12- Dussaud (René): Les Arabes en Syrie avant l'Islam, paris. 1907.
- 13- Diodrus of Siculuss,Library of history, Books XIX.66-110 and xx,Wite an English Translation by Russel M. Geer,Gambridge, Massachusetts Harvard University Press, London.
- 14- Fakhry (A.): An archaeological journey to Yemen3 vols., Cairo, 1952
- 15- Fahmy (Dr. Aly Moh.); Muslim Sea power in the Eastern Mediterranean, cairo, 1966.
- 16- Gabrieli (Francisco): Les Arabes. Paris, 1963.
- 17- Gaetani (L.), Studi di storia Orientale, vol. I Milano, 1911
- 18- Grohmann (A.) al-Arab, in Encyclopedia of Islam, New edition.
- 19- Guidi (Ignacio): L'Arabie antéislamique, Paris, 1921.
- 20- Huzayyin (S.): Changement historique du climat et du paysage de l'Arabie du Sud, Bulletin of the Faculty of Arts, University of Egypt, vol. III, Part 1, May, 1935.
- 21- Julien (André): Histoire de l'Afrique du Nord, Paris, 1955.
- 22- Lapierre (Paul- Bovier): précis de l'histoire d'Egypte, t. I, le Caire 1932.
- 23- Lammens (H.): Le Berceau de l'Islam, t. I Rome. 1914
- 24- Lammens (H.): la cité arabe de Taif à la veille de l'Hegire, Beyrouth, 1922.
- 25- Lammens (H.): La Mecque à la veille de l'Hegire Beyrouth, 1924.
- 26- Lammens (H.): L'Arabic Occidentale avant l'Hegire, Beyrouth, 1928
- 27- Moscati (Sabatino): Histoire et civilisation des peuples sémitiques, Paris, 1954.

المصادر والمراجع

- 28- Musil (Alois): Palmyrena, New York, 1928
- 29- Musil (Alois): Northen Negd, New York, 1928
- 30- Musil (Alois): Arabia petraea, Wien, 1907
- 31- Nicholason (R. A.): A literary history of the Arabs, Cambridge, 1953.
- 32- Philby, the background of Islam, Alexandria, 1947.
- 33- Philby (Harry St. John Bridger): Arabia, in Ency- Britanica, 14 editio, 1922
- 34- Philips (Wendell): Qatban and Sheba, London, 1945
- 35- Rabin (C.): Ency. De l'Eslam, article "Arabiyya"
- 36- Renan (E.): Histoire du Peuple d'Isreaél, Paris, 1925.
- 37- Renan (E.): Histoire générale des langues sémitiques, t. I, Paris, 1855
- 38- Strabo, the Geography of Strabo, trans. H. L. Jones, London. 1949
- 39- Thompson (Caton): The tombs and Moon temple of Hureidha, Oxford, 1944.
- 40- Ure (Percy Neville): Justinian and his age, Peguis Books Series, London, 1951.
- 41- Witmer (John): Palmyre, apprendre de l'histoire dans: Annales archéologiques de Syrie, vol. X, 1960.

المواقع الإلكترونية:

<http://www.kapl.org.sa/details.aspx?id=42#.V58GPuxsLIV>